

دانیال ستیل

www.rewity.com

^RAYAHEEN^

زورپایا

روایۃ

ترجمہ: د. علی حداد

الفصل الأول

سان بطرسبورغ

الثلج يساقط والعربة تسير. زويا مغمضة العينين، تصغي إلى رنين أجراس الخيول وكأنها موسيقى حائلة. منذ صغرها وهي تحب هذه الأصوات، وتعلم أن يأتي من يكتشف موهبتها في رقص الباليه ويصطحبها إلى فرقته، متناسية أن والدها هو ابن عمّة القيصر، وأنه من العار على فتاة من الأسرة المالكة أن تحترف الرقص.

فتحت زويا عينيها وطلبت من فيودور، سائق العربة العجوز، أن يبحث الخيول على الإسراع، لأن عليها أن تكون في المنزل قبل موعد العشاء كما وعدت أمها التي، لو علمت بأمر هذه الزيارة إلى القصر الأمبراطوري، لو وضعتها في الحجر الصحي؛ فالكل هناك مصاب بالحصبة باستثناء ماري ابنة القيصر الصغرى، الأغلى والأحب إلى قلب زويا.

أمام القصر، أوقف الخراس القوزاق، بشياهم الخضراء وقبعاتهم الصوفية المغطاة بالثلج، العربة؛ وما أن وقع نظره على زويا حتى أشاروا إلى فيودور بمتابعة الطريق.

تابعت العربة سيرها نحو كنيسة القصر المفضل لدى الأمبراطورة.

* زويا

* دانيال ستيل

* ترجمة: د. علي الحداد

* الطبعة الأولى 2007

* جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

* الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص.ب: 5953

هاتف: 4418202 - 2248560

* التوزيع في جميع أنحاء العالم:

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

التي أشرفت على زخرفته، غرفة غرفة، فرصت غرفة الجلوس الأرجوانية اللون بحجارة الأوبال. وأضفت على غرفتها الخاصة جواً رومانسياً بزرع الدفء والإستراحة في النفس. لذا، لم تكن عائلة القيصر تستعمل القصر الشتوي في سان بطرسبورغ إلا في المناسبات الرسمية أو لإقامة الحفلات الراقصة.

توقفت العربية أمام مدخل القصر وترجل فيودور فيما كان إثنان من الحراس بمسكان بلجام الحصانين، ومد يده لزويبا ليساعدها على النزول من العربية، فيما كان الثلج يتساقط على معطفها.

ترجلت زويبا ودخلت القصر وهي تأمل أن يكون لديها الوقت الكافي لشرب الشاي. أما فيودور فقد أدخل الخيل إلى الإسطبل وجالس أصدقاءه فيه.

داخل قصر الكسندر، تقدمت خادمتان لمساعدة زويبا على خلع معطفها، بينما هي ترفع قبعتها المصنوعة من فرو السمور عن رأسها، تاركة شعرها ينسدل متماوياً على كتفيها... حتى الكسي، ولي العهد، الذي لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، كان يدي إعجابه بلون شعرها... ولم تكن زويبا بالنسبة إلى الكسي إلا بمثابة واحدة من شقيقاته، فهي على غرار أولغا وناتيانا وأنستازيا وماري، شاركت في تربيته، جميعهن ينظرن إليه كطفل. ما إن أخذت زويبا طريقها داخل ممرات القصر، حتى سألت الخادمتين عن صحته: وجاء الجواب مقلقاً: إنه يعاني من الحصبة والسعال الحاد. وهو تحت رعاية السيد غيلارد ليل نهار.

أما صاحبة السمو الملكي فهي تهتم بيناتها الثلاث: أولغا وناتيانا

وأنستازيا اللواتي انتقلت إليهن الحصبة من أخيهن الكسي ولهذا السبب مُنعت زويبا من زيارة القصر، لئلا يتقل المرض إليها.

كانت عينا زويبا الخضراوان تشعان فرحاً وهي تعبر القاعة دون إحداث أي ضجة. لئلا تزعج الأمير ميشكيرسكي، كبير مساعدي القيصر أو تثير انتباهه. مشت على رؤوس أصابعها رغم أنها تشغل حذاء شتوياً، وصعدت الأدراج متجهة نحو غرفة ماري. قرعت الباب، فجاءها صوت ماري الناعم والرقيق:

– نعم، من الطارق؟

فتحت زويبا الباب وأدخلت رأسها أولاً، سائحة لخصلات شعرها أن تدل على كتفيها لترى رفيقة عمرها واقفة بهدوء قرب النافذة، تراقب تساقط الثلج بعينيها الزرقاوين الواسعتين. وكان اللقاء عناقاً وقبلات وابتهامات، قطعتها زويبا بصوت ملؤه الشوق: «ها أنا أتيت لانتشالك من وحدتك يا حبيبتى ماشكاً».

وضعت ماري يديها على كتفي زويبا وهي تحديق إليها بفرح عظيم وقالت وهي لا تكاد تصدق أن زويبا هي التي تقف أمامها:

– شكراً لله... اعتقدت أن الضجر سيقضي علي... أنا سحينة هذه الغرفة لا أعادها ليلاً أو نهاراً... الكل مصاب بالحصبة... حتى المسكينة آنا، صديقة والدتي، تمضي نهارها تهتم بشقيقتي الثلاث، تعد لهن الحساء والشاي، وتؤكد من تناولهن الدواء في مواعيده... وفي الليل، تنتقل إلى قصر كاترين المجاور الذي تحول إلى مستشفى بعد اندلاع شرارة الحرب، لتشارك فريق الصليب الأحمر في العناية بالجرحي... وتحت الجميع، بما فيهم أنا، على أن يحذو حذوها.

ومضت فترة من السكوت، أمضتها ماري وزويبا تزرعان أرض الغرفة جيئةً وذهاباً، وأخيراً جلستا قرب المدفأة... وعادت ماري إلى الحديث قائلة:

- تأكدي زويبا... حتى أمتي لاتعرف أني أرسلت في طلبك.. وإلا لكانت منعني من ذلك.

- أنت محقة في اعتقادك هذا يا ماري... طبيعي أن لا تسمع لك والدتك بدعوتي... فالخصبة مرض مُعدي... وطبيعي أيضاً ألا تسمع لي والدتي بالحضور إلى هنا.

- المهم أننا الآن معاً.. أنا جد مشتاقة إليك.

كانت زويبا ترتدي كتزة صوفية سمينة تقيها برد الطريق من سان بطرسبورغ القصر؛ وكانت أصغر سناً بأسبوعين من ماري وأكثر أناقة، لكن الجميع كان ينظر إلى ماري على أنها أجمل فتيات العائلة ورثت الوسامة وزرقة العينين عن أبيها، وتحب الجواهر والثياب الأنيقة بعكس شقيقاتها، وتشترك مع زويبا بالإحساس المرهف وبالتطلعات ذاتها؛ ولذلك لم يكن من العجيب أن تسترسلا في الحديث عن الملابس الجميلة والمجوهرات وعن قبعات والدته زويبا التي تعجب ماري كثيراً.

أنا بخير قالت ماري. لا أشكو من شيء مطلقاً، إلا أنني منزوعة من أمي، فهي لن تسمح لي - كما العادة كل يوم أحد - أن أذهب مع عمتي أولغا الكسندروفنا للتجول في المدينة وزيارة الجدة في قصر آينشكوف إضافة إلى بعض الأصدقاء. كل هذا بسبب مرض شقيقتي.

نظرت زويبا إليها نظرة إشفاق. «أنا جد مشتاقة لك وكنت خائفة من هذا، فإذا خوفي بمكانه، كنت أرغب أن أجعلك ترين عيائتي

الجديدة التي جلبتها لي جدتي أيفيجينا ستروفنا أوسيوف من باريس».

رغم بلوغ أيفيجينا الواحدة والثمانين من العمر، فهي ما تزال ساحرة جذابة، وبصر الكل، على أن زويبا ورثت عنها ذلك السحر وتلك الجاذبية، خاصة العينين النجلاويين المشعّتين دائماً. والدته زويبا، إنسانة ممشوقة القوام، جميلة الوجه، زرقاء العينين، ذات شعر أشقر طويل. يرغب جميع الرجال بمجالستها والنظر إليها، ويطمحون لنيل ابتسامتها واحدة من ابتساماتها؛ ولهذا كان زوجها، شديد الحرص عليها، يعاملها وكأنها طفلة صغيرة، يغدق عليها من حنانه ويعبر لها عن

- جلست لي جدتي عيابة من قماش الساتان الفاخر المطرز بحبات اللؤلؤ الصغيرة، هكذا كانتا تتحدثان، وكأنهما طفلتان صغيرتان، تدهشان لأنفه شيء.

- بعد أسبوع سيشفى الجميع، وتذهب الخصبة بعيداً، وهكذا أمكن من زيارتك يا زويبا وأرى هذه العيابة التي تتحدثين عنها، وسأستغل هذه الفترة لأفكر كيف أساعدك على زخرفة غرفتك.

زخرفة غرفتي؟ تسألت زويبا إنها فخمة كغرفة والدتك.

غرقت الفتاتان بالضحك، وأصيبتا بالدهشة حين دخلت جراه الكلاب إلى الغرفة، وراحت تلعب عند أقدامهما، فيما كانت زويبا تدفئ يديها وتروي لماري قصص الفتيات في معهد سمونلي؛ كانت ماري تحب سماع هذه القصص. فهي قصص تختلف جداً عن قصصها مع أخيها وأخواتها، إن مع السيد غيلارد أو مع أستاذ اللغة الإنكليزية السيد جيس.

- شكراً للرب، لن أكون مضطرة لتحمل مخافات السيد غيلبارد لأنه مشغول بالاهتمام بأخي، أما السيد جيس، فلم أراه منذ أسبوع، إنه يعزل نفسه عن الآخرين مخافة أن يصاب بالحصبة.

ضحكت زويا لما قالته ماري التي كانت تجدل لها شعرها، منذ صغرهما تعودتا أن تجدل كل واحدة شعر الأخرى، فيما هما يتحدثان عن سان بطرسبورغ أو عن الناس، ولكن الحرب، بدلت أشياء كثيرة في نمط حياتهما، لم تعد هناك حفلات تقام في القصر، وحتى والد زويا لم يعد يدعو الأصدقاء مما سبب غماً وكدراً لهما. إنها تحب الاختلاط بالرجال الذين يرتدون البدلات الأنيقة، وبالنساء اللواتي يرتدين أفخر الفساتين ويتزين بأغلى المجوهرات، حتى تجمع القصص والحكايات لترويها على مسمع ماري وشقيقاتها. ماذا كانت ترتدي الأميرة فلانة أو الأمير فلان، وكذلك لتروي على سمعهن قصص الحب والعشق بين الأميرات والأمراء؛ إنه المجتمع الأرستقراطي الروسي، وزويا ليست بعيدة عن هذا المجتمع، فهي قرية القيصر من ناحية الأب ولهذا تتمتع ببعض الامتيازات الخاصة التي لا يتمتع بها إلا كبار النبلاء، مع فارق بسيط هو أن منزل والديها ليس كقصر آنتشكوف وأن زميلاتهن من عامة الشعب العادي الذي يصنع التاريخ، لكن هذا لم يسبب لها إزعاجاً في يوم من الأيام.

«إنه سعيد جداً» قالت زويا وهي تشير إلى الكلب الذي يلعب قدميها، واستطردت «كيف حال الجراء؟».

ابتسمت ماري وهزت كتفها «على أحسن ما يرام...» وأفلتت صغيرة زويا الطويلة وأسرعت نحو درج طاولتها. اعتقدت زويا أن

هناك رسالة من أصدقاء مشتركين أو أية صورة جديدة لشقيقها الكسي أو شقيقاتها.

عادت ماري ويدها زجاجة عطر، فصاحت زويا «ما هذه؟».

- عطر باريس راتع. قالت ماري وهي تقبل وجنتيها «إنها لك».

أوه، ماشكا.. هل هي.. هل هي؟ قالت زويا وهي تنشق العطر.

- إنها ليلاس؟ (العطر المفضل لماري الذي تسمى زويا أن تقتنيه)، كيف حصلت عليها؟

- إنها من ليبي التي عادت مؤخراً من باريس. وقد صممت أن تكون لك، فأنا عندي واحدة أخرى».

أغمضت زويا عينيها وأخذت نفساً عميقاً وارتسمت على شفتيها ابتسامة فرح وبهجة.. الآن... عطر باريس وجرو، وفي الصيف رحلة إلى ليفاديا أو نزهة على اليبخت. إنها حياة سعيدة، لم تتأثر بالحرب التي كانتا يتحدثان عنها منذ قليل، وعن وحشيتها وما تسببه من مأساة كل يوم يزداد عدد الجرحى في القصر المجاور، عدا الذين ينقلون إلى أماكن أخرى أو يموتون. بالنسبة إلى ماري، وحشية الحرب، لا تساوي وحشية مرض النزف الذي يعاني منه شقيقها، إنه السر الذي تحاول العائلة أن تقيه بين جدران القصر، ولا يعرفه أحد.

- أوليس هو بخير؟ أعني هل يُخشى من أن تسبب له الحصبة تعقيدات خطيرة؟ قالت زويا وهي تمسك زجاجة العطر النفيسة بيديها. ولكن مطمئنة: «أعتقد أن الحصبة لا تسبب له مشكلة صحية خطيرة. واستناداً إلى ما تقوله والدتي، إن وضع أولغا أكثر دقة من وضعه، إنها

أكبر منه بأربع سنوات. وخجولة جداً، على عكس شقيقاتها الثلاث أو زويا».

«كان يوماً رائعاً.. رقصت من كل قلبي» قالت زويا وهي تتناول كوب الشاي من يد ماري وتابعت «أتمنى لو أحترف رقص الباليه».

ضحكت ماري. لطالما سمعت هذه الأمنيات، ولطالما باحت زويا لها برغباتها وأمانيتها، «آه لو يكتشفني فوكين أو دياغليف».

... وغرقت الأنتان في الضحك. غير أن لضحكة زويا رنين خاص، كل ما في تصرف زويا خاص ومميز، نظراتها، مشيتها، شعرها، وجتاها، حركات يديها، حتى عناقها لصديقاتها كان مميزاً وخاصاً، كانت نحيلة الجسد، لكنها مفعمة بالحياة والحيوية. حتى اسمها خاص ومميز ويليق بها كفتاة صغيرة وكصبية وكامرأة «صديقني ماري أتمنى ذلك.. حتى السيدة ناستوفا تثني على رقصي وعلى أدائي».

ضحكت ماري ثانية والثقت عينها بعيني زويا وتعطلت لغة الكلام، وفكرت كل منهما بسرهما بالسيدة ماتيلدا كستيسكا، راقصة الباليه المشهورة وعشيقة القيصر قبل زواجه من ألكسندرا. إنها حكاية قديمة، ممنوع التحدث عنها إلا همساً وفي الليالي بعيداً عن مسمع الأولاد. سبق لزويا وتحدثت مع والدتها عن هذه القصة السر، فلما كان من الكونتيسة إلا أن عنفتها متذرة بأن أحاديث كهذه لا تليق بالصبايا من عمرها، أما جدتها فقالت: «كانت راقصة مميزة».

— أما زلت تحلمين بالذهاب إلى مارينسكي؟ تساءلت ماري بسخرية، رغم أنها تعرف تمام المعرفة من تكون زويا، وكيف تفكر، وتعرف متى تكون ساخرة أو جدية. وتذكر كل الإدراك أن حلمها بأن

تكون يوماً ما راقصة باليه هو حلم جذبي، وفي الوقت ذاته تدرك استحالة تحقيق هذا الحلم. وتعني أنها ستتزوج، وتنجب أطفالاً، وستكون سيدة أنيقة كوالدتها. كل متطلبات الأناقة متوفرة. لا بل متطلبات التميز أيضاً. فهي واحدة من طبقة النبلاء، رائعة الجمال، مثقفة، تلقت تربية أرستقراطية مع التأكيد على التواضع. إذن، كل هذه المعطيات تقف سداً أمام تحقيق حلمها بأن تكون راقصة باليه مشهورة. لا في المستقبل القريب ولا في المستقبل البعيد. لذا، فمن السخرية بمكان، أن تكون اليوم، بعد ظهر أحد أيام شتاء، ما تزال تتحدث عن هذا الحلم.

على رغم من وجود مرض الحصبة، ما تزال ماري، لا تشعر بوطأة الحياة ومسؤولياتها: وجود زويا، ينسيها ما هو مطلوب منها. كاتبة للقيصر، عليها أن تتصرف تبعاً لنمط حياتي معين، نمط حياتي قد يكون متناقضاً مع شخصيتها وأحلامها وأمانيتها. إنها على ثقة أن والديها سيختاران لها، عاجلاً أم آجلاً رجلاً ليكون زوجها وشريك حياتها، دون أن يكون لها أي رأي؛ وحتى لا يحق لها الرفض؛ هما يختاران وهي توافق؛ بغض النظر عن المشاعر والأحاسيس. إنما.. ما يزال الوقت مبكراً، فهناك أختها أكبر منها سناً، وتقضي العادات والتقاليد، أن تتزوجا قبلها. استرسلت ماري في تفكيرها حتى بدت وكأنها في عالم آخر.

— «ماشكا.. لماذا تفكرين؟ أما زلت معي؟» جاء صوت زويا دافئاً دفع النار في المدفأة، وناعماً رقيقاً، نعومة ورقة الثلج الذي يتساقط في الخارج، حيث بدأت العتمة تشق طريقها، وزويا ما تزال في القصر متناسبة أن عليها أن تكون في منزلها قبل موعد العشاء.

- «لست أدري يا زويا.. مجرد مخافات» قالت ماري وهي تنظر إلى صديقتها وابسامة صفراء ترسم على شفثيها، كلتاها في سن الثامنة عشر، سن تفكير الأهل بزواج بناتهم. إذن قد يترجم هذا التفكير، قريباً، إنما بعد إنتهاء الحرب». قالت ماري «كعادتي دائماً ساكون صادقة معك، أفكر من سأتزوج يوماً ما».

- وأنا أفكر بالزواج أحياناً. وتشجعتني جدتي على هذا، حتى أنها تشير إلى الأمير أورلوق على أنه إنسان مناسب.

- «إنه لأمر مضحك فعلاً، هم يفكرون ويخططون ونحن ننفذ» قالت ماشكا وهي ما تزال تلاعب بشفرة زويا.

- وأنت هل التقيت إنساناً تعتقدين أنه المناسب لك؟

- حتى الآن.. لا. من المفروض أن نتزوج أولغا وتاتيانا قبلي. ولكن المشكلة أن تاتيانا جديدة جداً. ولا أتخيل أبداً أنها تفكر بالزواج.

كانت ماري أقرب شقيقاتها إلى والدتها، ويمكن القول إنها كانت طفلة العائلة المدللة.

- كم ولداً توذنين أن تنجني يا ماري؟

- خمسة على الأقل. كانت ماري تحب عائلتها، ولهذا كانت تفكر بإنجاب خمسة أولاد أي العدد ذاته الذي أنجبه والدتها.

- أنا، قالت زويا، أتمنى لو لرزق بستة أولاد، ثلاثة صبيان وثلاث بنات.

ضحكت ماري قبل أن تعلق على الفكرة قائلة:

- وهل تعتقدين أنهم سيرثون عنك لون شعرك وانسيابه؟

ثم انحنت وقبلت وجنتي زويا وقالت:

- تعرفين جيداً، أنك أغلى البشر عندي وأقرب صديقة، حتى أنك أقرب إلي من شقيقتي والتقت عيناها، وأمسكت زويا يد ماري وقبلتها بحرارة الطفولة.

- كم كنت أتمنى لو تكونين شقيقتي لم يكن لزويا شقيقات، بل شقيق واحد أكبر منها سناً، أسود الشعر كوالده، أخضر العينين، هادي الطبع، يبلغ الثالثة والعشرين من العمر، أي أنه يكبر زويا بنحو من خمس سنوات ونصف.

- كيف حال نيقولا هذه الأيام؟

- على ما هو، عنيد. ولكن والدني تشكر الله على أنه في فرقة بريبورا جنسكي، هنا وليس على خط النار، أما جدتي فتقول إن وجوده هنا يسمح له بحضور حفلاتها، ومن يدري قد ينتقي عروسة.

كانتا غارقتين في الضحك، حين فُتح الباب فجأة، لتدخل منه سيده بارعة الطول. إنها الامبراطورة ألكسندرا، التي لتو انتهت من العناية ببناتها المريضات، وتبعها قطعة رمادية اللون.

- «أسعدتني مساءً يا عزيزتي» وقفت الفتاتان، وتقدمت زويا لتقبل يدها.

- «كيف حال الجميع يا عمتي؟».

أخذت الامبراطورة زويا بين ذراعيها، وعلى شفثيها ابتسامة باهتة «ليسوا على ما يرام. والمسكينة آنا هي الأسوأ حالاً. وأنت يا صغيرتي كيف حالك؟».

.. أنا بخير.. وأشكر لك اهتمامك.

«أتصدقين يا زويا أنا جدد متفاجئة: كيف سمحت لك والدتك بزيارتنا؟»، كانت الامبراطورة تدرك خوف الكونتيسة من انتشار وباء الحصبة، لكن زويا، أخبرتها بما جرى، وبأنها جاءت دون علم من والدتها. رفعت الأميرة يدها «ما الذي فعلته أيتها الشقية؟ ماذا ستقولين لها؟».

ضحكت زويا بخبث. وأطلعت العمدة ألكسندرا على ما تريد قوله «كنت في مدرسة الباليه، رقصت كثيراً، أنت السيدة ناستوفا على أدائي، فكان إن رحلت أرقص وأرقص دون اهتمام للوقت».

.. هكذا إذن...؟ مثلك مثل غيرك من بنات جيلك، تعرفين كيف تخترعين الأعذار، وكيف تحكي الكذبة... فعلاً ما من أحد، بإمكانه أن يفرق بينكما». التفتت الأميرة نحو ابنتها «وأنت يا عزيزتي هل قذمت لزويا هديتها؟» ضحكت النسرة الثلاث، رغم التعب الذي ينهك جسد الأميرة.

«نعم يا عمتي» قالت زويا وهي تنظر إلى زجاجة العطر الباريسي على الطاولة «ليلاس، إنه عطري المفضل». و بلمحة من عينها أفهمت الأميرة ابنتها ماري أن تركها وحيدة مع زويا، وكان لها ما أرادت.

«كيف حال العم نيقولا؟» تساءلت زويا.

«نادراً ما أراه.. مسكين هذا الرجل، كان الله بعونه، عاد من الجبهة إلى بيته، وبدلاً من أن يجد الراحة، وجد نفسه محاصراً بالحصبة اللعينة».

لم تكذ الأميرة تنهي كلامها، حتى عادت ماري ودخلت الغرفة وهي تحمل شيئاً محجوباً بقطعة قماش، اعتقدت زويا أنه قفص وفيه عصفور من النوع الذي تحبه، ولكن ما هي إلا لحظات، حتى انزاح القماش وأطل رأس بني مرقط بالأبيض، بأذنين طويلتين متدلّيتين وعينين مشعّتين كرخام الأونيكس.. إنه جرو الكلب الذي طالما تمّت زويا أن تحصل عليه.

.. آه كم هو جميل؟ مدت زويا يدها وراحت تداعب عنق الجرو فيما هو يهر ذنبه وأذنيه.

.. «إنها هي وليس هو» قالت ماري «واسمها سافا.. وهي مقدمة الماما لك.. نعم للشويا زويا».

مدت زويا يديها وأخذت الجرو من بين يدي ماري، وعيناها تعبران عن الفرح والإندهاش. «لي...؟... آه يا... ماذا...» أفقد الفرح زويا القدرة على إيجاد الكلمات المناسبة، للتعبير عن مشاعرها «ولكن... ماذا سأقول لو الدتي؟» برغم هذا التساؤل، لم تكن زويا راغبة في إعادة الهدية إلى ماري. وهذا ما أدركته الامبراطورة.

«آه يا عزيزتي، تذكرت أن والدتك ليست مولعة بالكلاب. أليس كذلك؟ إننا مختلفتان حول هذا الأمر».

لا.. لا... أبداً قالت زويا وهي تشد سافا إلى صدرها بيد وتداعبها باليد الأخرى فيما سافا تمد لسانها الطويل لتلحس أذنها وعيناها تنتقلان بين زويا وماري والامبراطورة. حاولت زويا أن تحني رأسها، فما كان من سافا إلا أن راحت تداعب صدرها «كم هي جميلة؟ أحقاً هي لي؟».

«نعم إنها لك.. شرط أن تقدمي لي خدمة» قالت الإمبراطورة وهي ترمي جسدها على أحد الكرسيين الموجودين في الغرفة. لم تعد قادرة على الوقوف، أنهكها العمل، لاحظت زويا أن العمة ألكسندرا ترتدي ثياب عناصر الصليب الأحمر. هذا يعني أنها أمضت يومها بالإعتناء بالجرحي في القصر المجاور وهو العمل الذي ترغب من ماري القيام به. - أتريدين شرب الشاي يا أمي؟ قالت ماري.

- «أكثر مما تتصورين.. شكراً لك يا ماشكا» نادى ماري الخادمة أن تأتيها بالشاي، وما هي إلا لحظات حتى كانت الخادمة قد عادت بما طلب منها. سكبت ماري الشاي وأخذت كل من زويا وماري كوباً، فيماناولت الخادمة الكوب الثالث للأميراطورة التي التفتت إلى زويا قائلة:

- كيف حال جدتك يا ابنتي.. منذ شهر ونيف لم أراها.. فكما ترين، لا أحد وقتاً للاهتمام بزوجي وابنتي ماشكا.. ولا وقت لدي لزيارة سان بطرسبورغ.

- إنها بخير.. ولك الشكر يا عمتي ألكسندرا.

- ووالدتك؟

- بخير، لكن أمي خائفة أن يرسل أخي نيقولا إلى الجبهة، وهذا ما يجعلها عصبية نوعاً ما كما يقول والدي.

- إنها دائمة كذلك، يتتابها القلق والخوف. أنا دائماً أراها جالسة على كرسيها الهزاز بثيابها الحريرية البيضاء ووجهها الشاحب وشعرها الأشقر المتدلي على كتفيها، وعنقها المزين بأغلى المجوهرات، ولكن

دائماً أرى الخوف في عينيها. عند بداية الحرب، تميت عليها أن تنضم إلينا في الصليب الأحمر، لكنها اعتذرت بسبب عدم قدرتها على رؤية الآخرين يتعذبون ويتألمون. إنها ليست من النوع الذي يمتلك القدرة على مجابهة الحياة. أتمنى إبلاغها بحيي ونحياتي.

نظرت زويا إلى الخارج. فإذا بالعثمة تلف المكان، قفزت من مكانها وهي تصرخ:

- علي العودة إلى المنزل، وإلا ستصاب أمي بنوبة قلبية.

ضحكت الإمبراطورة «ولكن عليك إخبارها الحقيقة.. قولي لها أين كنت، أعرف أن الظنون والوساوس ستتابها من أن تلتقطي جرثومة الحصبة المنتشرة هنا».

- تأكدي لن أكذب، ولن أصاب بالحصبة، وفيما إذا أصبت فيكون مكتوباً علي ذلك، أتيت إلى هنا، أم لا..

تقدمت الإمبراطورة وغمرت زويا وقبلت وجنتيها:

- متعودين إلى ينك، أما أنا فسأعود للاعتناء بأولادي المرضى، وبالمسكينة آنا. خرجنا معاً: الإمبراطورة وزويا، وإذا بماري تلحق بها «أما تريدن ساقاً؟».

والنقت العيون المملوءة بالحب «أفعلاً هي لي؟».

نعم إنها لك.. لا أنكر أنها المفضلة لدي، ولكن أرغب أن تكون لك.. ضعها تحت معطفك. حتى تشعر بالحرارة والدفء فهي ما تزال صغيرة، عمرها أسابيع ليس أكثر. ولدت يوم عيد الميلاد الروسي.

ضحكت زويا، يعني أنها ولدت يوم كنا بزيارتكم أنا وأهلي..

الفصل الثاني

«زويا، عليك الذهاب الآن وإلا فعلاً ستصاب والدتك بنوبة جنون أو نوبة قلب».

نزلت زويا الأدراج وماري إلى جانبها، تساعدها على ارتداء معطفها، وفي الإسطبل، حيث كان فيودور بالنظر لها، تعانقتا من جديد.

«إنتهى لنفسك.. إياك والحصبة» قالت زويا.

«لا عليك..» قالت ماري وهي تناولها زجاجة العطر.

تقدم فيودور وساعدها بالصعود إلى العربة التي انطلقت عائدة نحو سان بطرسبورغ، فيما يد زويا تلوح لماري مودعة.

«علينا أن نسرع يا فيودور.. وإلا لن تكون أُمي راضية». كانت تقول هذا وهي على يقين، أن الخيل مهما أسرعت، فلن تكون في البيت قبل موعد العشاء.

انطلقت العربة عائدة إلى سان بطرسبورغ. فيودور بحث الخيول على الإسراع، حتى صارت وكأنها في سباق مع الظلمة. زويا تشد ساقا إلى صدرها، وتفكر بما ستقول لوالدتها، وأي عذر ستبتدع وكيف ستبررها. كانت تدرك تماماً أن والدتها لا تخاف عليها، طالما هي مع فيودور الذي يرعاها ويهتم بها منذ طفولتها، وكأنها ابنة له. غير أن تأخيرها، مع ذلك، سيمسب إزعاجاً، ولكن، ماذا عن هذا الجرو؟ كيف حصلت عليه؟

عند فونشانكا، انعطفت الخيول باتجاه القصر تلقائياً، ودون أي توجيه من فيودور. إنها تعرف طريقها، ليس إلى القصر وحسب، بل وحتى إلى المذود في الإسطبل. دقائق قليلة، وكان فيودور يمد يده لياخذ يد زويا ويساعدها على الترحل من العربة.

وقفت زويا وجهاً لوجه مع فيودور، وهي تنظر إليه نظرة توسل واستعطاف «أرجوك فيودور.. إنها هدية من الأميرة إسما ساقا، أرجوك خذها إلى غالينا في المطبخ، وأنا سأراها فيما بعد».

«أعرفين يا آنسة؟ أنا خائف أن تطيح والدتك برأسي، ولربما برأسك أنت».

«أعرف أنها لن تتوانى عن فعل هذا.. ولكن ربما بابا... يتشفع لي

عده، فبقيت تعودتني في كل وقت، وهذه هي الحياة التي كنت أريها
طلباً.. أسرع قيود دور، فأنا على عجلة من أمري».

بعد أن استأجرت بيتاً، عني.. في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
عده، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
في الطابق الثاني، ليماجنها صوت شقيقها.
- «توقف... من أنت؟»

استدارت زويا نحو شقيقها، الذي كان يقف عند أسفل الدرج
وبادرتة قائلة:

- ماذا تفعل هنا؟

تأملت شقيقها في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
سؤالي يتمين لو يتكرم عليهن بإتسامة...

- أين والدتي؟ تساءلت زويا.

- في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت

أين كنت؟

- كنت في الخارج... وعلى أن أسرع، لقد تأخرت.

ضحكت شقيقها ولمعت عيناها الخضراوان «من الأفضل ألا تبدلي
ثيابك.. وإلا عليك تحمل عصيها».

ترددت زويا قليلاً «وهل تفوهت بشي؟ هل رأيتهما؟».

- حتى الآن لا.. لقد وصلت لتوي... للتحدث مع والدي.

أسرعني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت

لم تكن زويا تفرك مدى تعبق شقيقها بها، ولا مدى اعتزازه بقوة
سحبته من زويا في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
كان على استعداد كلي لقتل أي واحد يحاول مس شجرة من شعرها.
في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
من الشهامة إلى حب التصحية، إنساناً يشبه والده.

أكملت زويا طريقها نحو غرفة نومها، لتعود، بعد عشر دقائق،
من كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
تعب أن تراها فيه، وهي - الآن حاصة - ترغب بكسب رضاها حتى
لا يسمعها كسبها في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
شقيقها، من حيث كان يحس بين حدته ووالدته، بطرة ساحرة.

كانت كم شبيهة، على غير عاداتها، تبدو شاحبة الوجه، ترتدي ثوباً
من كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
والدته، من كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
لنظر إلى زويا، نظرة تعبر عن عدم الرضا.

في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
من كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
ابتها، حتى أسرع زويا لتقبل وجبتها الماردتين.

بعد أن وصلت، في كل وقت، فبقيت تعودتني في كل وقت، فبقيت
كان عليّ زيارة صديقة غالية جداً على قلبي.. أنا فعلاً آسفة.. جد

كثيرا، وبعدها كتب همدا، وبعدها دحيت عمة الكسندر، ثم
الشاي معناه، ولم أشأ أن أكون قليلة التهذيب».

«فسمي أنا كبري فسمي ليهديت ممد كبري، فهي راحة عذبة
وأمة عمما وإن كان من بعيد ونحننا ونحترمتنا» قالت الحدة بنية جازمة
وهي عظم، عظمها حنجر من، عظم عظم كبري من، عظم
السفلى، وحده عظم من، عظم عظم من، عظم عظم
السما، أيام الشتاء، وكان لا أمل بحلول فصل الصيف.

«أعرف هذا» التفتته، منذ أسوع. كان بحال جيدة، أليس
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
وعن **جكالة** أبهرام روسيا بالحرب، إنها إشاعات يصعب تصديقها.
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
في سريرها طوال فترة الحمل يزوبا ونفقولا.

«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
لكنها كانت دحيت من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
اختلاطه بالناس، على عكس زوبا، المرحقة، البشوشة الوجه، المحبة
سحبها ولا حدة راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
الدعوات.

«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
مرة، عظم عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من

«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من

«وماذا عن القيصر؟» تسأل قسطنطين، «هل أخبرتك ماري؟»
«ماري لم تفعل ذلك، لكن العمة الكسندرا أخبرتني أنه عاد
مؤجراً إلى المنزل. وقد يعود ثانية إلى الحجة».

«أعرف هذا» التفتته، منذ أسوع. كان بحال جيدة، أليس
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
وعن **جكالة** أبهرام روسيا بالحرب، إنها إشاعات يصعب تصديقها.
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
في سريرها طوال فترة الحمل يزوبا ونفقولا.
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
لكنها كانت دحيت من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
اختلاطه بالناس، على عكس زوبا، المرحقة، البشوشة الوجه، المحبة
سحبها ولا حدة راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
الدعوات.
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
مرة، عظم عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من
«أنا» قال فقصص راحة عظم من، عظم عظم من، عظم عظم من

- ولديهم كلبيان آخران وقطة، وابن في حالة صحية سيئة
قد يؤدي به بن لوفاة - بعد عدة - قالت - مشرد -
إلى الوضع الصحي للأمير الكسي.

لا علاقة لمرض الأمير بكتات وبالغصص - من - بن - تحفظ -
'مي في مرنج' - 'ثقت بن وندته، نظره رجاء - في عني -
، فابتسمت موافقة رغبة في إحماد العاصفة التي هبت بسبب كذب،
مهم - كس، فهذه - نهضة، - من - عذتي، - من - بيعة -
بداتها.

«حسناً فليكن ذلك» قالت الكونتيسة الكبيرة.

«جيد جداً» اعتقد قسطنطين أنه توصل إلى حل يرضي ابته ولا
يعصب - حبه - في - عصب - - حسب - عصب، - كنه - -
أنه لن يراها قبل صباح اليوم التالي.

«حسناً - بن - ذاتي، - لا - فكسي - يعود - - كسي -
«هذا ما عليك فعنه» قالت الحدة وهي تربت على كتف حميدها
بدي - ك - محب - قبل - - - - -
طريق الخلاعة يا عزيزي».

«لا تصدقي كل ما تسمعين يا جدتي... عمت مساءً». قتل وجشها
ووضع يده على كتف وندته - أنت - صبح - عني - -
وهو يعمرها بين ذراعيه.

كهن - حسنه - - - - -
لو الدتلك».

- - - - -
عنداً «وداعاً أيها الصبي.. أنت فعلاً صبي مزعج».

- أنا لست صبياً، أنا رجل، أم أنك لا تميزين؟

- سأحاول التمييز يوماً ما.

لوح نيقولا ي مودعاً الجميع ومضى.

- - - - -
نفسه» قالت الحدة بفخر واعتزاز.

- إنه مزعج جداً، قالت زويا.

- - - - -
التمت نحو والدته «هل فعلاً ستحفظين بهذا الجرو؟».

- - - - -
بدويًا؟ هكذا سيكون عدي صديق صغير يسليني في وحدتي..

«شكراً يا جدتي» قالت زويا وخرجت من الغرفة لجلب سافا.

- إنها فتاة جميلة ورائعة يا قسطنطين نيقولا فينش.

- - - - -
كما يتصور أي إنسان.

الخطات وعادت زويا: «هذه هي يا جدتي.. أترين كم هي صغيرة..
أوليست جميلة؟».

- - - - -
به الأمر رائع

الفصل الثالث

أنت تكلم "كسندر" بعظمت هذه الهدية التي أنكرت في شكرها
 حيناً سمعي يا صغيري، عبيث مر عذبة، صبح نصحي يا بنت
 إياها إنسانة رائعة، لكن تو عكث صحتها يجعلها عصبية».

«لا عليك يا حدثي.. سأكون عند حسن ظلك».

ودعت الحدة وباء... وهذا حدث تدفق نحو حبيب حبيب
 في خيبة مقدسة محزنة، رقيقة... في قلبها في مهبها، فهي...
 قادرة على الذهاب والإياب عمردها.

شعب... في حرج عظمي، حبيب... في حرج عظمي...
 كل يوم وسعني بها، ومن حبيب... في حرج عظمي...
 نعد... في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 العطر الباريسي «ليلاس» وصادف.

به حبيب... في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 بالعودة إلى مقبر... في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 لماشكا.

بعد يومين، كانت زويا تفكر بزيارة ماري مجدداً، لكن، ما جاء به
 الدكتور فيدوروف من أخبار، جعلها تعدل عن هذا التفكير. ماري
 حسب... في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 الرنة... إذن عليها الانتظار، ليس لأيام، بل لأسابيع.

أرايت يا زويا؟ صاحت ناتاليا. «ومن ضمن الآن، أدك لن نصابي
 بالمشاكل وتحسين المتاعب...»

في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 الفراش في محاولة لتهدئة أعصابها.

في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 في حرج عظمي... في حرج عظمي...
 في حرج عظمي... في حرج عظمي...

وسمعت نساء في بغداد، كما في كل عام - وروى أحد، حدث سمع
حدث. وحدثه عنه أنكره ما كان من حدث - صافي هي لا
في رعاية جدتي، وقد بلغت لها سجداتها... من كل قلبي أحبك يا
ماري.. أحبك... أحبك».

التوقيع: زويا. وأرقت الرسالة بكتابين متعين كهدية.

بعد ظهر هذا يوم، عاد سفيق في كل شهر وقد حبس في
رأس في وحده، وهو من السنة والعمر، وقد كان سفيق حوله
وذهب، صطحبه بينه وبين سره في مدينة، لأحد حبه من مخرج
السيء بسبب أخبار ماري. كانت زويا، تدرك، أنه لربما لن يكون
تقدمها خروجه من مصر قبل أن، وقد تمصر أو قد يتصل... فبعد
رحلة غير منتطرة، تخفف من معاناتها النفسية.

- ما الذي جاء بك محمداً يا نيقولا، هل من أخبار سيئة؟

- «لا تفهمي بهكذا مخافات... لماذا تفكرين هكذا، أنت؟
الصغيرة؟» وأضاف «لكنك جميلة ورائعة».

عاد نيقولا زويا ويده، عن هذا راحياً، بعد محو له بعد ما سمعه
من خطابات نساء في مجلس يوم، فقد نفي أنكره كـ سكي،
خطابته يهددها، دعا فيه عن كل من خطره، وأمر ندي -
محوه، لأنه يعني أنه قد كهنه نسف ما لم يعمي، أي، في مراحله
نفسه ط وقد يكون لأحد من في البلاد مع ما يتصور البعض، وهذا
من سن نسفير له يقضي نسفير مكنه، في، في سفره في فهد،
في رحلة استجمام تستمر عشرة أيام. أخبار سيئة كثيرة، تراءت

من خبر من سمع به ناي، ونهر عرب - لا مناس سرني، لده
من لا ناي نوريه عسايد به ناي وناب زويا، فقد عرفت نسفير
على خط من مسكي، وأصبح سفيق، وحدث لأشهر كعرو من مردي
- ما رأيت به زويا نكن بنقولا، أصر على ما سن وقته، أن لا
سي يذهب من فهد - وهو ما لم يذهب من فهد، فظهرت أنها تصدق
ما يقول.

- «لأمر... مع أنه سدي عهد لأهمل زويا، لكن محو وث نسب
في نسب، إنما النقطة الأهم، هل تعتقدون أنه من الصواب إزعاج
والد...؟» لقد علمت أن من خبر ناي، ما لم يذهب
في سفيقك، وأن الطبيب زارها مرتين».

- «لا ناس نسبي، من نسب ما سمعه من نايك، فهد، وقد عن
مرض ماشكا».

- «وأنت التالية.. اليس كذلك؟».

- «لا تكن غيباً، فأنا لن أمرض أبداً».

- «لا تجزمي في أمور كهذه. بالطبع لن تذهبي إلى هناك مجدداً».

- «لن أسمع لي بذلك، ولا أحد بإمكانه زيارتهم.. إنما المسكينة
أستازيا، تعاني من آلام في الأذن».

- «قريباً سيكونون بخير، عندئذ يمكنك زيارتهم ساعة تشائين».

حدث... - لانه لم يعمه على فهد شفيقه... كمن
بحال راقصتك يا نيقولا؟».

۱۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۲۔ لا حد، حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۳۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۴۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۵۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۶۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۷۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۸۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۹۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد
۱۰۔ حد کی بات ہو کر لا حد، حد کا نامہ علی محض حد ولا حد

عني ربه سي تعني منقده من قصه (آخر) وتقصي قصته يصعب علي
من بحث لو ش عاب معج ، وفي في سجد ، ر د ر ت م معي
معاناة هؤلاء الناس «أعني لو نقدم لهم بعضاً مما لدينا».

كما يسمى ذلك أحزاباً صغرى. ولكن حيث تعرفون
حيث بشر كثير جداً فليس في مسوئله و هذا هو حاله بعد
والله و الله خير خبيره رزق الله و الله
الحفلات ولا للشباب العاهرة».

- «وہل هذا عمل سي،؟ أعي ما نقوم به؟».

لا تفسد هذا الهدا.

— اے کہیں کسی نے یہ سنا ہے کہ میں نے یہاں سے کچھ لے لیا ہے؟
 اتنے فدیہ دلت؟»۔

۱- الا نكته في حقه، يا صعبه بي عقد في حد - فضل سورة في
سورة مريم، وورد في باب في حد، وورد في حد - فضل سورة مريم
في رقي مسجود^۹ من عقد نكته، لا نكته في حد حص
- من مذهب يا حاشي چه لا عرف - عقد لا و لا نكته نكته
ونقيه أم د عاده، چه شر صول ولا عقد - حد نكته

۱- خنککه به سی نه پستجیل علی هوژا- مدنی ن يعرف مدنی هو
د حل قصیر چه لا يعرف مدنی ختمه حیتیر مدنی و لا نه
سبب مرصی نه، و لا هو عرف مدنی و هوژا، اشیر، مدنی نوقبه

... ح عليه واولاده، ثم واولاده، حدود، حدود كويس
... بانه ممكن من رتبة تقصير بالخصم على صحة الاولاد
... كذا، لكنني معي ان الخطوب في حدود خارج

المنزل.

بإمكان الطفل أن يحيطه بيد واحدة.

— «جدتی.. اینه لامر مُعل...».

حکماً لب لا حرج من نشأ عسى، كثيرة... الحدیثی محمد، کس
أحدًا لم يقل ذلك بهذه الوقاحة».

- اسمه حدیسی و کنی غنی ثانی است، در حدیث مسجود لاری
فته و حتی شصتی و بعد از آن بن سب کاتب، لاسی و الیوم معه»

ثين فيما بعد، أن عدم حضوره، كان بسبب، إعلان الجنرال
جوف مع لخمدة، لظهور، وشديد على كل من يحالف
هم، وأمر مستعجل ويرسل لصال على خطوط لأمنية لخمدة، لكن
جوف، يكثر. هـ، إعلان، وسبب لصال في لظهور
لأحد، في ساحة نورج، م، على حمر نيد، وصولاً إلى
جميع شوارع المدينة.

حمده و نصفه ، مدّ خود بخلاف ندر نظریات ساس العاصی
مجموعه فی ساحة بیشکلی مقاصد قصر بیشکوف فی اصول

ساعات سقط ما لا يحصى على ماضي فليس، و بعض النعمان من الناس
عديدين، في حدود أنفسهم، فرفض حرام من شره كما قد يسكني جلاله
سار على حمده، ليس هو وحده، بل حتى أنهم وجدوا رصاص
ساقطهم في صدور كبار صباط، وأمر بني سيد علي برفع السلاح

أراد فسططين، بقضي حقيقة من بحري نفسه، فمر من نفسه
نيزي يوم معين، ما لا يعرف أحد من الناس، لا يعرف به جميع
ع صبه، و حصة بضمه، و ليعلم به من حرمه حصة كنيسة
دافوسكي من أنفسهم، و ما بعد ذلك من حصار بشره فسه جدا
نكره ما كان يعني ذلك، و بعد ما من بعد ذلك من ما هو يقدر
لأخبار، حاصه عن ولده بعد الذي في حرمه بعد ذلك من ما هو
من قصر رذيل، حيث ما من ذلك من برقصه، و بعده من ما هو
الخمر و سائر من قطع، و ما من ذلك من بعد ذلك، على بعد من
بني أكثر، بسقط حجاج قلبي سبب من جهة ما من حرمه
فستطش أن حقت ما من به، و رأى أنه لا بد من مقابلة نفسه
بالبولوغي صبيحة اليوم التالي.

من بعد ظهر فستطش في قصره، فرأى حدود واحد لا يحيط به، و قد
فوت، سمع صرجه و بكاء، أحس نفسه بقصره، و قد رأى من كان
يحشى حدوثه، و حدث ما ينبغي به، و " فمرب اندموج من
عبيه عريفة، و حلال حدث في بقولاي فصرح بالده، و قد قدم أحد
عناصر دافوسكي على طاق في سار غيبه و صيب سبع رصاصات،
على ما أحده أحد حدود أمر فسططين بدخول بقولاي و دخول
القصر، و طلب من فيودور إحضار طبيب زوجته بأسرع وقت.

و ك جمع به وقت رآه، و أنه لا يحل لأفاد حبه بقولاي، لا
حبه به به كثر بقولاي بطريق و لده بعض حامدين، في لغة
بكره، و فست من جميع خدم، فحضر المصادات في محاولة توقف
ما من جميع عائلة حول حبه، فيما دمه بسبب على السلاط
حامي و من السجاد و السطركع روي، و حاس شقيقه، و حبه
شاحب، لا يحتمل لونه عن لون الطيشور «بقولاي.. بقولاي..
أحبك أكثر مما يتصور عقل.. أنا زوييا.. أنا بحاجة إليك يا أخي».

و بعد ذلك من بقولاي صلات متقطع، و كذا السجاد
حبه و لا من أحد، و حتى أنه لا يعرف من هو فست من روي
لم يبق نورتها لتضع من قماشها ضماكات لجراح بقولاي.

حتى فستطش من حبه و دونه موبع لا كف عن لأهم
من ما من و لده، و روي كوي ما طيبة، و حدث
زوييا «قال هذا و ابسم آخر ابتسامة. لقد رحل بقولاي الصغير.
أعني على ناتاليا، فيما الكل، حتى فيودور، يبكي و يتحب.

من بعد ذلك من بقولاي «دع خدم يا حدود خة في لظام
من، مسكت به سبه، حبه في عرفة نكتة، أحسه على
كرسيه. لم يعد هناك مجال لفعل شيء، أو حتى لقول شيء، لم يعد
ما من معنى ولا أثر، و مقببه كبيرة كدت روي من حبه، ثمست
من، و كذا تسعد قوة قصر من حبه، ثمسي حسن مواجبة
النكات.

من بعد يتحجب من و حبه و لده ما من، أحبه على ندون لفصل

الفصل الرابع

الأم هي أنه يكون بين بقولاي ما بين محمد علي سريره في العرفه
التي عرفه صفاً، مشاعراً حساً وهدوءاً حاراً، في العرفه التي أودعها
حاشية، مائة، ثم بدأ يردد برصه، وسماع من حوله بصافه
إلى ورود حمراء ويضاء مشورة قربه على السرير أو فوق جثته.

من بعد سماع، و بعد سماع بصره، في كسب قبل سماع
التي هي، بغير، وما بين بعد فرق عسكرة كبره، ثم ردت على قاذب
و شملت إلى سماع بعد حسن حاشية التي كانت حمراء في بين مركز
حكمه في إلا، فوجد أو حرق، من لصر بعد إلى قذبه قدس
عمرس وهاش مرور، فسمع لأصحه، سكت عسكرة، ورة
الداحية ومقر البوليس السري.

بعد و صرح، هناك مرأ حصر كثير مما كان في وجه السفرة
نظره في، و في، و ما بين الحصر يعود إلى الحصة
و سكت حكومه فوري، فسيطره على الوضع، و يكن الحصر ودر
على مشعب لذي حري، و حري، و ما بين، و كبت مدينة هادنة،
و اليوم فهي مدينة ثوب و لاساح، بحيث أن يكون في مقر الحيازة
العسكرة في موعسب على حجة، وفي وقت دة عليه يعود،
حرسه بعد أن تلقى إتصلاً من رئيس مجلس الدوما، أبلغه فيه، أن عائلته

م بعد في ماض من حصر، وأصبح عليه أن يعتاد، وأن يترك من الحزن ووجع
وولادة مرضى حتى لا يصاب بمرضه بعد ذلك حتى يشفى. لا بد
هل ما يجري هو مجرد أعمال شغب، أم هو ثورة حقيقية؟

عبر عن حزنه، رغم سنده العاصفة السخية، من سمع
لأمره في صرعه في ممره في ذلك اليوم، وضعه تحت تصرف
أحمد حمزة، الذي موته في ليله الخامسة مع زواجه. لكن
أحمد، رقيب الأسيرة في صلبه منذ كان في عذراء، لم يترك
عذره في صرعه، موضحاً أن أولاده في وضع صحي لا يسمح به
لنفسه، ويحضره في بي بي، إضافة إلى حصة، يلقى من الجوع في
بعضها. لكن مستعرباً، أن حبه في رأس، حمزة، ليس كان
حاجباً يثق بهم، انقلبوا عليه وانضموا إلى الثوار.

في يومه، أحرق قلبه في عذره في بي بي، وحب، فاستقر
كان بدون قصة، وأذهب، لأنه كان في ركن حقيقته، **رواية**، **أحمد**
وأنه، مستعرباً، بوضع حبه في رأسه في **شباب**، **أحمد**
وأنه، مستعرباً، وعذره حاضراً من حبه، **أحمد**، **أحمد**
كان حبه، من صرعه محبوه فعلاً، داخل وخارج من عذره، مستعرباً
حبه وحبه في بي بي، مستعرباً عذره في بي بي، **أحمد**، **أحمد**
كل مكان.

أحمد عيباً في بي بي، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
عيناها فأصوات الرصاص تنقطع حيناً وتتواصل أحياناً.

«ليس غفيرة» فعل شيء، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
رواية، صغي حبات رأسه في بي بي، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

حبه حيدة، محككة كدهم حبات من عني ثمة، حبة واحدة في
بي بي، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
في عذره، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
من صرعه، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

«وماذا سيفعل بي...» قالت زويا دون أن تكون قادرة على لفظ اسم
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

سيفعل كل شيء، في عذره، كان عذره، صغير بي، عيب، عيب
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**
أحمد، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**، **أحمد**

والتحضير له من مصر في حد مائة ألف من خمر مسويج قبل
فوت دأولها عشرين ألفاً - مكمل ذلك - من خمر مسويج
لأمره من قبله - لكن في مصر في خمر مسويج وروحه
وإقامة حفلة.

— «زوجك ينتظركِ هناك». حدثت زويا بحدثها العجوز، عرفتُها
بأنه حينئذٍ قد مضى، لكنني لم أعرفه. لم أعرفه ولم أعرفه على
مواجهة أصعب اللحظات بوعي كامل.

[illegible][illegible]

.. ولكن لن اسمح لاحد ان يقتل اُمي .. ارحوك جدتي».

— لم يعد بمقدورك فعل شيء، انتهى كل شيء يا اهتي.

عبد شمس حتمي منصب، کمر فمودور لاسطرا، حت لا
متمردون، وزویا ما تزال تصر علی محاولة إقصاد والدتها.

«علينا المغادرة الآن» قالت الجدة بصوت حازم، وسمع دوي

[illegible]

الفصل الخامس

... فليس حب يعرفه سعد سداً به - تسلي بقرة حيرة
عليه مع فطوسها، وقد - ساهى به برقع، مسجماً ما كان ذات يوم
وقد - وأنت - عشت فيه - نحد قدود - قدومه غير شمع - خضرة،
قد - صعب حده - وروا - خدات حب قد مهما وساق - بعد من
صنيع - د منب مثل روبا، - عود - عود - لا أن أحد لم
يعترض طريقهم.

... خمس، خمس عشر من أدب، خمس تقصير يقر - نرفه بي
مب - له - حب - لا، قدومه - السحي على سيقه - كان وجهه - حب
... من فقد - شحوب - وجه - روي - وهي - من - خرس - ربح - سعد
من حبها - من - من - هي - حده، لا يعرف - ثبت - عدا
- سعد - له - وقد - تقصير، - كس - روي - بأكبر - لا تقصير - روي
... تسليها - حب - يد - كس - حنته - قدوده - فنعما - تحريك في - عرفة
... في - روي - فيه - كس - من - حب - حتى - لا - مصي
... كس - حر - روي - عرفة - ندم - يقصر - عسيف، كيف - كاس
نعتة بالأحق حيناً وبالسيف أحياناً.

عفت - روي - قدومه، - خمس - روي - في - نعمة - نفع - روي
... قد كرت - روي - روي - روي - روي - لا - نعمة - روي

— والقصر؟ صاحت إيفيحنيا.

الفصل السادس

كانت الأيام التي تلت عودة نيقولا، أيام خوف وصمت رهيب.
وفي وقت ذاك كان هناك سعة من دماء، قد فقدت حاسة كل
شيء، منهم أنهم ما يزالون حيا. يرون أن بقية لا ينقصي، وأنه يجهل
بشيء، وخاصة في شيء كذا من نصيب حائه فقد عن
حسبه، هناك أنهارت بدماء، وحده مرتفعه بشك ذنوبه وروا لا
تعارفها إلا نادراً، تحاول التخفيف عنها.

- ماشكا.. إشر بي قليلاً من الماء.. إكراماً لزويا..

- صدقي زويا، ليس بمقدوري.. حنحرتي تؤلمني..

فعلاً كانت ماري غير قادرة، ليس على شرب الماء وحسب، بل
على من يمكنه ذلك هو هي وأكثر خدماً من يدكرب، على
الرحلات على متن اليخت، أو عن لعب التنس في ليغاديا.

- يدكرب، ما شكك في شعورني ضعف وحنس مارجع...
معي، هل ترغبين برؤيتها؟

- فيما بعد... عياني متعتان.. أنا فعلاً لست بخير.

- حسناً إذن... حاولي أن تنامي..

نہایت مری حد۔ اچھے سفر۔ وہم تخیلات۔ نصیحتیں۔ یہی
ہے لایہ؟ مرنے کی حد۔ اچھے۔ اچھے۔ اچھے۔ اچھے۔ اچھے۔ اچھے۔

— «أنا لك يا صغيرتي...» قالت الجدّة وهي تداعب شعرها، ثمّاً

- «ولكن إلى أين منذهب؟».

سب دي ستورا سفر کن سي، وويرا کن شي، پرکافي
ملندا او فرنسا او سويسرا، المهم الا يقى هيا.

«لكننا لا نعرف أحداً هناك».

«هذا لبعض الوقت... علينا الاتكال على الله، والثواب به يا صغيرتي، كما علينا الرحيل، ساعة يقرر نيقولا».

— «لا أقدر يا جدتي...»

- متى سمعتموه ينادي في بيتي : يا لاد، فهم في حالة لا تسمح باستيعاب الأمور».

— «وماذا أقول لها شكراً؟».

ایہا لحظات حزن و وجع و اُم۔ خسرت کل شیء۔۔ ایہا، کنتہا،
حقیقہ، وں تحسیر حقدہا حبیبہا، کن حاتمہ ہی روا،

١٠ لا حد غير رطب بعد بـ فنتة حد عسى يقولوا وأكسدرأ
١١ لا يولد، ولكن من عصا هي عدم قدرة عسى فعل شيء، وعسى

بهذوء، تقدمت من السرير، ولامست وجنتيها «ماشكا...» حاولت ماري أن تجلس لكنها عجزت.

- «هل من أخبار سيئة؟»

- «لا.. ولكن.. أنا ذاهبة إلى سان بطرسبورغ برفقة جدتي».

م من حقيقته، قد وعدت جميع، ولكن حبيبته لا يحرم حقيقته وأيه حقيقته؟ كل ماري تمت حبيبته سادسة معصية اليوم، جعل المرض.

- «هل الطريق آمنة؟» تساءلت ماري.

- «بالطبع» كذبت زويا، فأبكتها بعد ذلك، لا بد كان ما كذب من ذلك، ورحلت ترحب به أن يحبه لنداء على عدم ليك، كذبت حتى أن جهش بك، أمم ماري، ومدت يدها بها «عند»

- «هناك شيء حدث.. أليس كذلك؟ إلى أين أنتما ذاهبتان؟»

- «إلى المنزل في سان بطرسبورغ... وقرية سأعود إلى هنا».

حدثت وعمرت ماري، عشت، سعدني، وبلاش أعوذ بربك «وهل ستكتبين إلي؟»

- «بالطبع سأفعل» حدث، منك، حدث كثر ثم صرخت.

- «وأنا كذلك يا زويا».

عادت ماري ووضعت رأسها على الوسادة وأصدرت سعالاً حاداً.
- أرجوك! انتهي بصحتك. انحنى زويا لتطبع آخر قبلة على

وجنتي ماشكا، وتخرج من الغرفة بسرعة. أقفلت الباب وراءها بهذوء، وسمحت للدمع أن ينهمر.

مصر، ولامت فديرة، حبيبته، كبر، وتصرفت في نصوص لأول وفيودور ينتظر عند مدخل القصر.

كادت رجلاً زويا أن تتعثر وهي تنزل الدرج، لآخر مرة.

- «هل هي بحير؟» تساءلت ألكسندرا.

- «أخبرتها أنني عائدة إلى سان بطرسبورغ».

كل ع في ليك، أحدهم سيف لا بين دراعه، فليس حبيبته، ثم بعد ذلك عنه، راح ينام في، لدمع في عيشه والابتسامة على شفتيه. ثم غمر عيشه بحنان وحب، وضع رأسه على كتفها.

- «أرجو مدينتي، فصحبتك ووداد، بل سطر اليوم سدي يعود وستفي فيه. وقرية، إن شاء الله».

استغني لكم كل لحظة، لكن أربح بحسبك». وقدمت بحو كسبه، فيما نبت، وب، وقعه، بكاء لا يرى حاداً، ولدموع ينهمر على الحدين وتعشي العينين.

هنمتي نفسك، حافظني على صحتك، كمنى لشدة، لعادل للأولاد».

كسي لند، فنت لكسدر، صوت حزين، ثم ما كمن، فانت ماري... سكرو، فنت عبيكم، ومات لكسدر بحورون، فنت كات، وما ترال، تعتبرها واحدة من بناتها، وشدتها إلى صدرها.

الفصل الثامن

پایس

نقد نقد قبوله، صفت حد، بی شک و تردید،
فصل حیات، قصه، و بی شک، صفت حد، و نقد
و نقد، بی شک، حد، و بی شک، و نقد، و نقد، و نقد،
و دعا.

وسط حجاب حبيب مريم، وبكك داب رويدا، رحيه حبيبة،
لا بل حياة جديدة. لا عودة، بعد اليوم إلى هذا القصر، ولربما لن يرى
نصديقة لأعني عيني، وأحب لها الحبيب حبيب كل من، أمي،
حبيب، ورويدا، وذكرات حبيب حبيب، حتى سافر، سحب
بصوت حزين وكأنها تنسري أن لا عودة إلى هنا ثانية.

وادی و احسانی و آب، شعیب سرحد، و سبع سافه و حداد
تهت اطرین و حدید حد، و لا و ای و سبع شامه عشد من عمر
بعد اف الحمیع و سقطنه و یقولای صغیر، و سباب، و فیضیر
و نکسدر و نه لادهما، صار و من ماصی مدی لایسی، ماصی مدی
سیفی محفیر فی صاهره، و نه دی و نه لا یعود

1 - نوركو: مرفأ بحري فنلندي على خليج بوتنيا، جنوب غرب فنلندا، وعلى بعد 150 كلم من العاصمة هلسنكي، بالإتحاد العربي الشمالي - المترجم

وتسعد عنها منصرفاً، أن يبقى وأما صاحب لندن ما عده موجودين.
أما، وأما وأما، يبقى سؤال شارق بأنه أهل تحت حيا
ماشكا؟».

تهدت خذده، هي برد على سنان حفيدتها، سحابة من سحابة
صغيرة، وحدثت بشحوب وسهول، فهي، مند مسيرات صبيحة، وتر
باريس، ولا شك أمور كثيرة عبرت في هذه المدينة كل همها،
هو روياء، بعد مفرح، أن به، سحابة من سحابة، وأخيرة
على الاستمرار لرعايتها.

نطرت إلى حفيدتها، فرأت وجهاً شاحباً، مدت يدها ولا مست
حينها، فالتفت إليها بحزن، هي تلك السحابة، كانت روياء من سحابة
السحابة، فحدثت خذده، أن تكون زينة، روياء هي السحابة
في ذلك.

فيل منتصف الليل، وبعد رحلة دامت عشر ساعات في القطار،
وصلت إلى باريس، فاستقبلت خذده، فيودور ليبحث عن
سحابة خذده، فحدثت روياء على رصيف محطة القطار، وأريد
لعودته، فالتفت روياء وهي حزين، فالتفت روياء.

سيكون ذلك يا ابنتي.. فقد ذهب فيودور ليبحث عن سيارة أجرة.
لكن روياء عرفت في سحابة، روياء، أن كل دمه يدور
هي تلك حبة بصل، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
تسار سكووي سيلو».

من حديد تهدت حث، وهي لأخدها، فحدثت روياء على
لعودته، فالتفت روياء، وأخيرة، فالتفت روياء.

من الفكر أخذ منهم، وأما من ذلك، أن السائق، فالتفت
سحابة، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
«لأن».

بعد أن وقعت عيناها على زويا العارقة في البكاء:

هل هي مريضة؟

لا.. إنها متعبة فقط، قالت إيفيجيا.

من أين أتت؟ سألته فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من راحة، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
عندها سوى إيجاد فندق واستدعاء طبيب لمعاينة زويا.

مكنت رشاد، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.

كانت إيفيجيا، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من راحة، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
ما لتأمين احتياجات زويا، ولا أحد غير زويا.

هل من منطقة معينة سيدتي؟ تسأل السائق.

لا.. إنما شرط أن يكون في حي راق ومختشم» ليس فيودور

خذده، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من راحة، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
من روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء، فالتفت روياء.
مررها

- بوقت كمن جعد، تكب مع أنه مع حديد، ولا كـ بي سعيد
سعداء هنا.. علينا أن نحاول.

- ولكن ليس كذلك الحياة التي كنا نحياها في روسيا.

- المهم أنك ما تزالين أمامي وتحت ناظري.

في تلك الليلة، غرقت الجدة في نوم عميق، استعلت زويا الفرصة
وتسللت من السرير لجلب صورة من حقيبتها؛ صورة كان القيصر قد
تقطعت في بغداد، صورة صورة حبيب حبيب معاً، روي، روي،
ساري، روي وماري ساطع، ورحب حبيب ساري، روي، روي في
صدره «أرى ما لدي حبيب» ساري وهي تقسم حبيب
صدرها.

الفصل التاسع

تعافت زويا، وعادت الحيوية إلى جسدها، والتورّد إلى خديها،
والتسامح إلى مهبها، وعادت عيدها، شعور برضا، أسى لحده،
عبد، معدة وعذاب رحلة دامت أكثر من ثلاثة أسابيع، غير أنه لم
يعد في قلبها لا سمر في رعبها ولا غت، بها وتفكيرها تسلسل.
في الماضي، لم يكن يتفكر وحده مسؤولية عن روي، كان هناك
مستفسر، روي، روي، روي، حتى يقصر ولا يمر ضوره أحباب، أما
اليوم، فأين هم هؤلاء؟

سمر سمر ساري، دحمت ما من لطف، ولا صمتان، في
مبارك مكنتها عجزت، عن روح حلق وخوف من تفكيرها، بها قنفة
على روي ومصيرها، وحديقة من لأم لآية إنها اليوم أمام يدية حياه
حده، نحيف كذا، عن حدة التي تعودت عليها، ولا مدح ولا
إسراف.

لا بد من سنحار شقة صغيرة فهي أخص لنفسه لأكثر من مال
لدي أعطاه به القيصر، وتكليف لإقامه في فندق بهظه صار
- ما بيع حصص من عوهرت التي ما برح حدة في تلك شيا أو تحت
بطاقتها.

دات يوم مشمس، أوصت فيودور البقاء مع زويا والاهتمام بها
وسدعت سائر شؤنها. حررت صبيها من صانع في سراج آل ميسير. تسع
عقد من الياقوت. ما إن أعطت العنوات للسانق، حتى التفت إليها
وسراج بحدث به. في مجلس من بعده، صعد من تحتها صبي صغير
والشاربين، بهي الطلة.

- أيعقل هذا؟.. أهذه أنت سيدتي الكونتيسة؟

تمعت الحدة بوجهه، وبها للمفاجأة؟ إنه الأمير فلاديمير
ماركفيسكي. صديق عمك فلاديمير. من قبله في موسكو ومعه
لديه لآلة، لقد عشت. وقد عشت. وقد عشت. وقد عشت. وقد عشت.
رفسته، بسبب طيشه واستهتاره في الحياة.

- كيف وصلت إلى هنا.. سيدتي الكونتيسة؟

ضحكت وهي تهر رأسها تعجباً لصدف الحياة. في باريس، تسمى
أحبها ما في موسكو. في موسكو، في موسكو. في موسكو. في موسكو.
إثيجيبا، أن نلاء روسيا، تحولوا إلى سائق ميارات أجرة، وأن عبيد
الاستعداد لتعبير غمط حياة تعودوا عليه. روت له، كل ما حصل، حتى
يأدق التفاصيل، لكن حكاية خروجه، كانت أكثر إيلاماً.

- إذن أنت تقيمين في هذا الفندق؟

- نعم، إنما لفترة قصيرة، فعلياً، أنا وزويا، البحث عن شقة.

- آه.. وزويا أيضاً هنا؟ لا بد أنها صارت صبية، وماذا عن ناتاليا؟

ناتاليا كانت بدورها صديقة لروحته، وآلمه جداً ما فعل الثوار في
قصر فورتانكا.

- قتلت هي أيضاً.. كان ذلك بعد أيام من مقتل قسطنطين
ويقولاي.

كان ما يزال من الصعب عليها أن تذكر ما حدث؛ أن تذكر جسد
جدهم الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له.
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
سبح الله، سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له.
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
ابتي العزيزاء.

- كلنا آسفون يا فلاديمير. إنما الأسف الأكبر هو على القيصر
والكسندرا وعانتتهما. هل وصلتك أية أخبار عنهما؟

- «لا شيء على الإطلاق.. كل ما أعرفه، هو أنهم ما يزالون تحت
روية. حالي في قصر بستانسكي، وأنه وحده معي. في موسكو.
سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له، الذي سجد له.
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
حتى أنه دله على ما فيه من قول القائل حدثت لي مكان
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
ويزداد عددهم يوماً بعد يوم.

في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.

في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو، في موسكو.
لاجنون هنا.

برو۔ سدا سے عرفہ و حدود، و لآخری تھیودور، کما نفع من
- یا لطیف یا جَدُّنی ..

« قطع، لن تكون هذه سحابة، كنت متسوعة من رأوسك،
 لي كنت عرف قصر فوسك، كنت من مصي، ومصي مصي.
 - آسفة حدثي... »

كنت روبا، عرفة في فكر حري، فكر بعيدة وعربة حدث عن
 كنت لي بدور في رأس حدث، كنت عند رأسها من رودة السرة،
 لرفف لشوع خديعة، ولشد بيرة بحصة، كنت تفكر في هو
 نعم بكتير لما يشعل بالحدث، ففد من وجه حاد دانه ويسكن
 ليس في قصر، كما في شمة وسعة مريحة، وفي حافة دانه، كنت
 تفكر، ما متعنه حدثها، بعد لوصف، في الحاش، حب لمضي سبها،
 تصع لوضع مشترك، وبعد حطط، وحصد، وأو مر يقبه دور
 بالذهب لشراء الأثاث والسجاد.

بوجه خضع - شاعر لاميرو ما كة فسكي وهو يرحل من
 لسيرة لكن متحده - ي، كنت في عة روبا - لعمد برفه - من
 مرفعة فيه دور الأمر لدي ثار حقيقته فحبيب، ورفعة، رفعة
 مطلقاً، لكن زويا، التي ورثت عن حدثها لون العبد، وخطته ليهيه،
 والعاد أيضاً وإرادة التحدي.

- لن أذهب بعيداً.. وأعدك لن أتاخر.

- أسمحين لي بمرافقتك.

- لا... إبقى هنا، وستناول الشاي معاً بعد عودتي.

تهبت الحدة فهي تعي - روبا ليوم، هي غير روبا الحقيقية، لكنها
 اليوم مسؤولة عنها أكثر من أي يوم مضى.

وعلى مضض سمحت الجدة لحفيدتها بالخروج وحيدة.
 ما إن خرجت زويا من الفندق، ووطأت قدمها رصيف الشارع،
 حتى أوقفت سائق سيارة أجرة. متسوعة له أن يكون يتكلم الروسية
 - في الشجيرة من قصص وعادات متصرع، في له، راحة
 خديعة أن يكون لسائق يعرف أنواع مقصود، ولكن سرعان ما
 وجدت، أن الله استجاب لدعائها.

متسوعة رحت من سيرة، ودحت مضي، وهي تستعيد أحلامها
 حصة بالذهب في ماريسكي، وقد كنت بقوله ماري عن حدثها
 بكتير، وكنت مريحة كبيرة، حين رأيت سيدة، شابت رقص لثاية
 ففد بعض لثمة بات، أدركت أن هذه المرأة، ليست رفقة وحسب،
 بل مديرة سجدت كني بدمت وأخرت عن رعتها عفاة السيد
 دياغيليف.

- الآن؟... وهل لي أن أعرف لماذا؟

- أنا راقصة، وأرغب بإداء الاختبار أمامه.

- سطر روبا مريد من لأسنة، من أسرع، وقدمت للسيدة كل
 أوراقها الثوتية، بما فيها العائدة للسيدة ناستوفا...

- حساً، هن سبق ونقنته، سابقاً؟ سؤال فظ فعلاً، لكن لسيدة لم
 سطر الخوف، بل باعت تقول الكنت آية شيب، لا تناسب مع تجربة
 (الإداء).

تهبت روبا لما برتدي، ثورة صوفيه رررر، وقصصاً د يفة شبة
 بفت فمضان لبحرة، وحذاء حدياسود، ما رلت تمنعه مند

حروجه من نمارسكه ي سيدو حدقت سيده به وهي تنسمه،
«بالنعل بها فته صغيره وريده، ويصعب تصديق ثياب حدة في حلق
رغبته».

- أعتذر سيدتي، هل بمقدوري العودة غداً.. هل هو ها؟

- لا... لكنه سيحضر قريباً، إنه سيبدأ التعريبات عند العاشرة.

- أسمع ذلك... عدي في رقص مدام، لا يصعد في رقصه

ضحكت السيدة بصوت عال وهي تقول «الآن.. الآن.. وأين
لمرت سابقاً؟».

- في مدرسة السيدة نامتوفا، وتركها منذ شهرين ليس أكثر.

وعلى أن يحدث ويقع، في ما يسكني هذا، لكنني لم أكن
الخفيفة هذا أفضل... كنت... هذه مدرسة السيدة... هي
واحدة من أكثر مدارس الباليه شهرة في روسيا؟

- و... اختصرت تلك... رقص واحد، فهل تفضل؟

- نعم.. إذا كان هذا لا يسبب لك إزعاجاً.

أحست زويا بفرح عظيم، الآن ستحصل على عمل يعيها على
الحياة ويؤمن حياة لائقة لجذتها.

كان الخدم صنف، لكن... ما ذكرت من كتب رددت سيده
بسمه فاعني مسامعها من... ومدح وخدير كانت سيده تعرف
عني ليا ورويا تصديق علي خشمه برحب... مع... تلك الحصة،
نار برحب سيده شي كانت رقص حركتها، فيما لم يصبها عتب
أوتار البيانو، رقصت زويا ساعة كاملة، دون تعب ولا ملل.

- فقت سيده عن عرف، وأحب... هل يمكنك عودته بعد
يومين يا آنسة؟».

سرحت... «هل حصلت علي نصيبه؟ هل سأكون
صمن عديد الفرقة؟».

- لا.. لكنه بعد يومين، سيكون دياغيليف هنا، وسنرى ماذا
سيقول، كذلك هناك أساتذة آخرون.

- حسب... سير حد...

- لم يترك حداء؟ قالت السيدة بتعجب واندهاش.

في الحصة... لا... فقد... كل شيء... في... هل أم... سلفي
على... فأكث من... فقد حادي... علي... بعد
... فلا مال لدينا، وعلي إعالتها.

كلمات قليلة، اختصرت مجلدات، كلمات قليلة، لامست قلب
السيدة.

- كم عمرك يا آنسة؟

... حيرة... كان... في... رقص... هذه
... حيرة...

- أنت رائعة زويا.. بعض النظر عما سيقوله دياغيليف أو
... لا تسمح لي لأحد أن يحبط من عزمك.. أنت رائعة.

سمحت زويا لنفسها أن تضحك بصوت عال، هذا ما قالته لماري
يوم زيارتها قبل إصابتها بالحصّة.

الفصل العاشر

شكرًا شكرًا حريلاً كانت تزعج نفسها من صدرها وتفسدها،
لكنها لم تكن تفهم كيف كانت عذوب ما ترون نورها، فهي سرقص
أمام دماغها، لكن هذه المرأة، عفتها نداءً، فوق هذا كله، هـ هـ
خدمها، قد يتحول في قلبه ومن يدري فقد يكون سارقاً لنفسه
انطلاقاً.

- في المرة القادمة، سارقص أفضل، فمئذ شهرين لم أتمكن..

- إذن ستبدعين يا زويا.

و الآن عني نعود من حدي، بها نظري مشرب ساري معاً

دحيت روي عرفة فاحس، وعادت، رندة سورتها بصوتها
وقبيلها د سفة بحره، وحدها حدي وأعود، ومن حروحي
عادت وشكرت السيدة وهي تتساءل «في أي وقت؟».

- لساعة ثمانية ظهرًا حكت السيدة حبيب كنها حروحي
تذكر شيئاً غلباً نسبي من تذكرني سحبت؟

- روي أوسيو

حروحي روي، والسيدة لاحظها نظرتها، مسعده ذكرى أول مرة
رقصت أمام دماغها، كان ذلك منذ عشرين سنة مسكية روي،
تمت السيدة، فتاة رائعة، مليئة بالحيوية، عيناها تشعان بريقاً...

يومان من القلق والخوف. يومان من التفكير بالفرصة السابعة،
... كسبه اقتناصها، راحت الأفكار تتزاحم في رأسها وعاد الحلم
... بدكرت، كيف كانت تحدث إلى ماري عن الساليه وراقصات
... لم تكن بينها وبين نفسها على الأقل.. لو أنها ليست فرداً من
... المنصر، طالما أن هذا الإلتزام، يحول دون تحقيق الأحلام.

... من لتساؤل: ماذا؟... لرما؟... وكيف؟... ولكن السؤال
... هو ماذا ستقول لجذتها، إن سألتها «كيف اشتريت هذه الثياب،
... محض لرقص السيدات؟» ... «نعت ساعة
...»

... من تعين، وانوقت ما بين مكر، وموقف حده معروف
... مسقا.

عند سيدة صمراء خضعة، كانت روي، بقلب وحده لوحده أمام
... حدي، وما هي إلا حظوظ، حتى علب حشيه نسرح وراحت
... مري منه ومن تكبيرين عده كانت ترقص، وتصرع
... بيت أن هك من يرقص حركات رقصها،
... حنها لرقص، فربح تسعين مع الموسيقى،

سمحت لجسدها، أن يعبر عن ذاته، ولشعرها أن يتطاير وكأنه يشاركها الرقص.

بعد ساعة ونصف من الرقص الإفرادي، طلب منها الرقص بمشاركة رجل، وما الهم؟ ليكن. عندما انتهت، نظرت إلى أولئك الذين سيصدرون حكمهم.. فإذا أن تكون السيدة ناستوف صادقة فيما كانت تقول، أو تكون كاذبة. كان دياغيليف والأساتذة الآخرون، بما فيهم، السيدة التي رقصت لها، وحدها، قبل يومين، ينهامسون بكلام غير مفهوم. إنهم يقيّمون، أداءها وأخيراً تقدم أحدهم ليقول «يوم الجمعة القادم، وعند الساعة الرابعة بعد الظهر تحديدًا.. وشكرًا حزينًا يا أستاذ».

لم تشأ زويا بطرح هذا التساؤل مباشرة، بل اكتفت بالانتظار حتى الأسبوع القادم «... فلربما.. ربما.. أكون، أصبحت واحدة من فرق الباليه الروسية». كان يودها، لو ترمي بين فراخي جدتها وتنتهي إلى مكان ما.. من رقصات الباليه.. تعرف فيه كل شيء، سترتاب في خروجهما شبه المتكرر وسقط طرح السؤال «لماذا العياب، وإلى أين تذهين؟». وبالفعل، جاء ذلك اليوم.

— ما بك تكثرين من الذهاب مفردة؟

— سأقول لك الحقيقة، أجريت اختباراً أمام دياغيليف، وأنا الآن راقصة في فرقة الباليه الروسية، وبعد أيام من رقص للمرة الأولى أمام الجمهور.

— أحسنت؟ راقصة؟... أنتحيلين ماذا ستكون ردة فعل والدك؟

— لا تحدثني عن والدي.. إنه ميت يا جدتي.. ولو كان ما يزال حيًا، لما كنا نحن هنا، ولكانت ردة فعله عيفة حبال ما جرى ويجري في روسيا. الآن.. علينا فعل شيء يا جدتي، علينا أن نعمل قبل أن نصل إلى يوم، نشكو فيه حوينا إلى الآخرين.

— هكذا إذن؟ تحافين العوز والفقر؟ سأقدم لك الليلة وحتى عشاء، بدلاً من وحدة واحدة.. لن تعودني إلى هالك ثاية زويا.

«لماذا؟» قالت زويا، وهي تقف أمام جدتها، وفرة التحدي وفرة.. أن وقعتها، لا أمام والدتها ولا أمام جدتها. إنما اليوم، عليها أن تقرر، عليها أن تؤمن دخلاً يؤمن لخدمتها العيش بكرامة وكذلك لحيود دور ولها. فهي ترفض أن تعمل بائعة في إحدى المحلات، ولا تترك في منزل سكران، حتى تصبح مسكينة لا يمر، ولا تصح أن تكون معصومة بعد.. لا بد من عمل.. على جدتها أن تتعلم الوضع الجديد.

— حدثني.. فكري جيداً.. بعث عقد الياقوت، ولكن بكم؟ أليس بئس بحس؟ وإلى متى مستمر في بيع المجوهرات التي يتدنى سعرها يوماً بعد يوم. أتعرفين لماذا؟ لأننا.. اللاحثين الروس.. كنا نبيع مجوهراتنا لعناش بثمانها.. جدتي سيأتي يوم، إن عاجلاً أم آجلاً، نجد أنفسنا نبحث عن عمل، وهذا ما فعله الآن ناسق الزمن.

— ما هذه السحافات؟ ما يزال لدينا الكثير من المال، ومتى نعد بإمكاننا القيام بعمل محترم. أنا أعمل في الخياطة، وأنت تدرسين

الروسية، الفرنسية، الألمانية أو حتى الإنكليزية إذا شئت... أنت خريجة معهد سمبولي يا صغيرتي.. ما من سبب يدعوك لأن تكون راقصة، مثل... مثل ولم تشأ لفظ اسم عشيقه القيصر قل زواجه من ألكسندرا، وتابعت الجدة تقول «في مطلق الأحوال لن أسمع لك أن تكوني راقصة».

- لا خيار أمامك يا جدتي، قالت زويا بلهجة حاسمة.

- زويا، عليك إطاعة أوامري...

- هذه المرة.. لا يا جدتي... اعتذر كل الاعتذار.. إن ما أفعله ليس من أجلي، بل من أجلك أيضاً.

امتلات عينا العجوز بالدموع وهي تأخذ حميدتها بين ذراعيها «إلى هذا الحد وصلنا؟».

- ما المشكلة في أن أكون راقصة؟ أولم نتعجبني لما يقوم به الأمير فلاديمير من كهفكي... ماذا سيحدث إذا هذا عمل يفتخر به؟ هل هو أكثر احتراماً من العمل الذي سأقوم به؟

- إنه لأمر محزن... لثلاثة أشهر خلت، كان رجلاً مميزاً، مثله مثل... هذا هو يوم تشييعه... ولكن ماذا يمكن أن يفعل؟ هذا كل ما يستطيعه، يكفي أنه مدرساً جيداً... زويا، فمدرس في نفس العمر، وليس بمقدوري أن أقف متفرجة عليك وأنت تدمرين حياتك. عطيت إيفيجييا وجهها يديها وراحت تبكي «أعترف، لم أعد قادرة على مساعدتك كما في السابق».

صدمت زويا لرؤية جدتها وهي تبكي، لأول مرة، في حياتها، تراها

تشحب، أحست بفصّة في صدرها، لكن، لا تراجع عن العمل كراقصة في ورقة واحدة... سنة... فصل كثير، من أن يعمل كحظّة ومعلمة لمعة الروسية.

وضعت يدها على كتف جدتها وشدتها إلى صدرها «أرجوك حدثني لا تشعبي... أرجوك.. أنا أحبك... أحبك بجنون».

- عذبي إذن، أنك لن تكوني راقصة.. أرجوك زويا.. أتوسل

نظرت زويا إلى جدتها بعين دامعة. ثلاثة أشهر ليس أكثر، غيرت حياة زويا، جعلتها أكبر سناً من عمرها، ولا عودة إلى الوراء «حياتي لن تكون ملكاً لأحد يا جدتي، فليس بمقدوري، ولا بمقدورك تغيير الذي حدث. فالذي حدث، حدث.. ولا عودة إلى الوراء.. حتى العم سيد را، نعمه كسدر، عبيد... أنا أعلم ما كان يرغب به... به، إذن أرجوك جدتي، ساعيني.. لا تعضي مني».

- أنا لست غاضبة.. أنا حريّة، أحس أني بتأ عاحرة عن تقديم يد العون.

- بكميلك أنت أنقذت حياتي... أخرجتني من سان بطرسبورغ... ومن روسيا حتى.. لو لم تفعل ذلك، لكانوا قتلوني، أو مت حرقاً في المنزل، كما حصل لوالدتي.. ليس بإمكانك ولا بإمكانني، أن نغير وجهه سير التاريخ... عذرا... سأكتب معك في الخمد، عيب أن يفعل ما يوسعنا، ولهذا، سأرقص... أرجوك إسمحي لي.. وامنحيني بركاتك.

تهدت العجوز، وهي تحدّق إلى حميدتها. قسطنطين ذهب دون

حصلت الإطمئنان من النفوس وزرعت الخوف والقلق مكانه.

جلست ايڤيجيا قرب حفيدتها، احتضنتها إلى صدرها، وراحت تلاعب شعرها الناري المسدل على الكتفين. تذكرت زويا، يد ماري، ويذكرت بيت عرفة في ... سكوت سيور. حسنت ... تذكرت ... صدرها.

- حسناً يا صغيرتي ... كيف كان أداؤك؟ يبدو أنك جد متعبة.

- كان رائعاً يا جدتي .. رائعاً ... الكل صفق لي ...

- وهل كان هناك كثيرون من الحضور؟

- لست أدري .. لم أعر هذا الأمر اهتماماً، كل همي كان محصوراً في أن أرقص وأرقص، أن أنتقل من زاوية على خشبة المسرح إلى ... أخرى محمولة على حبل ... على ... في ... الرّيح ... نعم كانت الصلاة ملائياً ... ولكن الأهم، أنني رقصت ورقصت، كنت أتمنى أن أرى وجه ماري، أو ناناليا أو أونغ ... نعم بعداً وعمي كسدت ... خاصة وجهت ... جدتي ... لأستمد منه الحيوية والاندفاع.

- أعدك أني سأكون قريباً بين المشاهدين ...

- وكذلك سيكون الأمير فلاديمير ماركوفسكي وابنته.

- هذا يعني، أنك لم تغيري رأيك يا صغيرتي.

هزت زويا رأسها وهي تسكب الشاي وارتسمت على شفيتها ابتسامة رقيقة، كيف تغير رأيها، والكل أثنى على أدائها وأبلغوها أنها ستكون الراقصة الأساسية في العروض القادمة. ومدت يدها،

لندس في يد جدتها ما أعطيت لقاء عملها، وهي ترمقها بنظرة حجولة، جعلت الدمع يبدل خدي ايڤيجيا.

- ما هذا يا صغيرتي؟

- إنه لثوب يا جدتي ...

- ولكن، لست بحاجة له يا صغيرتي.

لواقع يقول العكس، فلجدران العارية، والسجادة الصغيرة التي تعطي أرض العرفة، تقول غير ذلك. تقول إيهما بحاجة إلى المال. ... تذكر، أن ثمن عقد الياقوت، قارب على الفاد، وأنهما لن ... الاعتماد على بيع المخوهرات إلى ما لا نهاية.

- من أجل هذا تعملين يا ابنتي؟ تساءلت ايڤيجيا بنبرة صوت حزين.

برفق، مررت زويا يدها على وجنتي جدتها، فيما هي منحنية تقبل يديها.

- نعم جدتي .. أنقذت حياتي، والآن جاء دوري للاهتمام بك، أنا ... جد صغير. لقد كبرت كبرت يا جدتي. رائحة شهر هي أشبه بعشر سنين ... علينا تقبل الواقع الجديد، والسعي لتغييره نحو الأفضل، لا أعدك بموثناسكا جديد، بل بحياة كريمة تليق بإيڤيجينا أوسيفوف.

- عند منتصف الليل أوت الحدة إلى سريرها، وبقيت زويا وحدها في غرفة حمراء. ... تحرق فيها، عن حمة لذي حفن، عن تسعده لشي عموه، تحرق فيها عن نار من وشواتها، في دوما أي ذكر للشقة. لم تشعر زويا أنها تكتب رسالة، بل وكأنها

تمنت لو كان والدها ما يرال حياً. ترى ماذا كانت ردة فعله؟ لا شك كان سيعجب برفقي، وإن بيته وبين نفسه. وكذلك يقولاي. اغرورقت عيناها بالدمع وهي تتذكر أباها وشقيقتها، وصمت الكأس على حدى نصاءات وحبس سحره. سفي صد سفي حسيه صفة سلفه الكس ميرة. محراب خمس فمعة في دية. وحين شفت إليه، رأت الدموع تتألق في عييه فتأكد لها، أن نظراته، لم تكن نظرات عادية، بل نظرات رغبة واشتهاء. ابتعدت عنه مشوشة العكر، إنه من عمر والدها وصديقه أبصاً، أبعقل أن يفكر بهذا؟

«شكراً سمو الأمير» قالت بهدوء وورصانة، ولكن حزناً اعتراها لما وصلت إليه الحال. كم هو متعطش إلى الحب؟... لو كنا ما يزال في مكان بغير سحر، ماذا كان يحق له سحري ولا تجميعه قدامه؟... عليا ألا ننسى عالمنا المفقود، ولا أولئك الذين ما يزالون هناك... في روسيا، أحياء كانوا أم أمواتاً.. وإذا كانت تانيا ما رفضت قول ابنه عيناؤها، فهل من ردة فعل؟... ذهبت حزيناً إلى بيتها وهي تودعها عند مدخل الشقة، لكنها امتنعت حتى لا تخرج كبرياءها.

في غرفة النوم، كانت زويّا تحلج ثيابها، وتفكر بتصرفات الأمير وفي الوقت ذاته تنتظر عودة جدتها من المرحاض خارج الشقة.

- إنها لمبادرة طيبة منه أن يأتيها بالشعبايا احتفالاً بهذه المناسبة.
قالت الجدة، وهي تملت شعرها على كتفها، وترتدي ثياب اليوم،
فبدت وكأنها أصغر بكثير من عمرها الحقيقي، فاكتشفت زويا، كم
كانت جدتها جميلة، فعساها، حتى اليوم، ما تزالان ساحرتين أحادتين،
وما تزال صاحبة ابتسامة جذابة وجسد غص، لكن الأمر الذي أثار
اهتمام زويا، هو عدم انتباه الجدة، إلى أن الأمير معزم بها، فقد حاول

لمس يدها مرتين، إضافة إلى أنه شدها إليه وهو يقبل وجنتيها مودعاً،
 قال: «يا رب أحب عليّ قلبك بحسب ما تشاء» ما لاحظت أن بيت
 غير معيضة؟».

— هي كذلك منذ صغرها، على ما أذكر، فقد كان فلان يدي
عنه ما جد، أكثر بكثير مما يدي به و دكر - أحد ميهما، و كان
شاهاً و سيماء، تقدم و طلب يد تاتيانا.

— جلدني، كل هذا لا يهمي، سأكون صريحة معك. إنه محسي
محسي محسي .

صعقت إني حينئذ لما سمعت «ماداً؟... إيه إتهام خطير».

— إن ما قلته لا يحتمل التأويل يا جدتي.. حاول لمس يدي مرتين،
حاول ثالث، ثمسي "عدي" وشعبي في صدره وهو يمس ويحسني قاذلة
تصيححين على خير.

أنت ما ترالين فتاة صغيرة وبرينة، ولربما أثرت ذكرياته العتيقة.
 فهو كان معجزة من حيث في. حيا من ذلك، كان صديقاً حميماً
 له حتى أنهم كان يذهبون لقصده معاً، ورفقه ليقصروا حياً، ولا
 يسمحوا لأحد أن يذهب بعد مهمته لكن فحصوله مشاهدته،
 أمر يفتر.

...لرعا... قالت زوياء، وأطعات الضوء، وانسلت تحت العطاء، ممددة جسدها على سرير، لا يشبه الأسرة التي تعودت أن تنام عليها بشيء.

صباح اليوم التالي، تأكدت ظنون زويا. ها هو فلانمير، بانتظارها عند مدخل كسبه. مد يد وفتح باب السيارة ذهباً. يدان مضمومتان، وفي اليد الأخرى - فوهة زود. وفي عهده، نظرت بدعوى السيف والسيفك.

مصعب مكسبه" في نافذة بي يشكك في نجاحه - ومن من عجز
وقبة ذات اليد وها هو الأمير، اضطره للعمل مائق سيارة أجرة. وها
هي تعمل راقصة في فرقة الباليه الروسية...

لم ترغب بالخروج عن رصانتها «لا أعتقد أن جدتي تسمح لي».
- من الأفضل ألا تخبر بها.. كما من الأفضل لك، أن تكوني على
علاقة مع إنسان واع ومن مجتمعا، وليس مع فتى أرعن.

- عني كل، لا وقت لدي لتبني مثل هذه الدعوة، فأنت تعرف
يا فلاديمير، على العمل ليل نهار.

- يمكننا إيجاد بعض الوقت، بعد الانتهاء من العرض.

- لا أقدر... حقيقة... لا أقدر.

نعمت الصعداء، فقد وصلت إلى مقر عملها، «أرحوك لا تنطري
يا سمو الأمير... أنا...، سأسى كل ما قلته لي.. إنا لا نلاثم...» لم
ترغب زويا متابعة الحديث لكلا تخرج شعوره، فتحت الباب وترجلت،
تاركة باقة الورود البيضاء حيث هي إلى جابه.

الفصل الثاني عشر

- هل فلاديمير هو من عاد بك الآن؟ تساءلت الجدة وهي تستقبل
رويا عائدة من عمها. التفتت زويا نحو جدتها، فإذا بها ترى الورود
البيضاء موضوعة في إناء على الطاولة.

- «لا.. ليس هو...» ألقت جسدتها على المقعد وراحت تدلك
ساقها «كان يوماً متعباً».

- من سبصر... قالت ايفيجينيا بوجه عابس. لقد زارها بهارا،
حبها جدتها وأبناً وبعضاً من المربي، والورود بالطبع إنه - برأي
نحسب... من ضيق وعجز... تساءلت زويا... جسدتها
وبرويا حاصة.

- جدتي... قالت زويا، وتوقعت، بحثاً عن الكلمات المناسبة، فهي
لا تريد إثارة غضب جدتها أو أن تنفوه عما يجرح مشاعرهما «جدتي...
دعيني منه.. أنا لا أريده».

- لماذا؟ إنه صمام الأمان لك، أكثر من أي إنسان آخر، لا تعرفين
عنه شيئاً».

أنباء زيارة فلاديمير لإيفجينيا، بعد ظهر هذا اليوم، دار حديث طويل
حول هذا الموضوع، إيفجينيا مدركة كل الإدراك، أنه لا بد من أن

مسن هي ... ولكن ... هي ... مسن ...
حفيدتها تعمل كمعلمة وليس كراقصة، وتتمنى أيضاً، أن تكون علاقة
رويا بفلاذيمير سيبا لتحديها عن العمل كراقصة.

- جدتي... أعتقد أن الأمير فلاديمير يعكر بالزواج سي؟

- «إبه رجل محترم... ذو خلق وسب. كان صديقاً لقسطنطين» لم

يل ورقة بعد أخرى، عليها تمكن من إقناعها، كما تمكن فلاديمير من
فعل ذلك معها.

- حسناً... جدتي. كان صديقاً لوالدي وليس لي. يعني أنه اليوم
بحدود الستين من العمر.

- لكنه أمير روسي... ومن عائلة القصر.

- أهذا هو كل شيء؟ أما تعتقدين أنه بعمر جدي؟

- العمر لا يعني شيئاً... أنت بحاجة لمن يرعاك ويهتم بك... أنا
تجاوزت الثمانين من العمر، وإن كنت اليوم إلى جانبك، فقد لا أكون
عداً، فكري ملياً.

الحقيقة، كانت إيفيجينا مقتنعة بما تقول. فهو على الأقل إنسان
تعرّفه، وتعرف الكثير عن ماضيه، وهو كذلك.

- «أتوافقين على زواجي منه؟ أهذا ما تمنيه؟... إبه رجل كهل»
قالت رويا وانعجرت باليكاء.

- سيهتم بك... فكري قليلاً زويا...

- «أرجوكِ جدتي، لا أحب سماع اسمه بعد الآن».

أسرعت زويا نحو غرفة النوم، رمت جسدتها على السرير وهي
تحشش باليكاء. أهذا ما كان يقص بعد؟ مشروع زواج من رجل يفوق
عمرها بثلاثة أضعاف. ولماذا؟ لأنه أمير روسي.

حالت الحدة، وحسنت إلى جاسها على حافة السرير «زويا.. زويا
لا تبكي يا صغيرتي.. فأنا لن أحرثك، على فعل شيء. كل ما في الأمر،
أي قنفة عليك. فيودور، رجل عحوز. ولهذا لا بد من إنسان يهتم بك
ويرعاك».

- ما أزال في الثامنة عشرة من عمري... ولا أفكر بالزواج
مطلقاً... ومنه خاصة... أكره بلينا، ومجرد التفكير بالعيش معهما،
يسبب لي نوبة جنون... أما الآن غير مبالية بشيء، سوى بالرقص...
إهمي جدتي.. سأعمل ليل نهار بدون ملل، ولن أتزوج إنساناً لا
أحبه، كائنات من كان ذلك الإنسان.

- حسناً... حسناً يا ابنتي...

بكت الحدة. أي قدر مشؤوم هو هذا الذي عليهم مواحهته؟ لرى
تكون زويا محفة فيما تقول، لكنه واحد يعرف من نحن، يعرف عاداتنا
وتقاليدنا، إنما من يدري. فهناك الكثيرون من البلاء الروس الشباب
الذين جازوا إلى باريس، فقد تنقوا واحداً منهم وتقع في عرامه. إبه
الأمل الوحيد الذي تتعق به إيفيجينا. ومادا تبقى لها، سوى بصع
مجوهرات وحيات ألماس وبيض عيد الفصح المرصع بالؤلؤ، والألماس
الذي سبق لنقيصر وقدمه لها، وسوى ابتسامة حفيدتها «نعالي يا
صغيرتي... امسحي دموعك.. تعالي تتره قتيلاً».

- لا يا جدتي... فقد يكون في انتظاري عند مدخل الباية.

الحرب، دور في إعادة الوضع في رومبا، إلى ما كان عليه سابقاً، وهكذا، يعود اللاجئين الروس، إلى مدينتهم وقصورهم، ولكن الكل، بما فيهم ايتاليين وزوياء، يعني أن لا عودة إلى الماضي، وأن فلاديمير سيبقى سائق سيارة أجرة، وبلينا معلمة لعبة الانكليزية، والأهم، أن زوياء، لن تعود إلى قصر تسارسكوي سيلو، بل سترقص كل ليلة على خشبة المسرح مع فرقة دياغيليف.

كانت الفرحة تعم روح زوياء، وترغب لو بمقدورها مشاركة الفرنسيين فرحتهم، فطلبت من جدتها مرافقتها، لكن ايتاليين، لم تعرب عن عدم رعتها في الخروج إلى الشارع وحسب، بل وطلبت من زوياء البقاء إلى قربها «فمن يدري، يا صغيرتي، قد تقع أحداث شعب؟» قالت هدا، وهي تترك، كل الإدراك، أن هؤلاء الأميركيين الذين يرتدون النذة الكاكية اللون، هم غير الجود الذين نزلوا إلى شوارع المدن الروسية، لا لحماية الناس، والبلاء خاصة، بل للسلب والنهب، وإحراق القصور وقتل الأمراء.

لم تكن فرحة زوياء، بسبب وصول الأميركيين، بقدر ما كانت بسبب أن لا عروصات راقصة حتى نهاية الأسبوع. لأول مرة، منذ شهر، نجد أن لديها وقتاً، للاحتلاء بنفسها. اللوم ملها، للتنزه في شوارع باريس، للحلوس قرب المدفأة والقراءة والكتابة... الكتابة إلى ماري... عن مشاهداتها في العاصمة الفرنسية، عن بيرشيع وجنوده، عن رفضها، عن بعض مساعدينها، كما يكتب... على ذاتها... تصدم ماشكا من تصرف الحدة.

فيما كانت زوياء تحط رسالتها، كانت سافا مستلقية عند قدميها تهر ذنبها «إنها تبدو كحوي ممساة، إنها تذكرني بلك، مع أبي لست بحاجة

لمن يذكرني. صدقي، أنا غير قادرة، حتى على مجرد التفكير، أني هيا في باريس، وأنت ما تزالين هناك... بعيدة عني... وأنا قد لا أغضي الصيف معاً في ليفاديا... صور لك إلى جيب سرير، وفي عفتي وفي كل زاوية من زوايا المنزل الذي نقيم فيه، لم تحب زوياء، صديقتها عن الثقة الصغيرة، بل كانت تكفي بالقول «المرل دون وصف له، أو نعروحاته» كل ليلة، وقل أن أصعب رأسي على الوسادة، أقتل الصور، صورتي، صورة أولغا، صورة ثانيا، صورة أنستاريا، وكذلك صور لكسي والعم نيقولا والعمة ألكسندرا». في الكتابة لماري، تفجر إحساساً غريباً يتفاعل في داخلها، الإحساس بالعربة، عن الوطن، عن الأصدقاء، عن الأهل، عن الذات. نعم هي هيا، تعيش غربة قاتلة. إنها... إلى ذلك... إلى ذلك... إلى ذلك... إلى ذلك... الإحساس، تلك الرسالة التي استلمتها من ماري التي تحبها فيها أنهم ما يزالون تحت الإقامة الجبرية، لكنهم شعروا جميعاً من مرض الحصة وأنها تنظر بفارغ الصبر يوماً قد يجمعهما من جديد، «ومنى سيأتي هذا اليوم؟» تساءلت زوياء وعيها تذرغان الدمع غزيراً. لولا الرقص... من يوم... من يوم... من يوم... من يوم... ما تزال تمنى لو أصابها، ما أصاب شقيقها وأباها وأمها، أو، ما تزال سحبة القصر الإمبراطوري على الأقل.

صبيحة اليوم التالي، كانت زوياء، تقرأ رسالة ماري للمرة الأولى بعد لألف، حين جاءها رسول يحبرها، أنها سترقص في أوبرا بتروشكا، وفي عرض خاص للجيرال بيرشيع وضباطه وبعض جنوده. خير لم يهرح الحدة البنة، فهي ارتعت - على مصص - أن ترى حفيدتها ترقص مع فرقة الباليه الروسية. أما أن ترقص لترفه عن الجود

الأمير كيين، فهذا أمر يستحيل تقيله، لكها، وبالوقت ذاته كانت تعلم، كل العلم، أن معارضتها لن تحدي نعماً، بل متسبب بآفة جديدة، قد تكون حادة.

بالمناخ، كان الجنرال يرشيع، اتخذ موقفاً لقيادته في إحدى أبنية
شارع فلسطين، وما كان هو نفسه في فندق واحد، متاخراً له أحد
الأميركيين الذي كان يعمل في باريس منذ زمن.
— يرافقت فيودور. قالت الحدة بصوت حارم.

— ما هذا الذي تفعلين به يا جدتي.. ماكون بألف خير، أم أنت لا تفهمين شيء؟ لا عجب.. هو ذاك، لامة كبير، من جديد من حب والروس... أنا متأكدة من ذلك، فوق هذا كله فلن يتحركوا — ولن يفعلوا من اقتحام خشية المسرح واحتطافها.

نيجنسكي، سيرقص الليلة، وهل ترتضي زويا إضاعة فرصة كهذه؟
فرصة مشاركة نيجنسكي الرقص؟ «سأكون بحير يا جدتي...
أعدك... سأكون بحير».

- لن تذهبي وحدكِ.. إما برفقة فيودور... أو برفقة الأمير
فلاديمير. فاخترى أياً منهما.

كانت ايثيجيا، مصحمة على ما تقول، مع علمها، أن لا أمل
 صاحب روية أمير فلاشدير حتى هي وصب و فداة مصطفة أنه نس
 الرجل المناسب لحيدتها. إنه فعلاً أكبر منها بكثير.

— حسناً، فلیکن فیودور... لکنہ، سیضجر وهو بتظرفی خلف
الکوالیس.

– لن يضر طالما هو يتطرك... تعرفين مدى محبته لك، ومدى اهتمامه بك.

— شرط الا يزعمجني باهتماعه الزائد.

— أعدك لن يفعل،

في الطريق إلى دار الأوبرا، كانت زويّا تهنيء نفسها لحفلات أخرى ستقام على شرف الجنرال برشبيغ ورجالاته، إدراكاً منها، أن الفرنسيين حادون في تكريرهم له.

على الخشبة، رقصت كما لم ترقص من قبل. فيجسكي هاء، يراقب
كل حركة، حصة، بعد، سدد، ساء، على الخشبة، لا،
جاء دها، عيليف شحصباً لبثي على أداثها ويبحثها على عطاء المزيد.

.. نحن كلكن مدعووات لحمل استقبال عسى شرفكن في منزل الجنرال
.. شيع .. أمام المدخل حاضرتان عسكريتان ستفكرن إلى هناك... الكل
ميشرب الشمبانيا. قالت إحدى المدربات.

يبدو أن مجيء الأميركيين أعاد الحياة إلى ليالي باريس، وعادت
الأمم والحب أو ج، حدائق في كل مكان، وعبر وصات مسرحية
سبب رما، فودو، رماير، سطره في حرج، وأسرعته به حصة،
سجده وفأ حرياً بعضي بدمع حديه به حده آمن، لأن هو و حد
من أفراد العائلة.

– إلهسى فيودور، العرقه كلها مدعوة لحفل استقبال فى منزل
ل، وليس بمقدورى أن اصطحبك معي... أما جـد آسفة يا
فيودور... أخير جدتى بذلك، ولن أتاخر كثيراً.

التفتت زويا، فإذا بها أمام رجل بهي العظمة، طويل القامة، أشيب الشعر، والتفت عياه بعينها الدامعتين.

- هل أنت بحير يا آسة؟

- بحركة من رأسها، أجابت أنها بحير وهي تمسح الدمع عن خديها. كانت ترتدي ثوباً أبيض أهدتها إياه ألكسندرا وكان واحداً من الأثواب التي حرصت على عدم إبقائها في سان بطرسبورغ. بدت زويا وكأنها أميرة، ولم لا؟ فهي أميرة فعلاً.

- «آسة سيدي»... أيا. لم تكن تدري كيف تغير عن الأحاسيس التي تتأبها... كل ما تشاء، هو أن يتركها وحيدة مع ذكرياتها، لكنه، لم يقم بأي حركة تدل على ذلك. بقي واقعاً مكانه، وعيناه مصوبتان عليها. كل ما تمكنت من قوله «إنها حديقة جميلة» وبالوقت ذاته، تقارن سرّاً بين هذه الحديقة وتلك التي قرب شقتها، رباه كيف انقلبت الحياة، وتحولت.

- هل أنت من أعضاء العرقة؟

- نعم، قالت زويا بنبرة تدل على الاعتزاز والمحر. وتابعت «كان نيجنسكي رائعاً... ألا تعتقد ذلك؟».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يدنو منها ببطء «الحقيقة أي عبر مهتم بأمر الساليه - أعترض عن هذا - ولكن الجنرال بيرشينغ يحب هذا النوع من الرقص».

- إذن كنت مرغماً على المشاهدة؟

- بصدق وهراحة...؟ نعم.. أترعيب بكأس شمانيا؟

- ... ليس الآن.

كان الهدوء يلف الحديقة، فيما، في الداخل، رقص ولهو وموسيقى

- وهل تقيم هنا مع الجنرال بيرشينغ.

- «لا... أقيم في فندق آخر، إنه مكان رائع وهادي، ولكن ليس بمستوى هذا الفندق».

كان يراقب كل حركة من حركاتها. وكل خطوة؛ كانت تبدو أليقة، ساحرة الجمال، ولاحظ أنها ليست مجرد راقصة، بل هي إنسانة أنوفة، تحفي حزناً مميتاً خلف ابتسامتها.

- هل أنت واحد من هيئة أركانه؟

- «نعم، أنا واحد من مساعديه أيضاً.. وأنت منذ متى

ترقصين؟» تساءل وهو يدرك، أنه ليس منذ زمن طويل، فهي ما

- ... منذ صغره، لكنه سمع كل ما يحدث من قبله - ابتسامة -

- ... منذ الصغر، حين حدثت له - لا كذبة - حدث غلافه - لي

كانت تحدث العرنسية فيها.

- منذ شهرين ليس أكثر.

- لا شك أن والدهك فخوران بك؟

- «والدي قتلا في سان بطرسبورغ... خلال شهر آذار» لم تكن

تعي ماذا تقول «إني اليوم أعيش مع جدتي».

- آسف جداً لما حل بأبوك.

وعند سماعه يسمع في عيشه بها مرة لأولى التي محب أحداً عن

ونديها، حتى رماها في الحفرة لا يعرف سبباً عن مصيبتها، ولكن لا تدري، لأي سبب، سمحت لنفسها أن تقول ما قالت. إنه يذكرها بقسطنطين، بوقاره، ووسامته.

- إذن أتيت إلى هنا برفقة جدتك...؟ تساءل، وهو لا يدري سبب حمله إليها في هذه الساعة، لعله حذر، ونديها بعداً عني تلك العيان، الحضراوان الكبيرتان.

- نعم... منذ شهرين أتينا... من.... بعد...

لم تكن قد عسى له أن يكون شيء، هذه الحادثة... لم تكن باحترام.

«مارييث نو سحول فيد» في هذه الحادثة مع كرس من شخصيات أحست بالدفء يسري من يده إلى يدها، فاستجابت لطلته، وراحا يحولان في الخفاء، ويتحدثان عن... عن كل شيء. لا ينزح لأحر... وفرد... في مقدمته... في مدينته... في الولايات المتحدة؟
- نيويورك.

لم تكن زويا، تعرف شيئاً عن الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أنها لم تسمع بنيويورك من قبل.
- صفها لي.

كبيرة، منهكة بالعمل ليل نهار، أحبها كثيراً، رغم أنها ليست بجمال باريس.

أحب أن يسألها عن سان بطرسبورغ، لكنه أحس أن هذا ليس هو

الوقت المناسب، فقد يكون الحديث عن مسقط رأسها، مدعاة للحزن والتعاسة.

- وهل ترقصين كل ليلة؟

- يمكنك قول ذلك...

- وكيف تمصين أوقات فراغك؟

- أذهب في نزهة مع جدتي.. أكتب رسائل للأصدقاء.. أأنا.. أأعجب كبي.

- «حياة هادئة.. أي نوع من الكلاب لديك؟» كان يدرك مدى سخافة هذا السؤال، لكنه، عذراً، لم يستطع إلا أن يجاسها.

- كوكو سيال.. إنه هدية من صديق.

- صديق أو صديقة.

- بالتحديد صديقة. إنها أمة عمي...

- وحيته معك من روسيا؟

- نعم.. واعتيت به طوال تلك الرحلة المتعبة. إنه تصرف غبي ليس كذلك؟

- أبداً.. ولكن هل من الممكن أن نتعارف؟

- لماذا لا؟... ادعى زويا أوسيفوف.

- كلايتون أندروز... النقيب كلايتون أندروز.

- أحي كان نقياً في الجيش الروسي، وفي فوج بريوبراجنسكي، لا أعتقد أنك سمعت به.

- رغم الظلمة كان يحدق بعينها. في هذه الليلة، أدرك لماذا يقول الناس «العيون مرآة النفوس»، فعيهاها تفشيان عما تحب أن تبقى سرّاً، أو عما لا ترغب أن يعرفه الآخرون عنها.

- إني جد متأسف، فانا لا أعرف الكثير عن روسيا.

- وأنا أيضاً لا أعرف شيئاً عن نيويورك.

عادا ودحلا إلى القاعة، ليقدّم لها كأس شمبانيا، ويدعوها إلى الرقص... ترددت قليلاً قبل الموافقة، وضعت كأسها جانباً وتقدمت منه لتشاركه الرقص.

- أهكذا أنت دائماً؟ ترقصين منمصة العين.

سؤال لم يجد له جواباً... حتى هي غير قادرة على الإجابة، فلم يسبق لها أن راقصت أحداً. بعد انتهاء الرقصة، أشار الجنرال رشيح إليه، أن يحادثه قبلاً على انفراد، ولما عاد إلى القاعة، كان قد عادت العندقي..

الفصل الرابع عشر

- إسمعي زويا فسسطيوبا، لا أريد تكرار ما حدث... فانا لا أرسل فيودور معك، لإعادته إلى المنزل دافع العينين، مكمور الخاطر.

- سيجة الكوتسية حارمة وجارمة، تعبر عن غضب لم تتمكن من التعبير عنه من الفضاء عليه. وعبثا حاولت روبا، شرح الموقف، بمقدورها اصطحابه معها ولا إلى جعله يتظر وحيداً.

- أنا جد آسفة حدثي. لم يكن بمقدوري اصطحابه معي، إلى مقر قيادة الجنرال بيرشيغ... الذي أقدم لنا حفل استقبال.

تذكرت زويا، أعمدة البلاط الرحامي، والحديقة والقيب الذي التفته هناك، تذكرت فقط، إنما لم تقل شيئاً لحدثها عنه.

- هكذا إذن؟ وصلت بك الوقاحة إلى حد المشاركة في حفل ترغيه عن الحود؟ الآن أدرك لماذا تمتنع الفتيات المحترمات عن الإيضاح إلى ذوي السلطة. رأيت جدك من قبل هي... صبت بك حرم. أنت تركي العرق وملازمة المنزل، وربما تكونين تدبرين عملاً، يليق بك زويا فسسطيوبا أو يا سمو الأميرة زويا... أم أنك نسيت من تكونين.

- أرحوكِ جدتي... تعلمين كل العلم، أني لن ألبس هذا الطلب.

- لم أتمكن من وداعك ليلة أمس.

- أعتقد أنك كنت مشغولاً.

- أعرف أنك كنت من أوائل المعاديين.. كنت على عجلة من أمرك.

أحست رأسها موافقة عني ما قال. لم تكن تظن أنها ستلتقيه ثانية. لذا فهي تشعر بالسعادة لرؤيته مجدداً.

- جئت وأنا أمتني نفسي بتناول العشاء معاً... لكن الوقت متأخر الآن.

- عني العودة إلى المنزل... جدتي بانتظاري.

- كان كلايتون يرنو إليها بعين الحب والحنان. سحرته ابتسامتها، ومظهرها وكأنها تلميذة خارجة من المدرسة.

- أتعودين متأخرة كل ليلة...؟

ابتسمت، فشعر وكأنه يقف أمام فتاة صغيرة، أمام فتاة بريئة، وبالوقت ذاته مدركة وواعية.

- نعم أعود متأخرة، لكن جدتي ترسل من يرافقني في طريق العودة، وأمس رحوته أن يعود من دوني، لهذا كنت وحدي.

- في هذه الحال، أسمحين لي أن أوصلك الآن إلى منزلك؟

سؤال محير. ترددت كثيراً قبل الموافقة على دعوته. إنه إنسان محترم ومهذب حتى الآن.

فتح باب السيارة، ومد يده داعياً إياها بالصعود والجلوس على المقعد إلى جانبه.

قبل مدخل البناية حيث تقيم، ترجلت زويبا من السيارة، معتذرة منه وشاكرة له عني ما فعل.

يدو أنك لست فتاة شريرة. ولكن هل يحق لي دعوتك للعشاء هذه الليلة؟

- «لست متأكدة من ذلك... فجدتي تعرف أن لا عمل عدي هذه الليلة... ولا أريد أن أكذب عليها». زويبا تعرف تماماً أن جدتها حساسة جداً إزاء البذة العسكرية. ولا تحب الخود.

- ألن تسمح لك بمرافقة أحد؟

- لست متأكدة من ذلك... فم سبق لي وسألها مثل هذا السؤال.

- عمواً آنستي... هل يحق لي السؤال كم تبلغين من العمر؟

- ثمانية عشر.

- وهل يعني هذا أنك... ولم يكمل قوله، لكنها أدركت ما يريد أن يقول.

- نعم بما فيه الكفاية، حتى أنها شجعتني للقبول بأحد أصدقاء العائلة.

احمرت وجتها وهي تحمره، وأحست بمدى عبانها. ولماذا تخبره عن فلاذير.

- وكم كان عمره؟ ثلاثة وعشرون؟

ضحكت. «ماذا؟ ثلاثة وعشرون؟ أكبر بكثير، إنه بحدود الستين».

اندهش كلايتون لما سمع. ماذا؟ ستون؟ ومادا كان موقف جدتك؟

- به أمر بصعب، يصعب عليه في ذلك.

- أوه... كذا صديق في الخامسة، لا عين من عمر.

- ولم تتزوج حتى الآن؟

- سى... ولكن لم يكن... في نفسه، وقف على صديق كان ذلك منذ عشر سنوات، ومنذ ذلك الحين، لم تتصكبن واحدة من الاستيلاء على قلبي... هل صدمت بما أقول؟

- لا... أهدأ، ولكن لماذا طلقته؟

- منذ ليرة، كان محبوساً في منظره بحجة أنني سأفصل مع نظرة الآخر، فافترقا... إنها متزوجة الآن، وما زلنا أصدقاء، ولكن نادراً ما أراها فهي تعيش في واشنطن.

- وأين تقع واشنطن؟

أسئلة سخيفة، لكنها لا تعرف شيئاً عن أميركا أو عن مدنها.

- يا فريه من يومه، أنا لست فريه جداً منها... بعد أن سبوتيك تمرد من بعد يومه عن... أو ربما كنت متدبراً بعد ذلك عن لندن.

نظر إلى ساعته، فتعجب. لقد انتظرها طويلاً، «وماذا عن العشاء البينة؟»

- لا اعتقد أنني قادرة على قبول دعوتك.

- عد... ما رأيك؟

عد... عني... رفض مع عذرة

عد... عني... رفض مع عذرة

كان كالأية - مصر على دعوتها، ك... هات... حساس في دجته يشده إليها ويتمنى لو يراها كل لحظة.

- لا أعدك... يا صاحون

- حسناً... إلى اللقاء ليلة العد.

سكرة وهي ترحل من السيرة، وتقصي بصريتها نحو شقة وهو لا يفهم بصريته وفي صدره يردد صدى نغمة سمعها يوماً

الفصل الخامس عشر

لأول مرة في حياتها، وحدث زويها نفسها أمام خيارين: إما الكذب أو قول الحقيقة. وما الضرر إن كذبت لمرة واحدة؟ إنها راغبة في تناول العشاء مع كلايتون، وبالوقت نفسه تسائل نفسها، ماذا ستقول لجذتها. لأول مرة، تشعر أن أمراً ما، أمراً أساسياً، يتغير في حياتها، صار لها تفكيرها الخاص المستقل؛ أحبرت جذتها، أن دباغيليف دعا جميع أعضاء ندوة في ماسدو بعد أسابيع من عدم هذه الندوة، ليس إلا يتعيب أحد. إنه يريد تكرمهم، فرداً فرداً.

- وهل لا بد من تلبية الدعوة يا صغيرتي؟

- بودي لو بمقدوري، رفض دعوته.. ولكن... إذن لا تنظريني لتناول العشاء.

بعد الانتهاء من العرض، كان كلايتون بانتظارها عند مدخل قاعة المسرح، إلى جانب سيارة أخرى، من سيارات هيئة أركان بيرشينغ. ثم، ضربت بين مصعده مكسبه. حدث كثيرٌ صدقه وصدق، كل واحد منهما يحاول أن يتقرب من الآخر، إنما مع الإبقاء على مسافة، وكأنه يحفظ خط العودة.

- كيف كانت ليلتك؟

- على خير ما يرام.. لكن نيتسكي لم يرقص... إنه راقص محب...
أما ترى ذلك؟ وعرفت زويا بالضبط؛ انتهت أن كلايتون لا يعبر
اهتماماً لرقص الباليه فتابعته تقول: «عفواً... نسيت أنك غير مهتم
بهذا النوع من المون».

- لا ضرورة للاعتذار، لربما عليّ الاهتمام... من الآن وصاعداً
على الأقل.

أحببت زويا مصر، في صباه مصعب مكسب، محدود حصر، ثرياً
تتدلى.. كل شيء يدل على الفخامة، حتى الحضور يرتدون لباساً
سمياً حسب العصب وهي بفكر، كفى مصعب هذا الذي تشاهده
الآن في سائرها شارب، ولكن ما مصعب لها على كتابها حتى
هي، لا تتركها من كتب دعوى، لا تتركها من كتب دعوى، لا
تصعد في السراويل، حتى كان في زواياها شعاع من نار
الطسي يغمرها.

إنه إنسان أبيض... مهذب... محترم... يحترم الآخرين، ويقتدر
أحاسيسهم ومث عزمه. تشعر أنها محبته له، و«لا» فهي مودة
طفلة، لقد نضجت، جسدياً وفكرياً وعقياً.

- جائعة؟ تسأل كلايتون وهو يطلب من النادل أن يأتيه بزجاجة
شمر بفرنسه، وبعد ذلك يحس في شبعها، كما يريد - فقط - أن تخيل
النظر في هذه القاعة.

- هل سبق لك وأتيت إلى هنا؟

بحركة من رأسها، نفت حدوث ذلك، وهي مستغرقة
بالمقارنة بين ما تراه، وبين الشقة التي تقيم فيها، والعندق الذي

نزلت فيه ليلة الوصول إلى باريس. إن جديتها، تحصر أبسط الطعام،
ليأكلاه معاً، ومشاركة فيودور بالطبع.

- لا... لم يسبق أن ررت هذا المطعم وأي مطعم آخر في باريس،
لكها لم تشرح له أسباب ذلك.

- إنه مكان جميل... أليس كذلك؟ لقد تعودت الحضور إلى هنا،
منذ سنوات، منذ ما قبل الحرب. أنا أحب باريس، وسعدت جداً
لإرسالني إلى هنا.

- وهل تسافر كثيراً؟

- نعم، أقوم برحلات كثيرة. وأنت هل سبق لك أن زرت باريس؟
أعني قبل مجيئك إليها مؤخرًا.

- لا... لكن والدي كانا يزورانها باستمرار. أمي المانية الأصل.

أحس فجأة أنه راغب بسؤالها، عما تعني لها الثورة التي نشبت في
الهند، لكنه، جمع عن سبيله، وقد سبب لها بعض الذكريات معه
منه برعب، يحدث أنها قد دخلت مرحلة من صدمتها، يصححها

- زويا... هل سبق لك ورأيت القيصر؟

سؤال أشد إيلاماً من السؤال عن الثورة. تنهدت زويا من أعماق
صدرها... «لا» - موع في عيها، حتى أنها سمحت لست بموع
أن تنهمر وتحرق وجنتها. لماذا هذا السؤال؟ كنت سعيدة بوجودي
معها، فمما سددني في لرمس لاصي، في ذكريات أحاديثها وألوانها
لهنبيات... «هل سبق لك ورأيت القيصر؟» رددت زويا بصوت
مسموع وأفاسها تحرق شفيتها.

- أهو سؤال سخيف؟ أم ماذا؟ ومن ثم لما هذه الدموع على وحتيك؟

- تسألني إن كان سبق لي ورأيت عمي؟... إنه ابن حال أبي.

أحست زويا برغبة قوية في التحدث عن الماضي، لكنها كانت حائرة من الذكريات، حائرة من العودة - في تفكيرها - إلى ستارسكوي سيو، إلى محالمة ماشكا أو تاتيانا أو أولغا أو أنستازيا، أو اليكس أو العمة ألكسندرا.

- لا عيبك... بمكا التحدث لاحقاً عن هذا الموضوع.

- «أنا بحير.. ولكس»... مدت يدها ومسحت الدمع بمديل حريري، كان أمامها على الطاولة. «أعتقدهم جميعاً... أنا مشتاقة إليهم فرداً فرداً... إنهم ما يزالون هناك في قصر ستارسكوي سيلو، موضوعون تحت الإقامة الجبرية».

- وهل تلقيت أية أخبار عنهم؟

- «تلقيت رسالة من الدوقة ماري... إنها واحدة من بنات القيصر، وهي حبيبة دافيد، راحل فيسي، - معاً، منذ سنة...»
معاً. يوم غادرت روسيا، كانت تعاني من مرض الحصبة. ابتسمت قليلاً وكأنها شعرت أنها تجالس ماري «وأنا أيضاً أصبت بمرض الحصبة... انتقل المرض منها إلي».

كان يصفى إلى كل كلمة تقولها، فدا له أن القيصر، يمثل لزويا، رجلاً أسطورياً، أكثر مما تعتبره عما لها... تتحدث عنه، وكأنه إنسان خارق.

- هذا يعني أنك كنت على تواصل دائم معهم جميعاً.

أحست زويا رأسها، فيما ارتسمت على شفثيه ابتسامة عريضة. أدرك أنه لا يجالس فتاة جميلة تعمل راقصة في فرقة باليه، بل فتاة من عائلة عريقة، فتاة ذات ماضٍ مميز ومشرف. إنها ليست فتاة عادية كما اعتقد حين بدأ زويا مرده... في حديث عن قصر فيسكي، عن الخدم والحشم. عن أحبها فيقولاي... عن مقتل أحبها على يد العوغانيين كما أسلمتهم، عن الأسبوع الأخير الذي أمضته في قصر ستارسكوي سيلو قبل انجنيء إلى هنا، طلباً للنجاة، وبناءً على رغبة خدتها وإلحاحها، لأنه لو ترك الخيار لها، لما أتت.

- أحتفظ بصور كثيرة تجمعنا معاً... قد تراها يوماً ما... كنا نغضي شهر آب من كل سنة في ليفاديا، وسيذهبون هذا العام إلى هناك، كما أخبرني ماري في رسالتها، ولكن من دوني أنا. إنها المرة الأولى التي يذهبون فيها إلى ليفاديا ولا أكون معهم. كما سيوياً نحتفل بعيد ميلاد اليكس على اليخت الإمبراطوري... كان هذا تقليداً سنوياً.

كانت زويا تتحدث بارتياح بعسي، تذكر أسماء الأشخاص، بإمكانه سي شكل ح... بعد من ماضي حديث، من تذكيرات لسي تورتق ليلها وبهارها، تتحدث عن أولاد القيصر، عن لعب التنس، عن الرحلات البحرية، عن الحملات، عن أمراء روسيا الذين هم الآن، يتسولون في شوارع العواصم الأوروبية، أو يعملون كسائقسي سيارات حرد في... من كمدفعل وأمير فلاديف ماركوفسكي... وهي ذات عمل قصير من هم، فيسكي من رفقتها في دهشها، إن سي... عمل، أوضحت له من يكون فيودور. كان الوقت يمر مسرعاً وممتعاً، وبالوقت ذاته أحس كلايتون بألم في الرأس مما يسمع وتأسف لما أصابها.

- وما تنوين فعله الآن؟

- ما رأيك... عند الرابعة بعد ظهر الأحد؟

- حسناً. نحن عادة نذهب للتنزه في غابة بولوني.

- جيد، عند الرابعة إذن؟ ونقوم بتنزه معاً.

- وافقت زويا، لكنها ما تزال تفكر، ماذا ستقول لجدتها. حتى

اقترح عليها قول الحقيقة «أحريها أني واحد من أركان قيادة الجبال بيرشيف، وقد التقينا تلك الليلة... ليلة استصافته للفرقة. فقول الحقيقة أفضل بكثير من الكذب والمراوغة».

- هذا هو الحل المثالي.

كانت زويا، محتارة من أمرها وتساؤل نفسها، «لماذا أنا مهتمة به؟...»

و لكن

- شكر سبي هذه المدة... و... و...

- وأنا أشكر لك تلبية دعوتي. فعلاً كانت جلسة ممتعة.

مد يده ولامس شعرها بحركة جعها تبدو عفوية وغير مقصودة.

كان يرغب بصمها إلى صدره، لكنه لم يفعل... أو لم يتجرأ على فعل

ذلك. إن اهتمامه بها، يزداد لحظة بعد لحظة وكذلك احترامه لها. لذلك

أوصيه حتى مدخل سبته، وفي مصرع من رصيف، حتى كاد به

دخلت المنزل بسلام.

الفصل السادس عشر

لم يكن صعباً إقناع إيفيجيا بامتقبال كلابتون. كما كانت تتصور رويبا. لقد أوضحت لجدتها أنها التفتت في الحمل الذي أقامه الجبال بيرشيف على شرف ديمابيليف وأعصاب فرقتة. هي البدء ترددت الكونتيسة المحوز بإعطاء الموافقة، لا لسبب، إلا صيق ذات اليد. فهم ما يزالون، يعتمدون على ما يأتي به الأمير فلاديمير، لكن زويا، تمكنت من إقناعها، إن لا ضرورة أبداً لتقديم أكثر من الشاي وقطعة حلوى صغيرة.

لم يكن اهتمام الحدة بالشاي العاخرة، ولا بالبخارم الخيرية أو أكواب البورسلين، والسماور الروسي، بل بسبب الريارة، ومن هو هذا الآتي؟ عند الرابعة تماماً، وفي الموعد المحدد، كان فيدور يفتح الباب لكلابتون، وسرعان ما تسدّت مخاوف الحدة. يبدو إنساناً محترماً، مهذباً، وسيماً، انحنى أمام فيودور معرفاً عن نفسه، كذلك فعل أمامها وهو يقدم لها باقة رهور خاصة بها، إضافة إلى باقة أخرى خاصة برويبا. وجلب معه أيضاً قالب حلوى.

لم يكن يلتفت إلى زويا كثيراً، وهو مستمر في الحديث إلى الكونتيسة المحوز، عن حياته، منذ طفولته في نيويورك حتى اليوم،

زويا وشدها إليه! فطرت إلى وجهه وهي تصحك ضحكة تلك الطغمة التي في الصورة. لاحظت إيميجينا هذا، لكنها لم تنفوه بأية كلمة، بل انتظرت حتى عدا إلى الشقة، ثابته، استعنت الحدة، ذهب زويا لإعطاء سفا إلى فيودور، لتوجه إليه وتقول: «فكر جيداً، حضرة القيب.. قد تكون سبباً في تغير مجرى حياة حفيدتي الصغيرة... كن واعياً... أرحوك كن رجلاً يتمتع بالشهامة».

ودع كلايتون الكونتيسة، كما قدم نفسه، منحنيًا أمامها تعبيراً عن الاحترام والتقدير.

- ماذا قمت له يا جدتي؟

- شكرته على قالب الحلوى والرهور، ودعوته لزيارتنا ثانية.

- هذا كل شيء؟ لقد بدا حدياً فوق العادة، حتى أنه لم يتسم وهو يقول لي النفاة.

- لربما يكون فكر بأمور كثيرة.. بالنسبة. إنه أكبر منك سناً، عمره يصاعف عمرك يا صغيرتي.

- هذا لا يهمي.. إنه رجل محترم.

- لا أنكر هذا.. إنه فعلاً إنسان محترم.

أحبت الجدة رأسها وهي تتساءل عما إذا كانت حفيدتها قد وقعت في الحب.

الفصل السابع عشر

بعد أسبوع، أمضاه كلايتون بعيداً عن زويا، وحده نفسه مشدوداً إليها... مشتقرويتها، لرؤية عينيها، لرؤية شعرها، لسماع رنين صحنك، تلك التي عذب ربه في قصر كوك بعدد حلال طامناً مستبداً، لا أحاسيس تبطر عليه ولا مشاعر، فإذا به، يتحول إلى إنسان عادي، يهتم ببيتة وعائلته، بعدد دقيقاً من الحب على أولاده... وقص من حبه، وقد كان له نصيب من قصر هذا الذي عرفه من خلال صور.

وجد نفسه، يقود سيارته ليزورها في شقتها، وليس ليتطرها أمام سراج، وقد فقه حدة، صفتح ربه، قد فقه فيه «أرملة الطروب» الذي، روت زويا أحداثه لجدها، بعد عودتها. فيما كلايتون يسكب الشميانا من زجاجة فاخرة، وفي كؤوس كريستال، جلبها معه. كان يرغب بجعلهما تستعيدان شيئاً من حياتهما السابقة. وجلب معه أيضاً، شايلاً فاخراً، وأعطية صوفية ومحارم حريرية.

كانت إيميجينا تشك بصدق نوايا كلايتون، ولكن لم تكن قادرة على تحويل دون ذهنيها معه، تسرد في حدى حديث العامة، أو - وإن تعذر - في مضاعف لشعبه، وتدلّ أنصرف الحديث، عن كل شيء، عن الباليه وعن الأبطال. زويا ما تزال تصر على انتخاب ستة

بدأ ينهار. وزويا وجدتها تعتيان به. إنهما تعترفان بما قدمه لهما، كان محباً ووفياً، لكنه... كان يملكه في سجن من سجن... على بكره مع سيدة جديدة في فرجة صوفية... أن يحني رأسه آخر الحانة، يتسم وقال لهما «الآن... يمكن العودة إلى روسيا».

في مقبرة صغيرة خارج العاصمة، وبمساعدة الأمير فلاديمير دفن فيودور، الذي بكته زويا وكأنه والدها. كان آخر معين لهما، بعد الآن لن يتمكن من تأمين الخطب للمدفأة. ولن يشعر بالأمان.

بدأ جلياً، أن سيرة آلام زويا لم تقترب من نهايتها بعد. كلايتون، غائب منذ شهرين، ودات ليلة، عادت زويا من عمها، لتجد رجلاً واقفاً في غرفة الجلوس، كادت أن تصاب بسوء جنون، اعتقدت أنه

— ما الأمر؟... تساءلت زويا، والإبدهاش ياد على وجهها

نظر الرجل إليها، نظرة الإبدهاش ذاتها التي ترمقه بها. وحتم صمت للحظات، قبل أن يقول «آسف يا أنستي... أنا... حدثك»

وقطعته بانفعال «هل هي بحير؟».

— نعم إنها كذلك، على ما أعتقد.. وهي في غرفتها.

— وأنت... من تكون؟ لم تحد زويا تصيراً الوحوه في غرفة الجلوس، يرتدي قميصاً ذا أكمام قصيرة، يبدو وكأنه آت من عالم آخر. — ألم تحبها؟... أنا مقيم معكما هنا... منذ الصباح وأنا...

كان رجلاً شاحب الوجه، بحدود الثلاثين من العمر، رفيق الشعر،

يشكو من علة في رجليه، هذا ما تأكد لزويا وهي تراقبه أثناء خروجه من غرفة الجلوس، قاصداً غرفة فيودور.

— ما الذي فعلته؟ لا أكاد أصدق ما رأيت... قالت زويا، وهي جالسة على كرسيها في غرفة الجلوس، في عتمة يوم السبت، قد أعطت النزول الحديد، من محتويات العرفة ما يؤمن له سبل الإقامة في العرفة التي كان يشعنها فيودور «من هو هذا الرجل؟... لماذا لم تقولي لي مسبقاً، حتى ولو تلميحاً؟... أكاد أجزى يا جدتي.»

دون أن تتوقف عن حياكة الصوف، نظرت إنيحياً إلى حفيدتها «لماذا فعلت؟ أجزت العرفة التي لا حاجة لنا بها؟ عاجلاً أم آجلاً، سيكون مضطرين لفعل هذا... فما نملك من حواهر، قارب على العاذ، وساعتين لن يكون لدينا ما نبيعه لتعاش بشمه.

— حسناً، ولكن لماذا لم تتحدثني إلى حول هذا الموضوع؟ لم أعد طفلة.. وأعيش معك هنا... إنه إنسان غريب كذا... لا نعرف عنه شيئاً، ماذا لو أقدم على قتلنا ونحن نائمنا. ماذا لو عاد يوماً ثلثاً؟... أو جاء بامرأة عاهرة؟

— ساعتين، نطلب منه الرحيل... إهدئي زويا... إنه إنسان مهذب، أصيب برجله بمعركة فردان التي جرت خلال العام الماضي، وهو يعمل

— لا يهم من هو ولا من يكون. إنه غريب عما، يقيم معنا في هذه... صعبة... وما تزال غمك من المال ما يكفي. وأنا أنفاسي

كانت إيقينيا، تترك سب معاة حميدتها... إنه غياب كلايتون،
وبعدما يعود، تعود زويا إلى حالتها الطبيعية؛ ورغم اقتناعها أنه إنسان
مميز، فهي تسمى ألا يكتب إليها أبداً.

دحت زويا المطبخ لإعداد الطعام، ولاحظت أن أنطوان ينظر إلى
حيث تبعث رائحة الطعام الشهى. فدعته لمشاركتهما المائدة، إن كان
يحق لها أن تطلق عليها هذا اللقب.

— آية مادة تدرّس؟

.. مادة التاريخ يا آسة... أنا أعلم أنك ترقصين مع فرقة الباليه.

— نعم... إيه كذلك. لكن نبرة صوتها دلت بوضوح على عدم اهتمامها بعملها، فشتان بين هذه العرقه والعرقه الروسية.

ترقصین.

من به نام خداوند بخشنده مهربان

— أما جند مسرور بوجودي في هذه العرفة، فاستمت إيمانيا وهي تقول: «و نحن مسروران لوجودك معنا».

— الطعام شهى جداً.

— شكراً. قالت زويلا دون أن ترفع نظرها إليه.

أخذ أنطوان يتكلم عن أشياء كثيرة، دونما اهتمام بردة فعل سامعيه. كان يتكلم لأنه يرغب بالتعبير عن ذاته، عما يحتلج بصدوره، من مشاعر وأحاسيس، الأمر الذي أزعج زويا.

بعد الانتهاء من تناول الطعام، أحب أن يمد يد المساعدة لزويها، في
حلي الصحون وتنظيف الطاولة، ومن ثم أوقد نار المدفأة؛ مما أثار عصباً
داخلياً عند زويها. فيما مضى، كان فيودور يؤمن الخطب، أما الآن فمن
بمعاد ذلك؟

— سبق لي أن زرت سان بطرسبورغ، قال وهو ما يزال جالساً
حرف الطاولة يراقب حركاتها حلسة، وتابع يقول: «إنها مدينة
جميلة». أحنت رأسها وأدارت ظهرها له، وراحت تراقب لهب

بما كان مع في حسيه . بقدره في روحه من به
 و هو يق بطل توفي بدات الرثة، أما زوجته فقد هربت مع
 ابنه كالعديد من البشر الذين يعانون من العذاب هذه
 لا م . كان من سيدة من حدة شخصه فيها .
 مجرد رجل، نجا من الموت بأعجوبة، وبدلاً من موازرته ورفع
 معوياته، كانت تحاول العكس.

استدارت زووبا ومظرت إليه، فتعجبت كيف قلت جديها أن
بشاركهما السكر هي الشقة

— البردقارس، قال وهو يوقد المدفأة بالمزبد من الخطب، تابع «غداً،
 صاحب الخطب للمدفأة يا آنسة، لاساً فعلاً بحاجة للمزبد منه...
 اترعيبين بكوب شاي آخر؟... إني على استعداد لإعداده لك.

إيه في الحادية والثلاثين من العمر، لكنه يدون أكبر من ذلك بكثير.
لها الحياة جعلته هكذا.

— اعتقد انی أشعل غرفتک یا آسمه.

- لا... إنها ليست غرفتي، بل هي غرفة أحد خدمنا الذي أتى معنا من روسيا وتوفي خلال شهر تشرين الأول الماضي.

- جد آسف... إنها أوقات صعبة والكل يعاني منها... منذ متى أنتم إلى باريس؟

- منذ نيسان الماضي... تركنا مباشرة مع بداية الثورة.

- التقيت العديد من الروس هنا... إنهم فعلاً رجال شجعان وضميرهم كامن حتى لو لم يكن لهم عمل... لكنهم لم يتركوا بلادهم حتى ذلك...

صمت قليلاً، علّه يلقى منها تعليقاً ولو مقتضباً، لكنها لم تفعل.

- أنا مستعد لقيام بما يطلب مني يا آنسة... فأنا أيضاً أقيم هنا، وعني، حدث... وأنا كوني على استعداد لنفي نفسي إلى أي مكان وجدته. أنا أجيد الطبخ، فلربما نجعل هذه المهمة مداورة.

بقيت زويا مستمرة في صمتها. ربما هو ليس شيئاً، لكنه كذلك... ولا ترعب بوجوده.

لقد لربس أوقفه، دخل حرمه ثم رجع فقبب. ترفت لما رآه وتذكر بكلايتون.

الفصل الثامن عشر

مع بداية فصل الشتاء، ومع اشتداد حدة المعارك، عرفت باريس أزمة معيشية حادة، نقص في المواد الغذائية، شتاء قارس، فقر وعوز وحياح. كل يوم واندون روس جدد، يبيعون، ما تمكّنوا من جلبه، من حلى ومجوهرات بأبجس الأثمان، حتى أن ايقمحينيا حين فصدت الصانع لبيع آخر قرط ذهبي مرصع بالألماس، كاد يعمى عليها عندما حدد الشاري سعره، ولولا الحاجة الماسة لما وافقت. هكذا لم يعد لهما معين سوى أجر زويا على ضالته، حتى الأمير فلاديمير ماركوفسكي صار يشكو غلاء الأسعار، وضيق ذات اليد، والأهم أنه يخبر الكونتيسة العجوز بما يترامى لمسامحه من أخبار عن روسيا.

أمام هذا الواقع، وحدثت زويا أن جدتها كانت محقة فيما فعلت، باستقبالها التزبل في غرفة فيودور، فعدا عن أن ما يدفعه لقاء إقامته، بب، كثير ما يحسب لهم حرج، أو لخصب نمدفأة، وأحياناً بعض الكتب الروسية لإيجيبها.

أية حال وصل إليها المهاجرون الروس؟ يبيعون، حتى كتبهم.

إنه كثير الإهتمام بزويا. ولماذا لا يفعل؟ فهي فتاة جميلة، ذكية،

حذبة رصية؛ حتى أنه سعى أكثر من طاقته ليأتيها بلوح شوكولا، فقط لأنها عمت أن تجد لوح شوكولا.

كلما مر أسوع، يزداد تعمير انطوان عن شهادته وإسائه وكرم أخلاقه وبهذه، كان يهدق عبيهما بالهدايا، ويعيل الخدة التي جمعها الروماتيرم شبه مقعدة، حتى أنه بعد ظهر ذات يوم، عادت رويا لتجده يحمل حذتها على ذراعيه ليقيها إلى غرفتها. إن اهتمامه لم يكن بيفيجينيا فقط، بل برويا أيضاً، رغم إدعائها أنها لم تلاحظ ذلك.

— لست أدري، كيف أدت لم تلاحظي مدى اهتمامه بك يا صغيرتي؟

كل اهتمام زويا، كان منصّباً على حذنها. فهي حذنة من حدة سعالها الذي قد يكون نتيجة إصابتها بالسل المتعنى في باريس، أو بالإمفلونزا الإسبانية التي تسببت بموت فيودور، حتى هي، أصابها الوهن والضعف، عمل شاق ومتعب، وقيل من الطعام واليوم.

— كيف حال جدنتك الآن؟ تسأل انطوان وهو يساعد في إعداد طعام العشاء. «لم تكن بحال جيدة... إنها بحاجة للعذاء، بحاجة للحم الطازج والخضار الطازجة، ولكن أين توجد هذه؟».

— إنني قلقة عليها... سعالها يخيفني أما توافقني الرأي يا انطوان؟

أحنى رأسه موافقاً على ما تقول، وأضاف إلى الحرر الذي كان يعلي على النار مكعبين من اللحم المجففة. البينة، لا يوجد حيز. نعم حتى الحنز مفقود، وإن وجد فأعني الأثمان، ما جعل الفقراء عاجزين عن شرائه.

— أعتقد أنه يجب عليّ أخذها لطبيب.

ولكن... حتى أجرة الطبيب غير متوفرة. ولم يعد هناك شيء للبيع، سوى عبدة سجانر والدها وثلاثة أقراط فضية هي هدية من أخيها، وأقسمت إيفيجينيا ألا تبيعها حتى ولو ماتت جوعاً.

— أعرف طبيباً في شارع غورو دي موري، بدل معاينته، لا شيء مقارنة مع غيره. إنه يجري عمليات إجهاض للنساء. أنا شخصياً قصدته مرات عدة من أجل رجلي، ووجدته طبيباً بارعاً.

رغم الألم كان انطوان يبدو سعيداً... تحسنت حالته النفسية. إنه الآن يقيم مع بشر محترمين، يهتم بهم، وبالحدة خاصة، أما اهتمامه بزويا فأمر آخر...

— كيف حالت اليوم؟ سألته وهي ما تزال في المطبخ بانتظار نضوج الخمر، إنه إنسان طيب القلب، يتحلى بعدة صفات حسنة. يساعد الحدة أثناء الهروب إلى الملجأ، إتقاء للعارات الخوية ويجلب الحطب.

— «على ما هي؟» وأنتظر عطلة نهاية الأسبوع، لأرتاح قليلاً وأقرأ بعض الكتب... هل ترغبين بمشاهدة أحد العروض المسرحية الهزلية؟ لديّ صديق، قادر على إعطائنا بطقتين محائتين للدخول إلى مسرح... متى تعود وتنقبي، فطرووف عمله تعرض عليه التكم على أماكن مكرز وحداته العسكرية.

— الحقيقة أرغب بزيارة المتحف يوماً ما. هذا إذا سمحت الظروف.

— لا عليك... قريباً جداً سنزور المتحف. ولكن كيف حال الذي

نظفوه وسميه طعاماً.

- قارب على الضوج.

- يودي لو أجد شرائح اللحم طازج.

- وأنا يودي لو بمقدوري شراء المواد الطازجة، من الحصار إلى الفاكهة إلى اللحم والدجاج... فكلما تذكرت، ما كنا نأكله في سان بطرسبورغ، كلما رغبت بالبكاء... كانت الناس قبل هذه الحرب، تحب اللحم، حبوا كثيرا، أما اليوم فهي لحم - صعد هذا من حشيتي معي نية أمس حشيتي بقطع لحم نضج بنوي.. حشيتي نضج، بالبرقال، بالمراولة.

أما هو فقد حلم بزواجه وبما فعلت، لكنه لم يحجرها شيئا، بل ساعدها في وضع الصحون على الطاولة.

- بالمناسبة كيف حال قدمك؟

- تؤلمني... فاليرد القارس يزيد من شعوري بالألم. أشكري الله على أنك ما تزالين صبية، على عكس ما نحن عليه، جدتك وأنا.

في فونتاسكا، كانت الصحون المصنوعة من البورسلين الصيني مزخرفة، نصف على الطاولة وفي وسط شهي ذلك ذات حشيتي من اللحم، فليس هذا كبر من راحة صدق معدته، ولا صدمه شيئا به. لأمر مؤسف أن تكون الحياة قاسية إلى هذا الحد!!

ذهب أنطوان لمساعدة إيجيجيا على الخروج من غرفتها والجمي إلى غرفة خبوس سبون لطعام، لكنه عاد سريعا عبر حنجره ونقص البقاء في غرفتها.

- أعتقد أن عليا استدعاء الطبيب.

- هو ما يجب فعله، ولكن من أين لنا دفع بدل أتعابه؟ لا شك أنه سيتقاضى أجره مضاعفاً. فمن الأفضل الذهاب أن نقصد عيادته.

- ساعد لها بعض الشاي، قد يساعدها...

هز أنطوان رأسه موافقا على ما تقول، لكنه، كان يدرك في قرارة نفسه، أن الأزمة المعيشية هي السبب الرئيسي في تدهور حالة عليا. سبعة عشر سنة على كل ما آتاه، سببها في حشيتي من طعام، فإن لم تتناوله اليوم، فقد تفعل عدداً.. بالمناسبة كيف كان عملك اليوم؟

- «نوعاً ما... أتمنى لو تعود العرقة الروسية لنباليه لأعاود الرقص فيها، هؤلاء الذين أعمال معهم، لا يدرون ماذا يفعلون... بإمكانك أن تحب عليا كل شيء، سبون لحم يرقص... عمة هذ كنت روي، تشعر بالفرح، لسبب وحيد، هو الآخر الذي تنقاضه لقاء عمها.

- أمس كنت أستمع في أحد المقاهي إلى حديث عن محاولة الانقلاب التي جرت مؤحراً في روسيا. كان المتحاورون يشددون على دموية البولشفيك، لهذا أجد نفسي إلى جانب الإنقلابيين ضد سفك الدماء.

- شخصياً أنا قلقة على آل رومانوف. فصد ترحيلهم إلى سيبيريا وأنا لا أعرف عنهم شيئاً.

من يدري فقد يكون الدكتور بوتكين عجز عن إيصال رسائلها إلى ماشكا، إذن ما عليها إلا الصبر... الصبر هو الدواء الوحيد لمعالجة الحالة السيئة. سبون لحم، كل يوم، نصف نكتة، فبأحسن حال، ورويا تترقب أخباراً من عائلة القيصر. هناك شائعات عن إمكانية مهاجمة

- والآن؟ ألا تفكرين بالزواج وإحجاب الأولاد.

- لا... فمعظم الرافصات لا يتزوجن، حتى ينتهي المطاف بهن، إما إلى مدرّبات أو إلى الموت.

معظم الرافصات المشهورات لم يتزوجن، أمصين حياتهن عاربات، دون أن تجرّوا إحداهن على التفكير بالزواج. كلايتون مجرد صديق، ورائمة ماركس فكي نحصى بسن من عصر، أما ريموند في نفس، فهم لا يفكرون بالزواج، وليس مقصود من حبس ريموند في روضة، ولكن من هناك يجرّون إلى هنا على كس، وذلك ما يجب ألا الاهتمام بجديتها.

- قد تكونين أفضل زوجة.

- لم سمعت أحى يقول هذا، لا أعبدك بحب، أنا لا أحب صبح ولا الخياطة، لا أهتم بالرسم أو بحياكة الصوف، لا أتصور أني ربة بيت مثالية... على كل، ليس هذا هو موضوعنا الآن.

- أرواح لا يعني لصح، حبسه فقط.

- حسناً، ولكي لا أعتقد أني قد أكون المرأة التي تسعد زوجها. صدم بما تقول.

- رويبا!!! قال وهو يحدق بها.

- نعم انطوان.

- لربما، يأتي يوم، تتعرفين فيه على رجل يطلب منك التوقف عن الرقص؟

لم يكن يدري أن الرقص يلعب دوراً مهماً في حياتها، وأنها لا ترقص لتأمين مورد مالي وحسب، بل تحقيقاً لحلم قديم.

- من الأفضل لي الآن، مساعدة جدتي في وضعها على السرير وإلا سيرداد الألم في رجليها، إنها ما تزال على الكرسي.

بهتت ودخلت غرفة النوم، لتجد جدتها ما تزال مستيقظة.

- أما ترعنين بتناول الطعام يا جدتي؟

- لا يا صغيتي، أنا قد معته دعه لبعده، فليس مستحسن أن أتناول الخوج هذه أن ترمي الطعام... ماذا كنت تفعلين في غرفة جدتي؟

- حدثت مع أنطوان.

- إنه رجل طيب.

- فعلاً إنه كذلك. لقد أعطاني عنوان طيب، منذهب إليه غداً.

- لا ضرورة للطبيب يا صغيتي.

- بلى... هناك ضرورة قصوى.. سعالك يحيرني.

- كل اللواتي بعمرى يسعلن هكذا.. يكفي أني ما أزال على قيد

حياة.

- لا تقولي هذا.. أرحوكِ جدتي.

الفصل التاسع عشر

تقاضى الطبيب أجراً زهيداً، لكنه أفرغ محفظة روبا. المهم أنه سعال
الذي تركته في الشقة مع الإيجييا، يتحدثان عن روسيا، عن ماضي
يعود ثانية، وعما آلت إليه الحال.

بعد عودتها مساءً، توقعت أن يكون الدواء بدأ يعطي مفعوله. في
المسح كـ... هذا... يدحج... من حصول...
الفس. اليوم دحاج، وغداً حساء الدجاج. هذا ما فكرت به روبا،
كـ...
على وحدات... في...
فبلاً، غير أن «الرياح تجري بما لا تشتهي السفن».

أسعدت مساءً يا بطوان، وشكراً على إعطائنا عنوان الطبيب.
- لم يكن ضرورياً إنفاق المال. قالت إيجييا وهي تقرب كرسيها
من...
رائع يذكر بما مضى. دجاج وحطب».

- لا تكوني سخيفة يا جدتي... أنا على استعداد لدفع روبي فداءً

لث

بعد تناول العشاء العاجز، ذهبت الجدة إلى غرفة نومها فاستعمل انطوان المناسبة، ليتحدث مع زويا. حدثها عن أعياد الميلاد أيام طفولته، وعن الهدايا ليلة رأس السنة. إنها ذكريات...

- عيد الميلاد في روسيا يقع في السادس من كانون الثاني وليس في الخامس والعشرين من كانون الأول.

- أعرف ذلك.

- أعتقد أننا سنذهب إلى الكنيسة الروسية لتأدية صلاة العيد هذا العام.

كانت تنتظر حلول عيد الميلاد، وبالوقت ذاته تتخيل كم سيكون مبهجاً أي عيد، ولا أحد، لا أحد، سيكون حزيناً مستغنياً عن لأمت لأمة من هذا الحدس في كسبه كنهم سعداء عبيد لذي قنوده، كل متأكد من قد يذهب على حسن نيت محظوظ، يد تدرك، أن جدتها ستصبر على حضور القداس، إنه أول عيد بلا هدايا.

مع حلول يوم العيد، كانت مدهشة جداً من نظرها وشاح صوف وقمازين وزجاجة عطر صغيرة، من النوع الذي طالما رددت على مسمعه أنه عطرها المفضل... زجاجة عطر ليلاس الذي سبق لماشكا أن أهدتها زجاجة منه. فرحت زويا كطفل صغير تلقى هدية العيد. نظرت إليه والدموع تنهمر من عيها، وبحركة طفولية ضمته إلى صدرها وقبلته على وجنتيه. قبلة أحوية، هكذا هي اعتقدت، أما هو فقد شعر بالنار تحرق جسده، هذا ما كان يتصاه منذ زمن، ولا يجرؤ على فعله.

بكت الجدة وهي تناول الهدية منه. إنه ليس الرجل المناسب جداً لزويا، لكنه خير من تعرفهم، وكانت متأكدة من أنه سيعتني بها ويوليها

اهتمامه. ولهذا، حين تحدث معها لموصوع رغبته بالزواج من حميدتها، لم تتوانى عن منحه بركتها ورضاه، ولكن دون علم زويا.

حملت الكوثيسة العجوز هداياها وتسللت إلى غرفة النوم، وهي تنضرع لئلا يتمكن من نيل موافقة زويا على الزواج منه.

- «لا بد أنك أنفقت كل ما لديك من مال». قالت زويا وهي تحرك النار بقضيب معدني طويل، وسافاً تهز ديلها «هذا جنون... ولكنه يعبر عن كرم ونبل... شكراً انطوان... أما المطر فمن أستعمله إلا بالمسابات الممبزة جداً» وعيد الميلاد الروسي، هو تلك المناسبة.

حسن حتى كرمي فاسيف، تحه لأن يستجمع قواه حبه لنسوان حده و... من من حده، لم يحق من شيء، حتى من معركة مردد، إلا أنه الآن خائف... خائف جداً، ولا يدري كيف يبدأ حديثه.

- أود أن أتحدث معك يا زويا عن مناسبة حد عميرة.

- ما تعني بقولك هذا؟

- أعني... أعني... أحبك يا زويا.

- ماذا؟... قالت باستغراب لا يوصف.

- أحبك... أحسبك منذ اليوم الذي التقينا فيه واعتقدت أنك كنت تتوقعين هذا الاعتراف.

- ولماذا أتوقع؟ قالت بغضب واضح «أنت حتى الآن، لا تعرف شيئاً عني».

- منذ شهرين ونحن تحت سقف واحد، أولست هذه مدة كافية

لأعرف من أنت؟ ويمكننا البقاء هنا في هذه الشقة إنما نتشارك، أنت وأنا غرفة واحدة.

- رائع!!! انتصبت وهي ترفع يدها في وجهه غاصبة. لا كيف استطعت أن تفكر بهذه السخافة التي تموهت بها؟ كلما جياع، ولا أحد منا يملك حتى فلساً واحداً... وأنت تعرض الرواح. لماذا؟... لماذا؟... أيا لا أحبك، وبالكاد أعرف من أنت، وكذلك أنت...
أنطوان نحن مجرد اثنين عربيين.

— أبداً لستنا كذلك يا زويا... نحن أصدقاء... والصدقة، يظن
الأعلب الأعم هي الطريق إلى الرواح الناجع.

— أما لا أؤمن بما تقول، لن أتزوج إلا من أحبه بحون.

... تعقد حدثك! أما قد نكون أسعد عروسين.

- إبن ما رأيك لو تخرج جدتي!... أنا لا أفكر بالزواج. أنا محاطة

حیاتنا اِدُن؟

— تقصدین امک لا تحببنی.

إرغمي عني الكرسي بتأقل، غير مقتنع بما يسمع وكأنه متأكد من
حبها له.

– الحب الذي تمحدث أنت عنه شيء، والصداقة شيء آخر. أنا اعتبرتك صديقاً قليل أكثر... حتى أنت تعاملت معي على هذا الأساس، لم تلمح يوماً إلى الحب.

.. لم أفعل ذلك بسبب الخوف. ولكن.. هل متفكرين في الأمر يا زويا؟

هرت رأسها وانهمرت دموع من عيبتها «أطوان» لن أسمع لنفسي
بالكذب عليك، ولا أعدك بشيء، هذا ليس من مصلحتنا نحن
الإثنين... أمي لو أتت أحبك... لكنت استجبت لطلبك فوراً ودون
تردد. إنما المشكلة هي أنني لا أحب فقط لا غير».

— حاوی،

.. لا.. الحب أحاسيس تاتي بشكل عفوي... أنا أسفة أظوان...

أدارت ظهرها وانجذبت نحو عرفة اليوم، تاركة، ما جيبه لها من هدايا حتى زجاجة العطر.

أطفأ أنوار غرفة المحروس. وذهب إلى غرفته متأملاً، أن تتمكن
حديتها من إقناعها.

روبا؟... قالت الحدة الممددة على السرير، فيما هي ترتدي ثياب النوم ومن ثم تقف عند الباعثة المطبوعة على الحديقة والدمع في عيها. عادت الجدة وباداتها، فامتدات نحوها، فبدأ بالدموع تتلأأ على حديها «لماذا يا جدتي؟... لماذا فعلت هذا؟ لماذا شجعتني على حبه لي؟ هذه حريمة بحقنا نحن الإبنين: أنا وهو».

كانت زويا تألم معه: وتعني أنه الآن في حالة نفسية لا يحسد عليها؛
وتعني لو بمقدورها مساعدته، ولكنها غير مستعدة للزواج منه، شفقة
عنه.

- لا... ليس جريمة... عليش أن تتزوجي أحداً ما، وكلي يقين أنه يحبك. إيه أستاذ ومحترم... ويحبك... يحبك.

لكنى لا أحبه.

- أعدك أن أنسى كل ما قنته لي.

- هذا ليس حلاً... ولكن لماذا لا تحاولين التفكير ملياً قبل إعطاء الجواب النهائي زويا.

- لا... لا أريد أن أجعلك تعيش مع الأوهام، وعلى آمال كاذبة... لن أتزوج منك، لا الآن، ولا غداً، ولا بعد غد.

- هل هناك من رجل آخر في حياتك؟ كان أنطوان يشير إلى صديقها الأميركي كلايتون. لكنه لم يكن في يوم من الأيام، يعتقد أن علاقتها به هي علاقة حب حدي.

- لا... إنما أحلم ولا أحب أن أتخلى عن أحلامي...

- ربما تحسن الحال بعد الحرب، وستقل من هذه الشقة إلى شقة أفضل.

كنت حائمة بصور سعيدة لا تعرف مسحة سعادة، منذ أن علمت أن زويا لا حدود لها.

عندما كنت حائمة بصور سعيدة لا تعرف مسحة سعادة، منذ أن علمت أن زويا لا حدود لها.

- حسناً، إذن سأرحل عدداً.

- لا... أرجوك. أقسم أني سأبقى بعيدة عنك... رحيلك قد يدمي قلب جدتي.

... ستزينا زويا؟ هل ستشتاقين إلي؟
- أعتقد ما من صديق إلا ويشتاق لصديقه يا أنطوان. اليس كذلك؟
- سأكون أوفى صديق، إنما لن أبقى هنا.

عشاً حاولنا معاً، زويا وإيفيجيا إقناعه بالبقاء معهما، حتى دون أن يدفع أحر العرفة. وعشاً حاولت زويا إقناعه بأهمية علاقة الصداقة، أحسن أنطوان أن كبرياءه قد جرحته.

صباح اليوم التالي، استعادت زويا لتجد على الطاولة إيجار العرفة مع رسالة يتمنى لها فيها حياة سعيدة وزجاجة العطر التي كان قد جلبها لها ليلة الميلاد؛ ولم تجد أنطوان... باكراً رحل أنطوان، حتى دون وداع إيفيجيا التي تأثرت جداً لرحيله.

الفصل العشرون

رحل أبطوان... وخيم صمت ممزوج بالأسى والوحدة، على تلك
ساعة قرب عصر لنكي... يا شه عاصه عن عمن، يا نكي ناديه
نسوء من يوم لآخر... إيثيجينيا، ما تزال تتساءل عن أسباب رفض زويا
الزواج من أبطوان... أهو عدم الحب كما تدعي... أم حب إنسان
آخر؟

بعد رأس السنة، وقبل حلول عيد الميلاد الروسي، وجدت إيثيجينيا
نفسها مضطرة لبيع، ما سبق لها وأقسمت ألا تبيعه. علبة السجائر
الذهبية التي كانت لأسب، ولدت عند فسيه مرصعه باليد، كانت
لحفيدتها نيقولاي... إنه الجوع الكافر.

برفقة فلاديمير، مستغلة غياب زويا، قصدت إيثيجينيا أحد صاغة
شارع كاموب لندي عرص ثمناً حياً، بسب كثرة عروض البيع..
ففي كل يوم، هناك أمر، رومن، يبيعون ما تمكنوا من أمثال هذه لعب
وغيرها من المجوهرات.

«به قدر ما مشووم» عني فلاديمير ك يشتري نذهب ولانس،
وها نحن اليوم نبيعه، لثقات بثمانه.

— فعلاً إنه قدر مشووم يا سحر الأمور...

يأتي به فلا تغيروا ولكن من بعض الناس في عهد نوبت من حسن إلى جانب الطرق الخفيف على الباب، سمعت زويا صوتاً مألوفاً.. صوتاً أدهشها وأفرحها... ولكن من غير المعقول أن يكون هو. فتحت الباب، فتسمرت مكانها تنظر إليه وهو يرتدي بدنه الرسمية والحدود الحاسية تلمع على كتفيه، وعيناه الررقاوان مموتان بالحلب والحان.

.. عيد ميلاد سعيد يا زويا...

إنه كلايتون يقف أمامها منذ شهر أربعة لم يأت لزيارتها، لكنه يدرك أهمية هذه الليلة عند زويا وجدتها، فصمم على تمضية إجازته الممتدة لأربعة أيام معهما.

.. هل يحق لي الدخول؟

.. أيا... يا إلهي.. أهذا أنت حقاً؟

.. أظن ذلك.

ابتسم وانحنى ليقبل وجنتيها دون أن يأخذها بين ذراعيه مع أنه كان يتمنى ذلك. دخل كلايتون، وسارت زويا خلفه، تنظر إلى مكانه لعرضين وفمه نمشوقه ودمج بعمرها من حمض قدمين حتى شعر الرأس لاحظت به بحسن حقه، حتى ما يعبر كثر بالنسبة لهما، وهي هذه الأباء بحاصة، صفة مظهر من مود طارحة، ألوح شو كولا، يدين، حمة كبيرة، بعض الفرج، ورحاحة سيد فاجر من لذي بشره حمرل بيرشيع شخصياً إلهام ثريتان جداً.

«ميلاد سعيد سيدني كوبيسة» قال وهو مسح يقبل يد بفيحبيا

في مشتاق لك كل شوق، مشتاق بك معاً « لكن شوقه لحدده لا يقارن بشوقه لزويا، وليس بمقدار شوق زويا إليه.

شكراً أيها النقيب. «ما أخبار الحرب؟».

كانت الجدة تكلم كلايتون وعينها على حفيدتها التي استعادت حيويتها، وعادت العرحة تغمرها، إنه الرجل الذي تريده زويا، وسيم، طويل القامة، معتز بنفسه.

.. للأسف، ما تزال مشتتة، ولكن ليس لأكثر من شهر عدة.

تدب عشاءهم في كات ماري على طهونة، بيت لاشي، مصرية مع ما حمة كات ماري، كات ماري، سطر، ألوح شو كولا، كصص صعد حانج، ضحكك حد، وهي تقدم بعض منها خديها، كما هي سيم سمي، وكات ماري، صحتك من، شوقه، إنه مسرور حد برويتها بعد غياب أربعة شهور.

.. ما أزال أتذكر أنك تحبين الشوكولا.

.. م... ما أأخذ الشوكولا.. شكراً جزيلاً.

ضحكت إيفيحبيا، وسرت جداً لرؤية حفيدتها سعيدة إلى هذا الحد، عند مددت صفة صفة «درك كات ماري» مدى تأثير الأباء لصفة عبيها، فالجدة مثلها مثل روبا، بدت وكأنها في التسعين من العمر. لكنه، رغم تحول حمة زويا، ما يزال يراها جميلة، ما تزال أجمل نساء العالم في عبيها، وما يزال يتمنى لو يأخذها بين ذراعيه ويظهر بها على بساط الريح.

.. ما بك ما تزال واقفاً... تفضل واجلس حضرة النقيب.

.. شكراً سيدتي... لا شك أنكما ستذهبان إلى الكنيسة هذه الليلة؟

كلايتون خرس في عبي كونيصة معجزة. فزت منها ووضع يده
عني كتفها وعت رعدة حبه من يدي بعد كان يعرف به مشروبات
المفصل لها.

- أنت متعبة جدتي. ما رأيك لو تأوين إلى فراشك؟

- بعد قليل.

كانت الكونيصة سعيدة لسعادة حفيدتها بوجود كلايتون، لقد
نسبت كل شيء ولم تعد تفكر إلا به.

- أمسي لكم ميلاداً مجيداً... قالت إيمي جينيا وهي ترفع كأسها
لترشف ما تبقى فيه من بيذ «سأترككما الآن، أما حد متعة» لاحظ
كلايتون أنها متعبة فعلاً، ولا مساعد به. لم تكن من قبل
غرفة اليوم...

بعد ذلك بقليل، شرب فلاديمير نخب الجميع، ونخب روسيا وترك
زويا وكلايتون وحدهما، وهو يدمدم بينه وبين نفسه «إنه رجل
محفوظ... لكنه أكبر منها».

- ميلاد مجيد يا زويا، قال الأمير وهو يقبل وجدة زويا مودعاً عند
مدخل الشقة، فابتته وصديقتها تنتظران في منزله.

أعجبت زويا بسب وعدت بحسن قلبه كلايتون، عيش ذكرى
و لوقع، فسقطين بيفولاي فلاديمير أنظرون دأهم
كلايتون هو الآن هذين حبه يهدو، قدم منها وأمسك يديها فاستها
قزلاً «ميلاد مجيد» بالنسبة لروسيا أو كما حفظها عند سعادته به ماء
الكنيسة وبالمثل ردت عليه زويا.

- أحبك... أحبك زويا، لم يسبق له أن أعلن حبه لها، لم يكن متأكدًا،
أما اليوم، وبعد غياب أربعة شهور، تأكد أنه يحبها بجنون. لذلك يحق
له البوح بحبه.

- وأنا أحبك أيضاً يا كلايتون... قالت بصوت متحمض. ولكن
ماذا بعد؟ منتهي الحرب وسيعود إلى نيويورك. إذن ما يقع هذا الحب؟
- كنت حد قلقاً عليك يا زويا... وكم عجت لو أني أمصبت تلك
الشهور هنا إلى جانبك. والآن... أتمنى لو أبقى هنا إلى الأبد... وليس
لأربعة أيام فقط.

- كنت أعرف أنك ستعود... أو قل كنت آمل ذلك.

في قرارة نفسها، شكرت زويا الله لأنه أمدّها بقوة بمحبة جدتها،
... من حتى الآن... من فالتقى... من قبل...
أن تعمل الآن... بعد عودة كلايتون؟

- زويا... حاولت جاهداً مقاومة مشاعري... حاولت نسيانك.
... لكن حبه يصر في اعرفه، فكذلك،
... كل ما فيها... وحده...
... لا هذه حبه فربه. أي رغبة شجوب
وحبهها، والحزن الواضح في عيبيها، ما تزال مثيرة وجذابة، ما تزال،
... ويصعب... است هذه الفقد، التي حاول
جاهداً نسيانها، حباً بها، لا رغبة في النسيان، لقد أكتسبت السيئ خبرة
ورودته بالحكمة «زويا... أنا أكبر منك بكثير، أنت بحاجة لإنسان
يكشف ذاتك، يحبك السعادة».

... كل من هو هذا الإنسان؟... هو... الأمر... خلقه...

زوياء لم تكن بحاجة لفتى، يكشف جسدتها، بل هي بحاجة لمن يرعاها، ويهتم بها... وكان كلايتون يتمنى لو يكون هو... هذا الإنسان.

... غيرت محروني حسي يا... محبي من... بكى
ويزيد... أنا لا أبحث عن من هو أصغر منك سناً، المشكلة ليست
هنا، إنما هي في أحاسيسي ومشاعري... أنا لا يهمي، إن كنت
فقيراً أو غنياً، إن كان عمرك عاماً أو عشرين. مشكلتي هي أي
أحبك وهذا هو المهم.

... ولكن، قد يلعب العمر دوراً في التقارب بين اثنين، وكذلك
الوضع المادي... إننا نعيش ظرفاً استثنائياً... أنت خسرت كل
شيء... أنت الآن تعاني من أمور كثيرة، من خسارتك العردوس
الذي كنت تعيش فيه، من الإحساس بالعربة، من المعاناة من
الحرب وآثارها. كلانا، عريان هنا يا زوياء... سيأتي يوم، تقفين فيه
أمام نفسك ونساءلين عما فعلته بنفسك، ولماذا قبلت بي؟

ابنسم كلايتون، وهو حائف أن نكون توقعاته هذه، حقيقة
واقعية. ومضى يقول «إنها الحرب تترك آثارها على كل شيء»، حتى
عنى مشاعرنا «قال هذا انطلاقاً من مشاهداته، وعما رأى ويرى.

... بالنسبة إلي... لا نهاية لهذه الحرب... أنا يستحيل عليّ
العودة إلى وطني... يعتقد البعض، أن هناك إمكانية العودة، هذا
وهم، حتى الثورة في روسيا، لم تعد هي التي عرفناها في بدايتها. إننا
أمام ثورة جديدة... كل شيء نغير، ومبقي يتغير. نحن الآن هنا،
وهذه حياتنا الجديدة.. هذا هو الواقع.

نظرت إليه بحدية، فأيقن أنه ليس أمام طمعة، بل أمام إنسانة
علمتها الحياة «كل ما أعرفه يا كلايتون... هو أنني أحبك».

«جعلتني أفكر وكأني أصغر سناً يا زوياء... إنك لمنحيتني
سعادة لا حدود لها».

أمس كان يحلم بها، وها هو الآن يقاوم عواطفه ورغباته. ابتعد
عنها، ثم وقف قبالة الباعدة المظلة على الحديقة. عاد إلى باريس، ليراه،
ليضمها إلى صدره، ليشبعها قبيلات، وها هو الآن، حائف مما قد
يحدث. اعتراه توتر شديد، أما زوياء، فكانت تنظر إليه بهدوء، لا خوف
يعتريها ولا قلق، وحوده يشعرها بالأمان.

«أنا لا أريدك يا صغيرتي أن تفعلي شيئاً، قد تدمين عليه غداً...
هل لديك عمل هذا الأسبوع؟
... لا... كل العروس معيقة.

«حسناً هكذا يمكن استغلال إجازتي هذه. أما الآن فعليّ
الرحيل... إنها الثالثة فحراً.

«وأين تقيم؟

«في الفندق المخصص للجيران بيرشيغ... أمكنني زيارتك غداً؟

«أتمنى ذلك.

«عد العاشرة سأكون هنا.

«إلى اللقاء عد العاشرة.

الفصل الحادي والعشرون

- لا شك أطلت السهر ليلة أمس يا صغيرتي؟ قالت الجدة وهي

الحيز الذي جلته كلابتون.

- لا يا جدتي... أجايت زوها وهي ترتشف الشاي وتاكل

الشوكولا حلوة عن مرأى جدتها.

ما تزالين طعنة يا ابنتي...

بعينين حريتين، نظرت الجدة إلى حميدتها. وبطرات تعبر عن قلق

معروف سلفاً.

- بلغت الثامنة عشر يا جدتي.

- ومادا يعني هذا؟

- يعني أني لست بلهاء كما تعتقدن.

- لا... أنت فعلاً كذلك، والا كيف تقعين في حب رجل من عمر

- والآن عليّ إعادتك إلى المنزل... وإلا ستعضب جدتك.

لكن زويا كانت ترغب بالبقاء إلى جابه ولا تريد إضاعة حتى دقيقة واحدة من هذه الأيام الأربعة.

- لا تحف... أحيرتها ألا تنتظري لعشاء لأنني قد أتأخر... ما رأيك لو أعد طعام العشاء... هل لديك هنا ما يمكن إعداده.

- لا أدري... قد نذهب إلى أي مطعم. ربما إلى مكسيم، أما أحيته؟

- لا فرق عندي. بصدق قالت هذا. كل منهما أن تبقى معه.

- آه زويا... أعتقد أنه عليا الذهاب إلى أي مكان. لم يكن راغياً بالبقاء معها في المنزل، مخافة أن يحدث ما لا تحمد عقباه.

- ولماذا؟ وهل هذا يرعج الجيرال بيرغبيس؟

حرق بها، فرأى براقة الطعولة في عيبيها وعنى عيها.

- لا يا صغبرني... ولكن أرى أنه من الأفضل ألا يبقى وحدها هنا، أنت جلد جميلة، جلد جذابة مما يجعلني لا أثق بنفسني. أنت جلد مخطوطة، لأنني لم أصمك إلى صدري وأعريت من ثيابك.

- أمذا ما تحفظ له يا حضرة النقيب؟

- لا... ولكن أحب أن أفعل ذلك.

تقدم منها ولاعب شعرها المنسدل على كتفيها دون أن تبدي أي اعتراض.

- هذا ما أحبه... أن نذهب إلى جنوب فرنسا، بعد انتهاء الحرب طبعاً، إلى إيطاليا، هل سبق لك وذهبت إلى هناك؟

رفعت رأسها علامة النفي وأغمضت عيبيها وكأنها تريد أن تبقى نجي في حلم وجوده معها.

- عليا الذهاب... دقائق لأبدل ثيابي وأعود.

استقلت زويا هذه الفرصة لتتحول في المنزل وفي غرفه المريحة المتعددة. أحبت المخاطرة، وصعدت على الدرج الرخامي نحو الطابق الثاني؛ حيث غرف جلوس كثيرة، ومكتبه ملأى بالكتب الفرنسية والإنكليزية، إضافة إلى غرف كثيرة مغلقة... سمعت صوته يندندن أعبه وهو يستحم...

- هالو... صاحت زويا. لكنه لم يسمع نداءها بسبب صوت تساقط الماء في غرفه الاستحمام. بعد عدة دقائق بعد عودته من غرفة النوم وجد وحدها بانتظاره، ودون أن تأبه لوجوده أمامها عاري الصدر.

- ماذا تفعلين هنا؟

- أحسست بالوحدة وأنا في الطابق السفلي.

حدثت به، فوجدت نفسها مسحوبة إليه، ودون وعي، تقدمت منه، فأحتمها بين ذراعيه، شدّها إلى صدره، قبل وجنتيها وشفتيها متذوقاً ضعم بشرة جسدها العنق.

- إنزلي إلى الطابق السفلي يا زويا... أرجوك...

- لن أفعل.

- أرجوك زويا... لكه عاد وقلها، أحس بقلبه يكاد ينفجر لاردياد عدد دقائقه «أرجوك... إدهبي ولا تعودي إلى هنا ثانية».

عبثاً حاول إبعادها عنه، فلم تنزعج من مكانها. «ليس بمقدوري

ضبط نفسي أكثر من ذلك يا صغيرتي... فأرجوك إنزلي إلى الطابق الأول وإلا لن أعفرك لعنسي... إذا؟»

- إذا ماذا؟ إذا مارست الحب معي؟ ما هو السوء في ذلك يا كلابيون؟ ولا مستعصبي... فكر بهذا المنحصر ليس هناك من يهجم آخر حياتي... أحبك.. أحبك» مأساة خروجها من روسيا، جعلتها لا تفكر بنفسها، فقط حبيبها وهي مكينة إلى حبها منك حتى بعد عرقه يوم هذه الحيرة كانت غداً لا شيء ولا شيء في شئ وإنها تحبه.

- أنت لا تدريين ماذا تفعلين يا زويا... لا أحب أن أكون سبب أذيته.

- لن تسب لي أي أذى.. أنا أحبك بجنون... وأنت لن تؤذيني أبداً.

لم يستطع كلابيون إيجاد كلمة ليقع به... لكنه إذا ما فعله يوم بعد وقد عني تحدث نفسه، فوجد يديه تترجف من شدة هذا قطعة بعد قطعة وشفتاه تتقلبان بين لوحدين وتغور في حجابي فحتمها على نفسه ووضعها على السرير؟ عاريان تمدا جيباً إلى جنب. منذ زمن لم يمارس كلابيون الحب مع مراد وهذا زاد مع حسه في مقتل فحضر يحضر إلى جسدها العاري، ونار الشهوة تنهب في جسده.

- ماذا تشعرين يا زويا... أولست نادمة.

- نادمة؟ أتعرف يا كلابيون، أنت الآن، تمنحني الحياة. أنظر في عيني... ماذا ترى؟ أترى حرناً أم فرحاً؟

- زويا، أعود وأكرر السؤال هل أنت نادمة أيتها الفتاة المخونة؟

- لو كنت نادمة لما كنت أرغب بالمزيد... إبقى إلى جاسي. هكذا

عاري الجسد، كما أنا، أنظر إلى جسدي، أما بثير شهوتك؟

قارب البيل أن يتصاف وهما ما يزالان في السرير معاً.

- عليّ إعادتك إلى المنزل، وإلا سنقتلني جلدتك.

- لا عليك فلن تعمل هذا أبداً.

الفصل الثاني والعشرون

صباح اليوم التالي، جاء كلايتون، وحلب معه اللحم والخبز ولفاكهة ونوعين من الخبزة. قبل زويا على حدها، وانحى وقتل يد لكونيسة العجوز التي لاحظت، أن الذي يربط بين هذين الأحقرين، قد يكون تعدى حدود العلاقات البرية، فانتابها الهواجس.

نعم، إنه رجل وسيم وسحي ولا شك يحب زويا، لكنه هنا، في مهمة عسكرية، ومن يدري، قد يصبح يوماً ما، معاقاً، أو يدرج اسمه على لائحة شهداء الوطن؟... إنها الحرب. ومادا يكون مصير هذه الصغيرة؟ في الوقت ذاته. كانت تترك، كل الإدراك، أنها عاجزة عن كبح جماح حميدتها واندفاعها نحوه.

أصر كلايتون على اصطحاب إيميجيا في نزعة. فهي نادراً جداً، ما تخرج من بين هذه الخدران وهموم الحياة، إضافة إلى آثار الحرب، قد تدمرها. إنه محق... فالسيدة العجوز، ما تزال تعتمد قوتها، من رعيتها في الإستمرار برعاية الصغيرة التي أفقدتها الثورة، كل من كانت تحب، وقصت على أحلامها.

لم يكتب كلايتون بدعوتها إلى النزعة وحسب، بل وإلى تناول العشاء في أحد مطاعم باريس العاقرة، حيث استعادت العجوز، ذكريات

سان بطرسبورغ وستارسكوي سيلو. منذ زمن لم تتناول الطعام في طبق من النورسلين الصيني، ولا معلقة فضية، لاحظ كلايتون أن العجوز تحاول حبس الدموع في عينيها. إنها إنسانة جارية، لكنها أصبحت شبه عذرة. مما اضطره إلى مساعدتها في تسليق الدرع الصغير الذي يوصل إلى الشقة حيث تقيم.

بعد الظهر، عاد كلايتون واصطحب زويا في نزهة كما ادعى. لكنه اصططحبها إلى مقر إقامة الجنرال بيرشيغ. حيث مارسا الحب أمس، ولمارساه من جديد، دون خوف من أن تصبح زويا حاملاً.

فعلاً إنها فتاة محزنة، إن أرادت شيئاً، لا أحد يتمكن من ثيها عنه. وماداً ستحسر أكثر مما خسرت، فقدت الأب والأم والشقيق، فقدت نفسها، وأسى، وأحب، فقدت كل شيء، حتى صدمتها، خوشت في ذكرى تبكي ولا تفرح.

صبيحة اليوم الثالث من الإجازة، تأخر كلايتون بالقدوم إليهما بعض الشيء. إنها الحادية عشرة ولم يأت بعد... الفلق يتتاب زويا، ولا وسيلة اتصال به. لكنه، وعند الحادية عشرة والنصف وصل ومعه هدية كبيرة خبز، وضعها على حذاءه في الصباح كهدية... بعد يوجد داخل هذا الصندوق المصنوع بورق قصي. جاءت إيميجيا إلى المطبخ لترقب حميدتها وهي تزرع الورق. وبما للمماحاة... سماور روسي مصنوع من العصاة الخالص ومحفور عليه إسم العائلة التي كانت تقتنيه لكنها اضطرت إلى بيعه بثمان بحس، لتؤمن ثمن الخبز وبعض اللحم المجفف وليس الطازج كالذي يحبه كلايتون.

- أنت كريم جداً يا كلايتون، قالت العجوز والدموع تنهمر على

حديها وتقدمت منه وقلته، فأحست بنعومة بشرة وجهه وتذكرت إنها قسطنطين، وتأكد لها أن لا أحد يحق له توجيه الملامة لزويا. أما هدية زويا، فكانت فستاناً حريراً أبيض، من تصميم مصممة أزياء بدأت تشق طريق الشهرة. تذكرت تلك العسائين التي كان والدها يشتريها لها وكيف التهمتها ألسنة النهب.

- أحبك كلايتون... هكذا بكل صراحة ووضوح على مسمع من الحدة. لقد سبق لها وعبرت عن حبها كثيراً، وهي عارية إلى جانبه فوق السرير، أو حين كان أمس، وأول من أمس، فوقها وهما يمارسان الحب.

ابتسمت الحدة لما سمعت. وماداً بمقدورها أن تفعل، سوى مشاركة حبها. وفي حبها، تنبأ الذي كان يحسب في يوم أربع من لاحق، في اليوم الذي على كلايتون العودة، إلى هناك، إلى شومونت حيث الحرب مستمرة، حيث قدره، إما أن يكون قاتلاً أو مقتولاً..

حتى العجوز بكّت وهي تودعه، وتذكرت من سبق لها وودعت، لكنها لمحت أن يكون هذا الوداع مختلفاً عن غيره.

- إعتن بنفسك أيها النقيب، سنصلي من أجلك... قالت الكونتيسة العجوز وتظاهرت بالنعب، لتدخل غرفة النوم، ليقيها معاً.

كلاهما كان يبكي... وكلاهما حانف على الآخر.

- أحبك بحون يا صغيرتي... أرجوك إعتني بنفسك.

وماداً بمقدورها أن تفعل وخطر العارات الجوية يتهدد كل الباريسيين. وكذلك الجوع والفقر والعوز؟

- سأعود إليك كلما سحت لي العرصة ولو لساعة واحدة.

- إقسم أنك ستعود... أنا بحاجة إليك.

- وأنت اقسمني لي أنت لن تدمي على ما فعلناه.

- أأدم؟... يودي لو لديك الوقت لأعود وأمارس الحب معك.

وبدون خوف من عودة جدتها، صحتته إلى صدرها وفنته على

شمسه من راحة فمها...

الفصل الثالث والعشرون

... يمكن أن تكون من دون عودة... على نعي، إليهم،
وحتى على الكتابة... إنها الحرب.

مع بداية شهر آذار، كان الألمان يضيقون الحصار على باريس
السيطرة. رقت حمامها. القصف يطال كل مكان حتى دور العبادة،
هناك مع خوف مع خوف، مع خوف من كل من في باريس صارت
الأمم. وبعد قصف باريس مع خوف من أن يسيء إليه، من يسيء
وترك جدتها وحيدة بها. ولكن ما العمل. كل العروض للفرقة التي
... من قبل قد حب وأعت. خوف من روج في كل القوس

الكل يرحل باتجاه ليون... رفضت الجدة هذه الفكرة، طالبة من
الحب... يدعها... حب هي... وليس فصل من قصة ما بقي لها
من سنوات في ترحال دائم هرباً من قدر محتوم. حتى الحكومة
ألمانية، قررت الانتقال إلى بوردو، وأعلن فيشي أنه سيدافع عن
العاصمة حتى آخر رجل. ومن نهاية إلى نهاية، ومن سطح إلى سطح.
على جهة المارن، حيث كلايتون. تراجع الحلفاء أمام اشتداد الضغط
الألماني، ولا علم ولا خبر عن الذي آتته حياً دفعها أن تمنحه جسدها
وعفريتها. فقد وصلت رسالة من ماري تخبرها فيها أنهم نقلوا من
... يا إلى إيكاتريبرغ في جبال الأورال حيث الحياة صعبة جداً.

البرص، والدمع في عييه «لقد قتلوه... قتلوه... يا إلهي.. قتلوه».

- ما الذي تقوله يا سمو الأمير؟ قالت ايضاحيا.

- ما سمعته... يا سيدتي الكونتيسة «أما عائلته فقد حُت بـ مكان آخر أكثر أمنا».

- وأين هم الآن... صاحت زويبا. أين حبيبي ماشكا؟ أحتـ الخريدة من يده، وهو يقول «رحمتك الله يا سيدي» وراحت تقرأ، وتقرأ. كل ما هو مكتوب، ترى من التي ستصح دموع الأخرى؟

الفصل الرابع والعشرون

لم يكن مموز سوى كايوس. موت القيصر، أبكى جميع الروس، حتى الملاحون الذين قامت الثورة بإسمهم، بكوا القيصر. الحرب في كل مكان.

روبا عرلت نفسها عن العالم، رفضت طلب دباغيف مرافقة العرقة إلى لندن، لتلا تقي جدتها وحيدة مع أحزانها وخوفها وجوعها. كذلك رفضت دعوة إحدى زميلاتها، أولغا كوحلوقا، لحضور حفل رقامها على الرسام الإسباني بابلو بيكاسو في كنيسة القديس الكسندر بيسكي. لم تكن قادرة على فعل شيء، سوى إعداد الطعام وتناوله ومساعدة جدتها.

استحيت أحران مموز على آب، أما في بداية شهر أبول، تمكن الخلعاء، ليس من وقف الرحف الألماني، بل والتقدم أبصاً وإجار الألمان على طلب المفاوضات⁽¹⁾ لإنهاء الحرب، وإحلال السلام. ولكن أين كلايتون؟ لا علم ولا خبر. ولم تكن راغبة بالكتابة إليه، أو التفكير... إنه الخوف يدفعها إلى ذلك، يكفي أنها، منذ شهرين، تلقت خبر

1 - الحقيقة أن الحرب العالمية الأولى انتهت بموجب إتفاقية فرساي التي وقعت بتاريخ الثامن والعشرين من شهر حزيران 1919 وأصبحت قاعدة بتاريخ العاشر من كانون الثاني عام 1920 بعد مصادقة مجلس النواب الألماني عليها. المترجم.

الفصل الخامس والعشرون

بعد أسابيع على معادته كلاسوف، كتب رومان وحيدوه في العزقة التي كتب أنصوب بقيقه فيها، بكلمات دموعها، غير متألقة بالحياة وأمورها، حتى الخروج بعد يعني هذا قد كان همها عدد خنوع خدتها، إنما بحاجة الكبرى مثبت في رمانى خدتها كثير من ذلك، ادعت أنها، مرتبه لم كانت تصاد رومان، وهذا هو الوقت المناسب لإيفاده كن هذا لا معنى له، إن فراق كلايتون يكاد يقضى عليها.

حالة اليأس هذه، مع وجود مال يؤمن مستلزمات حياة جدتها، جعلتها ترفض دعوة دافيد ليعمل محدد في العزقة الروسية مثاليه، بها ترفض كل شيء، انقطاع، خروج من الشقة، التحدث في لأصده، وترفض صدفات رحل حاصه كان عداً حين وصل بها بها بحاجة لمن هو أصغر منه سناً؛ فهي ليست بحاجة لأحد، مهما كان عمره، فقط هي بحاجة لنفس يدوي لأم خدتها التي تنفق يوماً بعد يوم، خاصة منذ ليلة الميلاد؛ كانت متعبة جداً وأصرت على حضور قداس منتصف الليل، ليس هناك سوى الأمير فلاديمير لجلب الطبيب.

كان الطبيب رجلاً عجوزاً، يتكلم الروسية بطلاقة، وهذا ما أفرح الكونتيسة.

- بها مريضة حدثت أنسة بن درحة بها على فرش الموت، وقد لا
تبرز شمس الغد..

أذكر كيف كان عليها بوقع ما لم يكن يفكر فيه حتى يوم، ناء دوح
حدثها سقى وحده، تصارع حياه، بن حاسب عاد فلانده، ووقع،
بعد أن ودع لطيب، صدياً أسعدده بمقام معها لم يكن عند روبا أي
شئ في صدقه، حاصه وأنه لا يعيش مع صدقة استه شكرت له
هتنامه، ودحت بن عرفة يوم حده، التي مدت أنها تصارع الموت
فعلاً، حست بن كرسي حاب سرير هذه ناء حدي أرجو
لا تكلمي عداً تكوني بحير

- عشت ب روبا

- أرجو لك حدي لا يعني نفسك كلام

غير أن مرارة حده، كان عده كثير لثمة، من رحمة

- عشت شكر ذلك لأمر كي أنسه في حده لثمة واني كنت
ساعده

- أشكره

ولماذا عشت شكره؟ لأنه تلاعب بعو ظفها ومشعره؟ أم لأنه
تحلى عنها وعاد إلى نيويورك؟

لكن بيمحمد، كنت بن بيده في الصورة الصغيرة في زاوية عرفة

- أنصري في وشاحي لأحمر

فعبت روبا ما طلت لحده منها، فإدته ثروة كبيرة حمه لاف
دولار أمير كي

- «أريد حدي مني أعصاه هدي شع؟ وبالوقت ديه سندن
نفسها ولماذا فعل هذا؟»

- قبل معادته ساعدت أرسده مع أحد مساعده كنت
عده، ولكن فكرت كثير أنت الآن بحاجه بن مثل هذا المذبح،
وسنعبده حين تتمكن من ذلك.

- إرتاحي جدتي.. أرجو لك إرتاحي.

حارث روبا «تفكر» بحدثها، ثم عا قدمه كلايوس؟ وأتائها بوج
من العصبية فهي لا تريد إحساناً من أحد، ولا ثمة لممارسة الحب معه،
بأندي فعده كان تعبير عن أحاسيس، عن مشاعر، عن حب، لكن
مع حياه لثمة كنت حين دولتها حدها بيد مرحلة ومباح آخر
مع لا «معد قدره على الكلام، غير أن، ويا، عرفت أنه الوشاح
بدي قدمه لها لفصل خضه له دوح

حافضي حده، وعلى ما فيه تفككت بيده ساعة لا بد من فعل
بث به آخر ما يعني يا سني

عنة سحائر أبي وهدايا سغولاي

- معها مد عام لم يكن مامي أي حمار آخر

على سريرها، فتحت زويا الوشاح لتعاجبا أن جذتها كانت تخبيء
فيها إحدى هدي لفصل لرويا غماسة عيد الفصح، يومها كنت روبا
ما برأت في السابعة من العمر، بها بيده عند الفصح مصنوعة يدويا من
فيل فايرع، وهي غارة عن بيده مصنوعة من معدن المينا فسفحي
سود، غروره خربط من الأندلس، ففتح صندوقه من الذهب الخالص

فتحت له الباب. فرأت إنساناً آخر معه لم تميز ملامحه حسب نصته
ولكن سرعان ما اكتشفت أنها هي التي في عهده من قبل لا بير
غيلارد، أستاذ بات القيصر منذ مدة طويلة.

وأخيراً منكم من الخروج؟

- احذر بير مد يدك، كنت برأسها، بعد جرحه.

- لا لا

- وهل هم بحير؟ كانت تتساءل والدموع تهمر على خديها،

وأنه كل لادك، بعد رحيلك في مهب مسك من معومات
عن باب القيصر، ما لا يمكنه حذره حسب ما كان من عادته
على آخر لقاء لها معه يوم معادرتها ناسكوي سيلو آتية إلى هنا.

- أنا أتيتوني من مسجونا... سأحدثك كل شيء صدق
أعرف أن ما سأقوله لا يصدق أو أنك لا تعرف صدقه... خلال
شهر حرم بران صلب من... وأندك... حبيب... معاداة
إيكاترينبرغ.

- إذن أنتك هذا يوم

لم تكن ويا ودره على كمان ما تعرفه عن مصل القيصر... كان من
الصعب جداً أن تقول «يوم مقتل نيقولا».

- خلال شهر آب مسجون ما بعدد من... كنت ما حد
حد... قبل... رخته... مكان ما، غير أن توقعنا ما هو... وكنا
بقي أنهم يكسبون... عدد در حد أن يكترسج... وهو صلباً لها يوم
عيد ميلاد الكسي... ولكن...».

تهتد غيليار ومسح الدموع عن خديه، «ولكن ما إن رأيت آثار
الرصاص على الجدران، أدركت أنهم قتلوا».

- ماذا؟ آثار رصاص؟ قتلوا يقولوا على مرأى من أولاده؟

- في سنة... بعد... لأنه لم يسمح لأحد الجود، أن يستولى
على بعض محو هرب وفي العهد... وعنه منتصف ليل، قبل لهم
سنة حين... مكان آخر، لأن هناك من بعده... فث حصار مقروص
على العائلة... وعند منتصف الليل، طلب منهم ارتداء ملابسهم.

حين سير عنفورد أنه قد... على الاستمرار في الحديث، في حين
حين أنه براحة بدنه، بسبب ضغط بدني وما عيها روبا لي كانت
تحدث به وكان نظراتها ترجوه أن يكمل... أن يقول كل شيء.

-... جميع، القيصر، الأمر صوره ولأولاد، إلى القنصل لأمهل
من... ثمهد... يقولون... يحمل الكسي، عندما فصحوا
... عليه

- يا إلهي؟ أي إجرام هو هذا الذي أسمع؟

لم بعد هناك دموع تدرف من عيني روبا حتى قلبها تعمد، والذي
سمعه، هو أقرب إلى الحبال... برأبها على الأقل... منه إلى الحقيقة
والواقع.

- أظنقوا الر عيهم جميعاً يا روبا قسطنطينوفا... نعم أظنقوا النار
على الخضع دون استثناء، حتى أنهم، حين اكشفوا، أن الكسي ما يرل
حيث... عادوا... فرعوا رصاص رشاشاتهم برأسه، وحين حاولت أنسديا
الصراخ، طعنوها بالحرايب.

كان يتكلم وهو ينظر إلى زويا، وكأنه ينظراته يرجوها أن تصدق، ما يقول، لأنه هو، يكاد لا يصدق نفسه. وكيف يطلب من زويا أن تفعل ذلك؟ وهي التي كانت - حتى قبل دحوله عيها - تحلم بلقاء ماشكا وشقيقاتها، وتحلم بتمضية الصيف معاً في ليماديا.

- وماذا بعد يا بيري عيلارد؟

- وصنع الجميع في حمرة منجم وصبت الأسيد فوق أجسادهم.

- ماذا؟ ألم يكتفوا أنهم قتلوهم جميعاً، فأحرقوهم بالأسيد؟

- نعم... فعلوا ذلك.. بعد مدة وجدا جوي مع أحد الجنود الذي

قال إنه وجدها تنحب قرب المنجم حيث دفنت جثث الذين أحبتهم وأحبوها..

- يا بيري "أبي" مسكته بـ "صديقي" بل هي حبيب

الآن؟ أو بالأحرى أي هي أحلامنا معاً...؟

حاولت أن أشرح له عن ذلك، ولكن حزنه لم يتركها

حزنها وأفسى.

- حاول القيصر معهم من ذلك... لكنه عبثاً حاول... ما من أحد

كان قادراً على إيقاف إحرامهم... أتساءل أحياناً، هل كان بمقدورنا

فعل شيء. فلو كان مع جسد "أبي" كني لغة بصر، لو جرد

لم يكن ليعبر بالأمر شيئاً.

أدركت زويا، أنها الآن صارت وحيدة في هذه الدنيا، فلا أب ولا

أم.. لا أخ ولا جدة، لا أحياء ولا أصدقاء.

تذكرت لحظة وداعها لما ري، وعدتها أن تعود لزيارتها في اليوم

التالي... أين هو هذا اليوم؟... يومها، كان هناك أمل بلقاء. إن لم يكن وحياً لوحه، فليكن عبر الرسائل ولكن، لمن ستكتب بعد اليوم... وأية رسائل مستتظرة؟ وممن؟ في آخر رسالة قالت ماشكا «لقد بلغنا التاسعة عشر يا زويا... أصبحتنا راشدين جداً... لكنه ليس العمر المناسب للموت... حرام أن نموت في هذا العمر».

- حدثني... شكراً لله أنك رحلت قبل هذه اللحظة... لقد قتلوا

كلهم يا حدثني... بمن فيهم صغرتي ماشكا.

الفصل السابع والعشرون

مده، مقدور روبا أن تفعل بعد الآن؟ لا شيء، مضافاً، كما قالت ليير
عيلارد الذي ررها صباح بيوم الذي، ليحبرها أن المذكور بوكين،
قتل هو أيضاً، إضافة إلى عدد كبير من أفراد العائلة الحاكمة.

إنها الآن تبحث عن مفهوم جديد للحياة، مفهوم لم يكن تنصور
يوماً، أنها ستفكر به. إنه الإعسار، إغتيال الأب، على مرأى من أبنائهم
أو إغتيال الآباء على مرأى من الأبناء.

أمام هذا الوضع الجديد، لم تعد الحياة، بمعنى شيئاً يروى حتى اتفاقية
فرساي وانتهاء الحرب... لقد خسرت كل شيء، خسرت أمها، أبها
وشقيقها، خسرت العلم بعمولا ولعمرة الكسندر، خسرت أولادها،
وتبناً، أختها، ولصديقة الأعشى والأحب، في نفسها ماري وخسرت
حتى الطفل مدين لمريض الكسبي. مدين أمها خسرت حبيبها والأهم
أنها خسرت لوصي حتى لا يساند أي أخته ومسحته جسدها لغيره
عن حبيبها، تركها ورحل.

أيامها الآن، أفراد وانعزال. وحشة ووقوف قرب المائدة، لمراقبة
الشوارع المكتظة بالناس الذين 'مصوا شهوراً' في سلاحهم، ولأنهم،
يعانون الخوف من العارات الخوية والقلق على المصير يوزق ساعات

«سأرحله بعد دفع أي سلام هو هذا لا شيء» به لا يعني شيئاً، لم يعد لديه
إنسان تنقص أخباره أو تأمل ببقائه.

بعد اقتراب كانون الثاني من نهايته، استعادت باريس حيويتها،
وعادت المسارح إلى العمل، وفتحت دور السينما أبوابها، وشوارعها
تضج بالحركة. الأمر ليس لأن مشاركتهم في الحرب في سبيل
الحرب وبداية مرحلة جديدة يعمها السلام. زويا، ما تزال مريحة شقتها
وأحد بها، لم يقطع فلاديمير عن زيارتها إلا لضمها عندها. لكنها لا تدري
ما تنقوه بكنمه، دموع ونهبت وهدب، بأنس وسأم هدد هي حادة
رويا.

«ما رأيك زويا بوتر فسي في برهة قصيرة، فقد كنته - معبده بك»
- ولماذا؟ لذي كل ما يساعدني على البقاء حية.

«ولكن... حتى الطعام لم تتأوليه، وهذه زجاجة العود كما لم تمسها
يد. لماذا تفضلين هذا بنفسك؟»

الحرب قد انتهت، لكنها لم تنته، وما نفع حياتي بعد الآن؟ كنته... من
الإحسان لروس، حاولوا إرجعها، بناءً على طلب فلاديمير، لكنها لم تستطع
استقبال أحد، باب شقتها مغلق دائماً ودموعها تنس لفرد، لا شيء
يثير اهتمامها سوى سافاء إنها الوحيدة الباقية من الماضي.

يوماً بعد يوم، أخذت المخاوف تتاب فلاديمير، باتت يخشى أن تقدم
على عمل طائش وشاذ لا شأن لها برقص حادة وبعد صهر ذات
يوم، كان سجال سيارته في شوارع باريس، عنه يحصى ممركي يريد
صطحاب هذه هوى في أحد لمذوق، ويصرخ به أن يركب - في جانب
زويا. لم يعد فلاديمير يهتم بها كأنثى، بل كإنسان يذكره بماضيه كأمر.

وحدة مع رجلاً صوباً لعمامة، يرتدي بدو صلب مبركي «به هه» قد
لنفسه. أوقف سيارته، وعبر الشارع متمياً ألا يحتفي قبل الوصول إليه،
مصرخ منادياً «كلايتون... كلايتون».

باندهاش كلي التفت كلايتون، وعاد أدراجة والخوف ياد على
وجهه «فلاديمير... ما بك هكذا؟».

«شكراً لله أنني وجدتك. كان الأمير ماركوفسكي، يشك في قدرته
على فتح كلايتون. عرفته زويا، وقد يعرف كل شيء، لكنه
يعرف أيضاً، أن جاً كان يجمعهما».

«هل أصابها سوء؟»

منذ يومين، كان كلايتون قد عاد إلى باريس، وكان مصمماً على
عدم رؤيتها، لأنه يريد لها أن تبحث عن حب إنسان جديد، عن إنسان
قادر أن يمسحها أكثر مما هو قادر عليه. كان يعاند نفسه لكنه كان يعتبر
ذلك لمصلحتها «زويا؟... ما بها زويا؟».

«أمكننا التحدث لبعض الوقت؟»

«أخبرني، ما الذي حدث؟ هل هي بخير؟»

صعد كلايتون إلى جانب فلاديمير، الذي بدا أسوأ حالاً مما كان عليه
في الماضي، لكنه، رغم كل مظاهر الفقر والعوز، ما يزال يتصرف
كرجل نبيل.

«هي ما تزال بخير..»

في أحد المقاهي جلسا یرتشفان الفهوة «لقد توفيت جدتها...»

«منذ متى؟»

- منذ ثلاثة أسابيع.

- كنت أتوقع ذلك.. كانت جده مريضة، وتحاول التظاهر أنها بحال جيدة.

- هناك ما هو أسوأ...

- ما هو؟ هل من أخبار عن العائلة في روسيا؟

- نعم.. لقد جاء بيير غيلارد من سيبيريا... أخبرها بما لا يمكن أن يصوره عقل.. وبخلف عيناها.. بها نصفي أيامها.. وبها سحبة غرفتها، تبكي وتتعب.

- وهل كان غيلارد هناك يوم مقتل القيصر؟

لم يكن كلايتون يعرف غيلارد.. لأن حلال روسيا كان يدي وتيسر سكوي وليحت لأمير بطوري.. كذلك لم يكن يهتم بأخبار القيصر، لكن أدي روي روي، حبيبته معجزة، مشدوداً بمضي أخباره.

- لا... لم يكن هناك... لأن الجود السوفيات طلبوا منه المغادرة قبل ذلك بأيام قسبه، لكنه حين عاد ثانية، وبعد شهرين بالتحديد روي له إصلاحات في بكتريسيرج ما حصل بعد عدمه، جمعاً لعدم كلهم بذات الوقت... بما فيهم الأولاد...

لم يحجل فلاديمير من الدموع التي بللت خديه، فهو لطالما بكى واسحب كلما يذكر أيامه الماضية وأصدقائه، لكن كلايتون شاركه البكاء وهو يسأل «وماري أيضاً؟».

- كلهم... كلهم. وراح يحبر أندروز، ما لم يتجرأ غيلارد على

إخياره لزويا. أخيره عن التكيل بالحث. عن تذويهم بالأسيد، عن حرق عظامهم بعد ذلك، وكأنهم يرغبون - أي السوفيات - ليس بمحو آل رومانوف من الوجود، بل باجتنائهم، حتى لا يعود أحد يتذكرهم أو يفتي ما يذكر ناس بهم. ولكن الخمسة، سبعة بلاعب الأعم من الروس، حتى بالنسبة لقسم كبير من الملاحين الذين قامت الثورة باسمهم، ما يزال آل رومانوف أحياء.

- وكيف تلقت زويا هذه الأخبار؟

- لست متأكداً من أنها ستبقى حية... إنها تنحل يوماً بعد يوم، لا تأكل... لا تشرب، لا تهتم بشيء أبداً إلا بسافا...

- نذكرها بماري وبهم.

- هل تكرم وتزورها؟

كان فلاديمير مسجداً بمرحوة بلخج.. يصبح حياً كانت إمراه عجوزاً، أم روي فهي ما يزال في التاسعة عشر، ما يزال في معسل العمر، ما تزال في العمر الذي فيه تنفتح زهور الحياة، ولا تدبل.

تهد كلايتون، وارتشف ما تبقى في فتجان القهوة. لقد صدم بما سمع، أحس بقلبه يتمزق «وحتى ألكسي... الطفل المريض؟».

- قلت لك جميعهم... جميعهم.

- أنتفد أنها ستسمع لي بزيارتها؟

- ما عليك إلا المحاولة... أرجوك حاول.. إنها لا تفتح الباب لأي طرف، حتى.. كنت ما حطر لوضع الطعام عند عتبة وأعود دون أن أراه، ولكني كنت من بها تناول الطعام إن حررها، ليس

على جدتها... كان من الأفضل ألا أسمع لعليلارد بمقابلتها... ولكن،
حتام تبقى نعيش على أمل كادب.

- سأفعل ما يوسعي.

عاد كلايتون إلى الفندق لحضور اجتماع مع القادة الأميركيين وهو
شارد الذهن، حتى أن أحد زملائه سألته هل أنت معا يا كلايتون؟
كان خائفاً ألا تستقبله. صمم ألا يتراجع. عند العاشرة ليلاً انتهى
الاجتماع، وأسرع منها. ستة أسابيع فقط مرّت حتى آخره...
زمنية قصيرة، لكنها حملت بأحداث لا توصف، وجلبت من الناس
والأحزان، ما يعجز كبار الكتاب عن وصفه.

أمام مدخل الشقة وقف يسترق السمع، إذ لمّا تكون قد نامت،
طال وقفاً، لكنه سرعان ما سمع وقع حذبات قدمها، دق الباب
برقة، فلم يعد يسمع شيئاً وبعد أن تأكدت زويا من رحيل الطارق،
عدت لتسحب دحرجتها، فعدت لتسمع وقع قدمها، كادت
تسمع نباح ساف كدبظير مرحوم يتحدث من ديبه، لكنه لم يسمع
على حد التفكير، فهو أب لا يتسعد بها، ليس لأصده، بل حبه محدود
صرق الباب وهو يقول «برقة مسيحية» ذلك لها نسيجه في حده
لجعتها مفتوح الباب، سبى من فتح، حتى أسرع كلايتون، ودخل إلى
الشقة، قبل أن تتأكد من شخصيته ولا تسمح له بالدخول.

- عليك أن تكوني أكثر حرصاً يا آنسة.

- ماذا تريد بعد؟... لماذا أنت هنا؟

- لرؤيتك.

- لماذا أتيت؟

كان العضب بادياً عليها، لكنه تأكد مما قاله فلاديمير، رغب أن
بضمها إلى صدره، لكنه لم يفعل بحافة ازدياد غضبها.

- أتيت لأراك... أنا هنا ضمن الوفد الأميركي للمفاوضات وتوقيع
معاهدة... لا حولي السلام... أسمعني بالدخول لدون قبيلة

- لماذا؟

- لأنني أحبك يا زويا...

- تخيني؟؟ لم يعد هذا يعني لي شيئاً.

- بل يعني لي كثيراً.

- أولم ترحل منذ ستة أسابيع؟

- بلى... ستة أسابيع كانت مهمة جداً في حياتي. تأكدت خلالها
من أن ما فعلته لم يكن صواباً.... صدقي زويا أنا أحبك، حين تحدثت
عنك اعتقدت أن هذا هو الأفضل لك... وليس لي، أنا لست ذاك
الشاب النقي... صدقي زويا تركت لك حبك، وليس العكس أن
لم اتحل عنك... ولم أكن أعلم بما سيحدث بعد رحيلي.

- ما الذي تقصده؟ كانت ما تزال تقف أمامه حزينة، كئيبه، لكن
إحساساً انتابها أنه يعرف كل شيء. إنما كيف؟

- لقد قابلت فلاديمير.

- وماذا قال لك؟

- أخبرني كل شيء يا صغيرتي... نعم أخبرني كل شيء في الوقت

الذي كنت فيه أقاوم رغتي بزيارتك، إن آلم ووماهوف ليسوا عائلتك فقط، بل عائلتي أيضاً.

تقدم مسها بهدوء وحذر وأخذها بين ذراعيه، وفوجيء بعدم مقاومتها له. «نعم لقد أحبرني عن وفاة جدتك... عن... عن... عائلة القيصير والمسكية ماشكا».

ألتفت رأسها على صدره وأخذت تتحب وتبكي وتروي له ما سمعته من بير غيلارد، وبده تلاعب شعرها حياً وكفها حياً آخر، وسمع لنفسه بتقبل وحبها ومن ثم شفيتها. فعلاً إنه مشتاق لها.

- تميت لو كنت هنا، إلى جانبك ساعة أتي.

- كذلك أنا... تميت لو كنت إلى جانبي... إيهجيبيا كانت قد رحلت، ماشكا يا كلايتون... يا إلهي... المسكية ماشكا... أخبرني غيلارد أنها قتلت على الفور وليس كالأحرار.

- تذكرني جدتك التي فعلت المستحيل من أجلك... تذكرني كم عدت حتى ساءت لي بعد حدث على حياتك... تذكرني كيف أمل في الحبة، ولا من حبيبي، في هذه السفة وفي الأحرار والذكريات الأليمة حتى الموت. لقد أبعدت حياتك، فلماذا أنت لا تحافظين عليها... فعللهذا هو نكران للجميل. فإن كنت فعلاً حبيها، ما عيبك إلا أن تكون سعيدة مع من تحبينه وتحققين هدفها وغاياتها التي لم تكن إلا سعادتك.

- أعتقد أنك على حق.. ولكن.

- ولكن ماذا؟

- هذا يتطلب وقتاً...

مدت يدها وحكت جيبها لقد تذكرت شيئاً مهماً «أخبرني جدتي عن المبلغ الذي تركته لنا... كنت أنوي إعادته إليك... ولكني...» أحضت رأسها خجلاً «تصرفت بقسم منه».

- هذا ما كنت أتمناه.. أن تكون فعلت ذلك... أخبرني فلا تخبر أنك

منه شيء رديء عمل

نعم... في البدء كنت مرض حدي، ومن ثم بسبب وفاتها، أو لا...!

- أعرف ولا تخشى

- دياغيليف عاد إلى باريس، وطلب مني العودة إلى العمل معه، إذا ما رغبت في ذلك.

- لن يكون ذلك.

- ولماذا؟

- لأنك ستذهبن إلى نيويورك.

- من... أنا؟ ولماذا؟

- لتزوج... أعرفت لماذا؟... أمامك أسوعان ليس أكثر وبعدها نرحل.

بدا الإندهاش واضحاً على وجهها «هل أنت جاد فيما تقول؟».

- نعم... إلا إذا كنت لا تحبيني.

حديق بها فوجد نفسه أمام كونيسة حقيقية، أمام زويا القديسة سي كانت تعيش في قصر فونشاككا، فقرر أن يتم عقد الزواج في باريس.

- ماذا؟

- أو إذا كنت غبية إلى حد تقبل تمضية بقية حياتك مع رجل عمره بضاعف عمرك... هذه مشكلتك وليست مشكلتي يا آيسة أوسيف. إنني أحذرك الآن، ولن أحذرك مرة أخرى.

- حسناً... أخذته بين ذراعيها وراحت تبكي، إنما فرحاً وليس حزناً.

- والآن، ما عليك إلا أخذ ما تحتاجه، لأنني لن أدعك هاهنا، ولست مستعداً للوقوف مجدداً، عند الباب وأنا أقول برفقة مستعجلة.

- إلى أين؟

- إلى العديق، لتكوني تحت أبطاري، فلا تقدي على أية حماقة.

- هذه حماقة منك...

- قولي ما شئت أن تقولي. خذي ما تحتاجه لليلة فقط، ومنعود فيما بعد، لتوصيب ما تبقى.

- ولكن... ليس لدي الكثير. قالت هذا وهي تنظر إلى العربة التي

لعبت بها في طفولتها، وهي تعلم أن هذه العربة سيلا بد من أخذها، فهو السمارور وبعض حاجيات جدتها ليس أكثر. إنها برميها في حنف طهرها، «سطنع إلى بعد لأي ونكن» حدي أنت؟ كانت تحشى أن يعود ويتملى عنها، إن لم يكن هاهنا في باريس، فقد يفعل ذلك في نيويورك.

- نعم... أنا جدي فيما أقول، لن أعود إلى نيويورك، إلا وأنت معي يا ميدي أندروز...

- ماذا؟... أحاطت عفه بذراعيها وهي تقبل شفته.

- نعم... كما أقول.

- وهل بإمكانني أخذ ساها معي إلى العديق؟

- بكل تأكيد. انحنى كلايتون وأخذ ساها بين ذراعيه، فيما زويا وصبت حبة صغيرة تكفي لتمضية يوم أو يومين. أطلعت الضوء، تابعت ذراع كلايتون، وأغلقت الباب وراها دون التفت إلى الوراء... إنها تحطو بحو حياة جديدة

الفصل الثامن والعشرون

بعد يومين عادت إلى الشقة، جمعت ما هي شديدة الحاجة إليه.
لسمور وبعض من دأشعر ألبه معاذة وشبهه والشيخ سدي
وصفها الكوبية حفره على ما به، على الذي بين فلاديمير
وكاهن كنيسة القديس الكسندر نيفسكي.

ودعت فلاديمير بحرارة لا توصف. وما هي إلا أيام قليلة، حتى
وقعت ما كان ولا يزال في حبيبها. سعيها روحاً وروحاً
حظها هي شبهه بأخوه، امرئ حب فيها دموع المرح مع دموع الحزن
دموع الحزن، على ما حشره مديون سوري في بلادهم. وهذا هو لأن
بحسب سمها، فبعد آتية يومه وسيوف، في صلات السدة زويا
أندروز. ودموع المرح لأنها تروجت ممن تحب ولأن الحياة محمد لها
بساطها سحر عنه ويد كلابيون شد على يدها ولا خوف، بعد الآن،
لا يتأكل كلابيون رأيه فعدده ويحكي عنها بعد ترويح يومين، ركا
لقطار بأحد موبسرا المقصه شهر عسل أولاً، ومقصه بير عيبارد
ثانياً.

ما إن توقف القطار في محطة بيرن، حتى أجمالت زويا النظر في
طبيعة السويسرية الخلابة، سهول حصره تمتد على امتداد النظر.

وجبال مكنلة باللون الأبيض الناصع . تباً لهذه الحياة، زويا تريد الهرب من الماضي، تطلعاً إلى حياة سعيدة، ولكن ها هي هذه المآظر تذكرها بسهولة روسيا وجبالها.

غيليارد، كان في استقبالهم في محطة القطار حين وصولهما، واصطحبهما لتناول الطعام في منزله، حيث كانت زوجته، الممرضة السابقة لأودان تمضي ساعاتها مع زوجها وكئي كلاً منهما.

عسى العداة، كان الحديث كله، يدور حول الماضي، حول فوتاتكا وتسارسكوي سيلو، اليحت الإمبراطوري وليعاديا... كلام ودموع، وعصاة في الصدر وحرقة في القلب.

أبدي كلايتون اهتماماً رائداً برغبة غيلليارد بالعودة إلى سيبيريا، وكان يعتقد أنه لا بد أن أحداً من أفراد العائلة قد نجا، خاصة وأن الحدود لم تكن مغلقة تماماً، خاصة مع وجود بعض الناس الذين تمكنوا من السفر، فـ... ومع ذلك، فقد وافق الجميع على الذهاب مع زوجة غيلليارد، الذي طالما كان يقول «سيأتي يوم ينقضي فيه التاريخ».

تأكد كلايتون، بعد ما سمعه عن ماضي حياة زويا، أنه لن يكون بوسعها أن يؤمن لها ما كانت تعلم به، ولكن، ستكون سعيدة ولن تتعرض للمتاعب والمصاعب بعد اليوم، ولن يحجم شبح الفقر والعوز والجوع فوق رأسها؛ وآلى على نفسه أن يسعى أكثر مما يستطيع لتأمين حياة كريهة، تعيد لها بعضاً مما خسرت، وفكر بشراء منزل جديد أوسع وأرحب من منزله الحالي.

من بيرن إلى جيف، إلى لوران وإلى باريس، ومنها على متن

الباخرة السياحية، «باريس» فحر شركة الخطوط البحرية الفرنسية، نحو نيويورك.

طيلة فترة الرحلة كانت زويا تتصرف أشبه بطفل صغير أهده والده دمية جميلة، فاستعادت بعض من الوزن الذي خسرت، وأخذت وجنتاها تتوردان من جديد. كانا يتناولان العشاء على طاولة قبطان الباخرة، ثم يرقصان ويلهوان ويمرحان، حتى أنها كانت تشعر بالدب أحياناً. أيقظ أن تلهو وتمرح هكذا، وتنسى كل الدين خسرتهم، لكنها صممت أن تترك الماضي للماضي، وأن تصنع من حده حديقته، كما كان يصنع منها كلاً منهما، خاصة حين يحدثها عن المنزل الذي سينبه لها، وعن الأولاد الذين سرزقون بهم. فهي ما تزال في العشرين من العمر، والمستقبل كله أمامها.

فيل الوصول إلى نيويورك، قدمت زويا لكلايتون، هدية الزواج وهي بيضة الفصح التي أعطتها إياها جدتها لحطة وفاتها.

- إنها أحمل ما رأيته في حياتي... عمراً إنها ثاني أجمل شيء أراه في حياتي.

تعجبت زويا، لماذا كانت أجمل شيء ومن ثم تحولت إلى ثاني أجمل شيء. بدأ التساؤل واضحاً في نظراتها. إنها أعلى ما تملكه، وما قد يملكه إنسان، إنها الكثر الوحيد الذي يربطها بالماضي.

- ما هو الأول؟

ابتسم كلايتون، وضمها إلى صدره؛ أنت يا حبيبتي. أنت أجمل ما رأيته عيني.

— كم أنت سحيق، ورغم سحافتك أحبك.

لم ينأما تلك الليلة، حتى لم يدحلا حجرتهما، كانت زويا تريد أن
تظفر بنمط أحمر قبيح. ومع حجر، موعد رسيو لشاحنة باريس في
ميناء نيويورك.

الفصل التاسع والعشرون

رويدا رويدا، بدأت تتضح ملامح نيويورك. ها هو مثال الحرية
برحمتها، وها هي الشمس تحتال في الأفق، تلقي بضوئها على مياه
المحيط، **كزهر الدقة في نفوس الناس.**

ما إن طفت قدما زويا، وصيف البناء، حتى أحست أنها تبدأ حياة
جديدة، وأن عبيد سبيلها ماضي. ولكن كيف يكون ذلك؟ فكما
تستريح هو دكر دلاء، تسعوت وتنبول، فبيع الإنسان هو ذكر به
ونكس عنها لآل، أن تسعى للإنسان من أنفس من الناس التي كانت
بعينه.

على ضوايق تقرب، من بناء حتى الخدعة حاملة، كانت ترفق كل
شيء. ولكن شيء. هو حديد كيا «حسأ يا صغيري نداد فكري»
بناء كلابون، وهم يتجهون نحو منزل. إنه منزل صغير، لكنه فخم
ومريح. كل ما فيه من مفروشات، كان من صنع لسيدتين نسي وولف
صين. تسرفا على راحة وياشت منزل لأثرياء في نيويورك ومنزل
العديد من الأصدقاء في بوسطن.

— إنه منزل رائع يا كلابتون.

مدرسة وهي من روية شبح عظمي لطرفات، يعطي سطح لبيت

الشرفاء، وهذا هو اليوم مره، على الطرقة، فرمات حبل، سير
 يسرن متدبرفت بالشباب الأتعد وعلى رؤوسهم قبعات
 ررجاء صرغوبه لقطى ونكره إلى نور؟ مشاهد كنم نكر البعثة
 نفس روي التي رقصت مينا وهي مخرج من السيارة. ونظر
 لثوب ذي القسقم العرميدي إنه صغر من قصر فونتانيك
 بالنسبة للأميركيه هو قصر صلا في العاعة الرجالية كانت حاد
 في استقبالها

ب قسبه أندور حنكها قدمها كلايتون لمعادتهن. ورئيس
 الإنكليزية الأهل، الذي لا يعرف الإخصامة طريقا إلى خمتها
 عكس الأثاب الذي يوسي بالأسب حلة وثلي يصح يوس القصر
 لكيلاسكي، ولحديث

تمكنت إحصاءت أي صغر برونه صلب إله الآل منزله
 صغري بوا

كنها حلت حد تنز وكل به يد خاصة تلك شرافد الفر
 لقرار التي طر على الحديقة المغطاة بالثلج نزل صغري
 رقاصه حر اللوح بين الطابق الثاني صيد حرة النوم حاصتها
 صغري بيرة، واعطية من السائق الزهري اللود، وصانر تنقوب حة
 بالومها فرامية جو رومانيد، ربي جانها، عربة اللاتيس -
 بها التي ذكرها بفرقة بوم ولديها مع طارق كيو، إذ هذه العرفة
 دان عزتها، فد حة إلا من بعضه صانر كان قد اشم اده بها كلايتون
 من الحويس مؤخر

م بعد خالصة من قدرات الحوس، ظم بعد وحيدة. إله، بين

رجل جيبه صلا، وانتسبها من حياة العمر واليومس والخروب
 عارية وثقت اعانه، لقد بعدت اب مخرج من فرقة الإمتحان
 عذريه إنه يحب النظر إلى صغري إلى يدهمها إلى ساليه، إذ كل سر
 لي حدي

كلايتون خلفه لم صغري، فيها عن حد كنز؟

م وهل كان ذلك صيغ حيدا؟

لا م يكن صغر شيدم ونكس طالا حدثت أن عن
 بطرسبورغ، كتي ألا أكونا قد بالعب في ذلك إلى حد إحصاءات؟

م اية كنت أحد الإسماعيل في تلكه مقنن حين نعروستي
 بصيرة. حاصة وأنت مننس قميص النوم النعاف هدد. وأثير يده
 قميص النوم الذي تحولوا ارتداه، لكنه لقمص منها أخدها بين
 قيدا على خفتها وخفتها، ويده صانع قميص النوم هي حمتها، فبالا
 فبالا حتى عادات عارية حمتها على ذراعيه ورصمها على السرير
 البير ومهدو إلى جانبها هناه في عبيها، ويهدد بمركار على جسد
 الحسية بة العرس، كما م يكن يصدل ما يرى

م لعل ريني وسفي حارية؟

صاحب روي لنفسها أن نغري روحها جوب ال بعد اقتفاء هن
 بصير

أريدك أن لمنحي كل صيد الآر، كلايتون. صغري الحبيب
 على مني صاعقت وصاعقت

م كنك متعة يا حيني

- وجودك معي، وجودك فوقى، يشعرني بالراحة. فابق هكذا...
يا إلهي! كم أشعر بالدفء والسعادة...؟ أنا فعلاً جدد مثارة... كل ما
فيهك يثر شهوتي.

لساعات، مارسا الحب، دون أن تنطفىء النار التي تحرق جسد زويا،
ولا النار التي تحرق جسده.

- لست أدري لماذا أنا خائفة يا كلايتون؟

- ولم أحزن - صغرى

- من نصرت خدمي - إنها لا تريحني أبداً... لا شك، يتساءلون
من أكون، وكيف أمك من موت صغرى، لا حزن

كانت زويا محقة فيما تقول، فما كانوا يقولونه همساً، تحول مع
الأم، في فعل، دسروها بذكرها، بروحها، لا، مباشرة حب،
وتمسح حباً، كبر بحدوثها عن نفسها، عن حجاب بي كاس
نفسها وندعو بها صدى، لمصرين نفس بأبواب مصححة روحهم
لاستب، وحنود ناسية وهدية نظير أصدقائهم وذاكرتهم
معاصمهم.

أكانت جميلة يا كلايتون؟ تساءلت زويا ذات مساء وهي تجلس
تغرب من ندفاه في غرفة النوم، ندفاه بي لم تكن بحاجة إليها لمرح
لنفس، في حياها، فكلايتون فعل ذلك فجاءه بذكرت فلا تثير،
وغرفة موحشة لنفي استوحش لرد فيها، وكندت خوف وحبوع

- من هي التي كانت جميلة؟ لم يدرك كلايتون عمن تتكلم.

- زوجتك.. كان اسمها مارغريت أليس كذلك؟

- لم تكن جميلة وحسب، بل وأنيقة أيضاً، كانت تعرف كيف
تختار ثيابها، ولكن يا صغرتي زويا...

- ولكن ماذا يا كلايتون؟

- عداً... سذهب للتسوق، وسيكون عندك أفضل مما كان عندها.

- إنك لمعني أكثر مما أستحق.

- إنك تستحقين أكثر مما أنا قادر على تقديمه لك..

ك - فعلاً بيدي - مسج - كنه من بسببها حدها في
روسيا، هذه الحياة التي تتذكرها دائماً، كلما نظرت إلى بيضة عيد
فصح، لعلها صغرى على ريف من أرحام في غرفة نوم بي حبيب
صغرى لعلها صغرى في صغرى، لعلها صغرى لعلها صغرى كانت
لوالدتها.

- أسعيدة أنت يا صغرتي؟

- وكيف لا أكون سعيدة، طالما أنت إلى جاني؟

فدما للعديد من أصدقائه، واصطحبها إلى كل مكان ذهب إليه،
كان يتباهى بوجودها إلى جانبه، بالثياب الأنيقة الجديدة.

- لماذا يكرهني الجميع؟

لم يكن هذا الإحساس نتيجة أوهاام، بل نتيجة تصرف النساء
لاحرب، بي كبر ما كن يتفنن من حديث حين يقترب منهن،
ويتعبدن عنهما، هكذا بدون سبب.

- إيهن يعرفن مثلاً...

كان محققاً فيما يعتقد، وهي محقة في تساؤلاتها، عند أواخر شهر أيار، تحول الهمس إلى شائعات متداولة، كثيرون هم من قالوا إن كلايتون متزوج من راقصة رحيصة.

حتى أن أحدهم، لم يتوان، ولم يتورع عن سؤاله مباشرة، إن كانت تقدم رقصات خلابة على مسارح باريس. لكن كلايتون لمالك أعصابه وتجاهل السؤال، مع أنه كان يرغب بتهشيم جمجمته. ذات ليلة، وفي إحدى الحفلات تجرأت سيدة على سؤال أخرى، عما إذا كانت زويا تمارس البغاء في باريس.

- أعتقد ذلك. انظري إليها كيف ترقص، بحمة، بحفلات ثابتة ومورودة.

لكن ينظر إليها بعين الشك والريبة، فيما هو يقف مرهواً بها وهي تمايل بحصرها. إنها في العشرين من العمر، طويلة القامة، بحمة الحصر، ملائكية الوجه. أما حين أمسكت يده، لتشاركه رقصة الفالس، أحست أنها راغبة في البكاء، تذكرت لقاءهما الأول في باريس، وتذكرت ليالي سان بطرسبورغ، أيام كانت ترقص مع... فستيفان... وشعرها... هذه هي... هذه هي... هذه هي... العسكرية الرسمية، تذكرت الحفلة التي كان من المفترض أن تحييها بمناسبة تخرجها من معهد سمبولي، أما اليوم، فلم يعد أمامها سوى السطر إلى بعض الصور التي تذكرها عاشقاً، فتحتفي الابتسامة وتهمر الدموع.

- أحبك أكثر مما تحيلين يا صغيرتي. همس في أذنها وهو يراقصها في قاعة آستور. لكنها بدلاً من أن تحيي، توقفت عن الرقص وأخذت

تحديق بهلع وكأنها ترى شيئاً. تسمرت مكانها، شحب وجهها وما الأمر يا حبيتي؟ تساءل كلايتون.

- سحر مسحر.

أحست بفشعيرة برد، وهي تحديق برجل طويل القامة، جذاب أنيق، وإلى جانبه امرأة ترتدي فستاناً أزرق براقاً.

- أتعرفين من هما؟

لم تكن زويا قادرة على الإجابة. إنه الأمير أوبولنسكي أو لربما إنسان آخر يشبهه تماماً، ولكن التي تمسك يده هي الدوقة أولغا، الشقيقة الصغرى... صغرى... صغرى... في قصر موتسك بعد شهر كن أحد.

زويا...

قال كلايتون، وهو يخشى أن يعمى عليها، خاصة حين لاحظ أن المرأة تحديق بها بشوق ولهفة وتسرع نحوها، غير آبهة بعينيه رجال... صارخة بصوت عال «حبيتي.. أهذا أنت؟» وراحت المرأة تمرر يدها على شعرها... وحدها... وحدها... وحدها... ترى «أهذا أنت يا صغيرتي... أهذا أنت أيتها الكونتيسة الصغيرة؟».

صدم الجميع مما يرون ويسمعون، حتى النواتي كن يثرثرون ويرعصن أنهن متأكدات من أنها كانت تمارس البغاء.

أخذت الدوقة زويا بين ذراعيها دون أن تعرف أين تقلبها والدموع وحدها تتكلم، دموع الذكريات والنأسف على فردوسهما المفقود.

كان كلايتون يقف إلى جانب الأمير أوبولنسكي حائراً ماذا يقول،
ساعياً لعليه أن تذرف الدمع.

— ماذا تفعلين هنا يا صغيرتي؟

بكل تهذيب وأدب، وعلى الطريقة الإمبراطورية، انحنت زويا
أمامها «أتسمحين يا عمتي الدوقة أولغا الكسندرونوفا، أن أقدم لك
زوجي كلايتون أندوروف؟»

— انحنى كلايتون وقبل يد الدوقة، فيما احتضته هي باليد الأخرى
«شرف كبير لي أن أتعرف عليك يا صهر يا العزيز... إتيه فانت متزوج
من جوهرة الجواهر».

انثنت إلى زويا «ولكن أين كنت منذ...؟» كان صعباً عليها أن
تكمل السؤال «منذ آخر لقاء لنا في تسارسكوي سيلو؟».

— جئت مع جدتي إلى باريس.. توفيت المسكينة بعد عيد الميلاد

عبرت الدوقة بعد زويا من حديد، وما كان من في القطار إلا
باندعاش وذهول، وما هي إلا ساعات، حتى انتشر الخبر بين جميع
أصدقاء كلايتون روحه هدد، به عليه قد انتشر الخبر بين
غير انتشر كما ينتشر هذا الورد مع الريح. وانتشرت أيضاً أحاديث
الأمير وبولنسكي عن مها لأمه لأصل أربعة حمر، وعن عدم
مشاهدة سحره «كان صعباً علي أن أقدم صدقة كعصا سحرية وعن
حفلات أسي بدم في قصر هوبسكيك وفي ما برز في خط الريح سمع
وتسكي، برأسها على كعها أوها بعض لال في صدر مع عذبة راحة،
وهي الآن في نيويورك لزيارة بعض الأصدقاء.

بسرعة الريح، انتشرت الأخبار في نيويورك عن زويا وعائلتها
السيلة، وأنها قرية الفيصر، وبالسرعة ذاتها، تحولت مشاعر الاستهراء،
إلى إعجاب وتقدير، وصارت مرحباً بها في جميع الحملات وفي أرقى
لصالات وفي بيوت علي القوم.

ألسي دي وولف، عمت عليها، إعادة زحرفة المنزل وتغيير أثاثه،
وليس هذا وحسب، بل اقترحت على كلايتون أن ترم له ولزوجته
مزلماً من المنازل القديمة التي اسمها «الصفحة لعدة أشهر» تحديد
في شارع سان جورج من حديد ساحة سان جورج، في
مسجد الكونتيكس الصغيرة من حديد ساحة سان جورج، في
حديقة سان جورج من حديد ساحة سان جورج، في
مسجد الكونتيكس الصغيرة من حديد ساحة سان جورج، في

في الحملات، أقامت زويا، على شرف الدوقة أولغا والأمير
وبولنسكي، قبل عودتهما إلى لندن، ودُعي إليها النجدة من كبار
الحملات وجميع في حديد ساحة سان جورج، في
بعض أوراق الشجر الخضراء الصغيرة. «معللاً إنها أميرة» قال
«ألسي دي وولف، عمت عليها، إعادة زحرفة المنزل وتغيير أثاثه،
وليس هذا وحسب، بل اقترحت على كلايتون أن ترم له ولزوجته
مزلماً من المنازل القديمة التي اسمها «الصفحة لعدة أشهر» تحديد
في شارع سان جورج من حديد ساحة سان جورج، في
مسجد الكونتيكس الصغيرة من حديد ساحة سان جورج، في
حديقة سان جورج من حديد ساحة سان جورج، في
مسجد الكونتيكس الصغيرة من حديد ساحة سان جورج، في

ولهذا ذهبت مع كلايتون لحضور قداس منتصف الليل في الكنيسة الروسية، حيث التقت العديد من المهاجرين الروس، البلاء منهم والعديد، ومدعي الانتماء إلى العائلة الإمبراطورية أو طبقة الأمراء، حتى أن إحدى النساء التي كانت تحيط قبعات والدتها رجتها إلا تفصح أمرها. كن هذا لم يكن يعني شيئاً لزويا، حياتها كلها مكرسة لزوجها الذي بعد عودتهما من الكنيسة وممارسة الحب، على السرير الوثير جداً في منزلها الجديد في شارع سوتون، أحبت أن ترف له خيراً مزاراً.

- ماذا...؟ ما؟..

كان ينظر إليها مرعوباً، إذ قد تكون ممارسة الجنس، قد تسببت بأذيتها «ولكن لماذا لم تحبريني من قبل؟»

- منذ يومين فقط أكد الطبيب أني سأمنحك طفلاً يا حبيبي العالي.

كاد كلايتون أن يطير فرحاً... إنه في الثامنة والأربعين من العمر وهي في الحادية والعشرين... وستصبح أما.

- ومتى سيولد؟

- في شهر آب.

- إذن، وحفاظاً على راحتك وسلامتك، يتقني إلى غرفة نوم

مستقلة

- لا... لن أفعل هذا... وإن أنت فعلت، فسألقى بك... لا أريد

الابتعاد عنك، حتى ولو لثوان معدودات.

في اليوم الذي كان مفترضاً أن يبلغ الكسي رومانوف، السابعة

عشرة من العمر، وضعت زويا طفلها البكر الذي ما إن أطلق صرخته الأولى، حتى أحس كلايتون، بسعادة لا مثيل لها.

انتظر قليلاً، حتى سمح له بالدخول، لرؤية الطفل ممدداً إلى جانب أمه النصف نائمة بسبب المخدر.

- إنه يشبهت يا زويا.

- بلون شعره فقط... إنه يحمل أنفك يا كلايتون.

نظرت زويا إلى زوجها بعين الرجاء «أسمع لي أن أسميه نيقولا؟».

- بالطبع أسمع.

فعلاً كان كلايتون يحب هذا الاسم، إنه إسم شقيق زوجته واسم تقصير أيضاً اللذين طالما تحدثت زويا عليهما، يدفق من الحب والخان.

- يقولوا قسطنطين... ممنمت زويا، وهي تستنسم لمعل المخدر.

يقولوا قسطنطين أندروز... قال كلايتون وهو يسكب الشمع في كأس من الكريستال «بصحتك يا نيقولا...» ابتسم ثم أردف «وبصحتك يا زويا».

الفصل الثلاثون

مرّت السوات ورويا محمولة على أحجة الملائكة، معمورة بالفرح
والسعادة، حيث كان يحدّث كل واحد منهنّ حكاية من حكايات
عن الأمانة وقوة الشخصية والكرم والسجاء وتنظيم الحملات.

نحلت عن أحلامها القديمة، ونذرت نفسها للاعتناء ببيتها وزوجها
وبالصغير ليقولاً، الذي كانت ترى الشمس مشرقة على شفتيه في
صباحات نيويورك العائمة. لم تعد تشعر بالبرد، فكلّما يتون بمسحها من
جانبها، حتى لا يفسد لها وجهها في ذلك الوقت
جداً. كانت مثال الحيوية والشباط؛ ظلت كذلك حتى أواخر عام
1924، حين بدا التعب عليها بسبب حملها الثاني.

تمسى كلايتون أن تلد له فتاة، تشبه أمها، في كل شيء، في جمالها،
في ذمّة حلاقتها، في حبها للحياة، حتى في نود شخصيتها
وقدرتها على تحدي مصاعب الحياة ومتاعبها وكان له ما أراد، أواخر
ربيع عام 1925، حين كانت كاتبة بعد أن فرحت وهو يقترن
بوجوده الجديد، التي لم تكن تعرفها ويستطيع ولكن، منذ
صراختها الأولى، كانت تقول «إني عنيدة مغامرة».

عُقدت ألكسندرا ماري أوساشا كما صار الكل يناديهما بثوب

لقمة العيش ليس إلا... إنه الجوع... ما أزال أتذكر كيف كان عليا زوايا نأكل حتى حدود الشبع، توفيراً للطعام، ولدفع إيجار تلك الشقة الصغيرة، بالقرب من القصر الملكي.

كان هذا منذ زمن بعيد... التفتت إلى كلايتون والإيتسامة على شفتيها «حتى أتيت أنت يا حبيبي، وأنقذتني».

- ولكن... من يدري؟ لربما كان عيري فعل هذا أيضاً.

- قمت لربما... هذا صحيح، ولكني، ما كنت لأحبه، كما أحببت

أحد كلايتون يديها بيده، وقدم فمه من شفتيها وقبها «وأنا كذلك، ما كنت لأحب إنسانة أخرى كما أحببتك يا زويا».

- أنظر كلايتون... كم هو رائع منظر غروب الشمس هاء، إنه آخر غروب لنا في لونغ آيلاند.

- أعرف حبيبتي، غداً علينا العودة إلى نيويورك وعلى نيقولا الذهاب إلى المدرسة.

بعد ذلك، في يوم الاثنين، ذهبنا مع زويا إلى صالة رياضية الأميركي روزفلت العائد بدوره من رحلته الصيفية إلى شاطئ كامبو سيمو، وبعد سبوع، ومع كلايتون حمله بعد عني في فلام أوبولسكي الذي وصل مؤخراً إلى نيويورك، بصحة الدوقة أولغا.

هكذا مرّ شهر أيلول، حملات ورقص ولهو، وأعدق كلايتون بالهدايا على زويا، فأعدها عقدين من الألباس الخالص. لكن، ما إن أطل تشرين الأول، حتى بدأت سوق الأسهم تشهد اضطرابات مريبة،

سوقية ما بعدهم... شكك زويا في كل وصف كن مؤمنه في هذه السوق، آملاً بمضاعفة ثروته، إعلام زويا بما يجري، معتقداً أنه لا بد من عود سوق في حاليه لصيحه، لكن عقدهم يكن في محله يوم الخميس، الرابع عشر من شهر، كان يوم لأشدّ هبوط أسعار الأسهم في حصص، مسرد... قرب هرب عاصفة نبي سقسي على مدخرات الكثيرين من كبار رجال الأعمال والمتمولين الأميركيين، وكلايتون واحد منهم.

يوم الإثنين، كان يوم الإبهيار العاصف، أسعار الأسهم ما تزال سدى، وبعد تعرض يدي لخطب تكندك زويا أنه حشر كل شيء، فمست نسق عديم حدة ظهر، ومده سوب، كسير حبيضي وفي محاولة للجزم الإبهيار، ولكن... ما العمل؟... انهار كل شيء... لم يعد مستك كسوق سوب... وحسب هذه، تسبها لا تكفي لسداد الديون والعجز.

عابس الوجه، كان يزرع أرض غرفة النوم جيئة وذهاباً، غير قادر على تصديق ما حصل به... آلاف غيرة مند نسق عني كسب لأعمال تسير إلى أحسن.. فما الذي جرى؟ تساؤلات لا تجد من يجيب عليها.

- ما الأمر يا عزيزي؟... تساءلت زويا. وهي غير قادرة على رؤية الإنسان الذي تحبه يجنون، ينهار أمامها، وهي لا تعرف لماذا لا تمد له يد العون.

- ما الأمر؟ رد كلايتون وعياه تحديق بالمدعاة، وكأنه يحجل من حشر يبي.

- كلايتون... كلايتون... نعم ما الأمر يا حبيبي؟

تقدمت منه وراحت تحديق بعينيه، فذكرها بوالدها لحظة وفاة
سفيق سويلا

- ما الأمر يا حبيبتى؟

- نعم... نعم... صاحبت بلهجة الأمر الناهي.

- لقد خسرت كل شيء... كل شيء.. كنت غيباً يا زويا.

حاول أن يشرح لها، وأن يجد مبررات لما فعله، وحاولت هي ثنيه
عن البكاء. منذ تعرفت إليه لم ترى الدموع في عينيه.

- يا إلهي كم كنت غيباً... ماذا سافعل الآن؟

تعمد الدم في عروق زويا... لكنها ابتسمت وهي تذكر الثورة في
روسيا، وما سيته لها، وبالوقت ذاته تذكرت حبه وحنانه، تذكرت كيف
تدعمه وتذكرت... سفيق سويلا في حياته، حبه وفهمه من حب

- سنبيع كل شيء... سنعمل معاً... سكامع معاً يا كلايتون...

بعد عشاء... عدي ربح ربح عرفة حبه... لم يذكر...
به حبه حسر كل شيء... لم يسمع من مدمر

- أجنونة أنت؟... أنا في السابعة والخمسين من العمر... ماذا

تفكرى... عيني... ماذا... كذا... فارتدى... عود...
راقصة باليه؟... لقد دمرنا... دمرنا يا زويا، وخوفي أن يتعرف الأولاد
إلى معنى الجوع...

- لن يكون ذلك... لن يكون ذلك يا كلايتون... تأكد اني إلى

جانبك. سنبيع كل شيء. وهكذا نؤمن حياة كريمة لأولادنا... عقود
الأماس وحدها كافية لإعالتنا سنوات.

مسكية زويا، لم تكن تدري الحقيقة الكاملة، الحقيقة المرة، حقيقة
أن كلايتون مدين بمبالغ طائلة، على أساس أنه يمتلك المال الكافي
لتسديدها ساعة يطالب بها أصحابها. أما اليوم فأين هي هذه الأموال؟

- ولمن سنبيع هذه العقود؟ فالكل حسر ما يحدث... ولن تجدي
من يحدث المال ليدهع لك... إنها كارثة يا زويا.

- لا يا كلايتون... لا تقل هذا... ما تزال معاً، وما يزال أولادنا
... معاً... حدثت كيف ركت... وما رفته حدي...
لا عليك شيئاً، إلا بضعة جواهر، كانت محبأة في ثيابنا... وتمكنا من
لا تترك أرباب الحياة

تذكر... لثان معاناة زويا في تلك الشقة النعيسة في باريس.

- فكر يا كلايتون بما خسر الآخرون... فكر بالقيصر والعمة
... لا... لا تترك... أرحوك لا تترك... عينا امتلاك الشجاعة
لمواجهة الأمور والمتاعب.

بعد المساء، كان الصمت ما يزال مسيطراً على كلايتون، فيما هي
تحاول التفكير بما قد يفقد حياة عائلتها. ليس هماً إن بها المنزلين
... في شارع... مع... من...
وتخف، ليس هماً إن بيعت كل مجوهراتي.

راحت تناديه من الغرفة المجاورة لعرفة اليوم، لكنها لم تسمع جواباً.
تابعت التفكير بكيفية مساعدته والوقوف إلى جانبه، إنها مستعدة
... في... مسعده... ليس...
على المستقل، بل على زوحها، متسائلة عن الأسباب التي تجعه لا
يجيب على نداءاتها.

توجهت إلى الغرفة، فلم تحده. نزلت الدرج نحو الطابق الأسفل وهي تصرخ «كلايتون... كلايتون» ولكن كلايتون، كان جثة هامدة وسط قاعة الاستقبال، حاولت المستحيل لإعادة الحياة إلى صدره... إنما عبثاً حاولت.

ها هي اليوم، مجدداً، تفقد إنساناً أعطاها ما لا يوصف من عطاء، ها هي تعود وحيدة، تعود إلى الفقر والعوز... وها هي الأحلام تنهاوى واحداً بعد الآخر.

في مقبرة جيسبانويسريزا، وبحضور المئات من رجال نيويورك المحبرين، دفن كلايتون، لكن زوييا، لم تعر اهتماماً لأحد، كانت غارقة، في دموعها وأحزانها.

الفصل الحادي والثلاثون

أثناء القداس، كان نيقولا يقف إلى جانب والدته، ممسكاً بيدها، والدموع تهر من عييه. ولكن اللحظة الأكثر مأساوية، كانت حين أشد الكورس ترنيمة آفي ماريا. لم يكن نيقولا، يدرك أن كثيرين من أعياء نيويورك، سبقوا والده، إلى الأبدية خلال الأسبوعين الماضيين بسبب انهيار أسعار الأسهم.

في طريق العودة إلى البيت، تساءلت ماسا: «أمي لماذا مات أبي؟» أي سؤال هو هذا؟ وماذا يكون الرد عليه؟

- لست أدري يا صغيرتي.. أصيب بنوبة قلبية... إنه الآن في الجنة إلى جانب الرب.

- وهل هو الآن إلى جانب جدي نيقولا وحدثي الكسندرا؟ قال نيقولا الصغير.

صدمت زوييا بسؤال ابها الصغير، الذي إن دلّ على شيء، فإما يدل على برء صغير، أو على مدى تأثير هذا الفصل في قلبها. فها هم الذين أحببتهم يذهبون واحداً بعد الآخر. وآخرهم كلايتون الذي تمكّن من جعلها تنسى مأساتها في سان بطرسبورغ وتساوسكوي سينو، وشمس من شمس لهي كانت بعشه في باريس! أين هو الآن؟

هو أيضاً رجل، تاركاً لها طفلين يرثين عليها الاهتمام بهما، ولكن كيف ستحبرهما الحقيقة؟ حقيقة موت كلايتون، وحقيقة المستقبل الذي ينتظرهما؟

صرفت كل الخدم باستثناء حادمة واحدة والمربية. أما السائق، فهو دورر، شخص ذو عقل عمل غير ممكن من حيث المبدأ، كان سعيداً كدباً فوق رأسه وحسب، ومنحه في سبع دقائق منه الخاصة بكلايتون والمرسيدس خاصتها. أما هذا المرل فقد صار محط اهتمام الجميع، ليس من هذا بل من حيث أنه كان يملك هذين الطفلين وإبعاد شبح الجوع عنهما، فكرت في سبب ذلك، سألني لوكي ما من جديد قد وقع في يدي سبب ذلك بكل شيء إلا بالاشتجار أو التسلل ليلاً من منزلها هرباً من مطالبة الدافين وإلحاحهم.

تذكرت جدتها، كم كانت شجاعة وقوية، فلماذا لا تكون هي مثلاً؟ فكرت، عودتني باريس، ولكن من أين أخرج ما يكفي من إن في باريس ما يقارب الأربعة آلاف روسي يعملون سائقين سيارات حرة، وأن مئات من النساء سيهن بعد ذلك الجوع والحرمان، فمن أين يمكن التفكير في بقاء أولاد في مثل هذه المواقف؟ ففكرت في إعطاء الولدين، على الحقيقة، ساشا ما تزال جد صغيرة، ويصعب عليها استيعاب ما ستقوله لها. إذن لا بد من وضع يقولان في الصورة.

– يقولان... حبيبي الصغير... علي أن أكون صريحة معك. علينا أن نتقل من هنا...

باندعاش واستغراب، نظر يقولان إلى والدته.

– لماذا؟... بسبب وفاة والدي؟

– نعم... لا... الحقيقة بسبب.

تري كيف ستقول له أنا أصبحنا فقراء، وأن هذا البيت لم يعد مكاناً

– لأننا نواجه صعوبات كثيرة، ولم يعد بمقدورنا البقاء هنا. نظر إليها نظرة رجل كبير، محاولاً أن يتحلى بشجاعة الرجال الأقوياء، أما ساشا فكانت تلاعب سافاً ومريتها تذرف الدمع، فهي غير قادرة على وداع الطغمة التي اهتمت بها منذ ولادتها.

– ماما... هل هذا يعني أنا أصبحنا فقراء؟

– نعم... ولكن ليس بالفقر الذي تتوقعه... إنما لن يكون عندما منزل واسع، ولا سيارات... سيكون عندنا الأشياء المهمة فقط، باستثناء بابا... ولكن سنبقى معاً... أتذكر ما قلت لك عن الجد نيقولا، والجدة كسند، وأوراد... أتذكر كيف نسجده حين نُسبوا في سجن؟ عرفوا أنهم خسروا أشياء كثيرة مهمة كانت عندهم، لكنهم أدركوا أن الأهم هو بقاؤهم معاً، هو أن يحبوا بعضهم بعضاً، وأن عليهم أن يكونوا أقوياء... وهذا ما سمعته نحن، هذا ما هو مطلوب منا اليوم يا صغيري.

بكت زوها وبكى نيقولا معها.

– وهل سذهب إلى سيبريا ماما؟

– لا يا حبيبي... سبقى هنا في نيويورك.

– أين؟

في سقفة سمع .. حميد

- وهل ستكون شقة فحمة؟

فحاة تذكرت رسائل ماشكا من سيبريا التي تحدثت عن المنزل الذي كانوا يقيمون فيه هناك، وكيف كانت دائماً تقول، منجعله راتعاً.

- سيجعلها فحمة... أعدك بذلك.

بعين دامعة نظر إليها متسائلاً «وهل سناخذ الكلبة معنا؟».

رغم الحزن والألم، ورغم الدموع التي تبلل حديدها وكأنها قطرات مطر، اتسمت له وهي تقول «بالطبع، سأخذها معنا».

- والألعاب؟

- ليس كدها، هذا يعتمد على إتساع الشقة التي سننتقل إليها.

ارتسمت على شفثيه ابتسامة رفيقة «حسناً... شكراً ماما».

لكه عاد وتذكر والده، فعادت الدموع تنهمر من عيبيه وهو يتساءل «وهل سترحل قريباً؟».

- اعتقد ذلك.

قبل وجنة أمه وأمسك يد شقيقته وخرج من الغرفة تاركاً والدته

تسبح في بحر من الحزن، وهي كانت تسمع به حديد في حدة ع... نسيم
«أحبك يا ماما.. أحبك».

- وأنا أيضاً أحبك يا نيقولا... أحبك أكثر مما تتصور يا حبيبي.

تقدم نيقولا من والدته وغمرها بيد واحدة، فيما اليد الأخرى كانت تدس شيئاً في جيب قميصها.

- ما هذا؟

- إنها قطعة النقد الذهبية التي قدمها لي والدي قبل ثلاثة أشهر... لا أنكر أني مولع بها... ولكن...

- ولكن ماذا يا صغيري؟

- بمالك بيعها، من يدري فقد تبعد عنا شبح الفقر.

- لا... لا يا حبيبي... هذه لك... إنها من والدك. تسمر مكانه

محولاً عدم سكر... سي لا شئ يردي... فف بن حشيت يا أمي
أخذته زوها بين ذراعها، قلبه يحنان وأعادته إلى غرفته.

الفصل الثاني والثلاثون

أخبار الأزمة الاقتصادية تنصهر عاوين كبريات الصحف، دعاوى طلاق، حالات انتحار، إعلانات عن بيع منازل وقصور، الحلوى، حراماً تباع بالمزاد العلني، معاطف العرو، تعرض للبيع على أرصفة، **الشيء الذي** ردهات العادق، نساء تعودن على أن يصدرن الأوامر **تسبحن** إلى عاملات في بيوت من نجا من الأزمة، أو في بيوت من سفلتها... كثيرون أصيبوا بالجنون، فهاموا على الطرقات يتحدثون إلى أنفسهم، غير مصدقين ما حدث، وغير قادرين على استيعاب نتائج انهيار أسعار الأسهم في بورصة نيويورك.

كل شيء معروض للبيع، حتى أحساد النساء. إنه الجوع... زويا، التي كانت سيدة من حداد، أصبحت الآن تبيع ملابسها في سوق نيويورك. من قبل، كانت تبيع ملابسها في سوق باريس. الآن، لا شيء يفسد، كانت تبيع ملابسها في سوق باريس، أما مجوهراتها فستباع بالمزاد العلني. استعنت عن خدمات كل الخدم، بمن فيهم مربية الأولاد التي أحست بحرارة لا توصف، كانت تمنى لو تبقى مع العائلة ولو بدون أجر.

وفي الختام، جاء دور المنزل الذي دحنته زويا حين وصلت نيويورك، فبيع بما فيه من أثاث فاخر، ولوحاته الموقعة من أشهر الرسامين،

والسجاد العجمي، وحتى كتوس الكرستان وأدوات الطعام المصنوعة من البورسلين الصيني. هكذا توفر لديها، بعد سداد الديون، مبلغ يكفي لإعالتها لشهور عدة، لا تتعدى التسعة، إن أحسست التدبير، وإلا لن يكفي لما يزيد عن خمسة أو ستة أشهر.

– الآن نعود إلى هنا يا أمي؟ قال نيقولا وهم يعادرون المنزل، إلى الشقة الصغيرة في شارع ويست ستريت.

- لا... يا ولدي لن يعود.

سأشأ، ما ترال صغيرة، ولا تهتم بشيء إلا بالعباءة، وهذا ما شكرت
 روى عنه عنه، وكثير من غيره من الأئمة من جازى عنه من جازى عنه
 تكون مناسبة مع عمره.

في الوقت ذاته، ما يزال هناك من يدعو للحملات، وما يزال هناك من يذهب إلى الحملات الراقصة في نادي السمراء. لم يعد الرقص يعني شيئاً، بل أصبح رقصاً وهدوءاً، ما ساء، وهي بطون يقولون وساشا التي تتأبط لعنتها، فإنها تذكر مأساة قصر فونتايك، وتذكر حديقها، صحنها، وسجدها، وفاتحها، وفريقه على سحابة والتعدي، إنها تنزع لله أن تكون نسخة طبق الأصل عن جدتها.

— ماما... قلت ساشا وهي تصعد إلى سيارة الأجرة، فيما يقولان،
مروح يا دما دمر... كي كيت فحق غبي صنف شبح... حور
احياء نهر الدموع المتعرج من عينيها.

— ماما حبیبی عادت ماما تقول وهي تشد كم فستان

— آسفۂ عزیزتی... مادا تو یزدین ان تقویٰ یا ساشا؟

— من سيحتنى بنا بعد الآن؟

سؤال، إن عبّر عن شيء، فهو يعبر عن عدم اهتمام ساشا بوداع حبيبته، وتركها للصلب، بقدر ما يعبر عن اهتمامها بمن سيحتضنها. إنها أنانية الطفولة التي أثارت انتباه يقولوا.

۔ انا یا صغیرتی... انا ساعتی ہٹ...

نظر نيقولا إلى أمه وعلى شعبة التسمية دكرتها بالتسمية كلابتون،
إنها دكرى مؤلفة... ولكن، كل شيء، الآن، يذكرها، بما خسرت في
روسيا.

— أنا سأمّد لك يد العون يا أمي. قال نيقولا وهو يمشي على يدها، ويحاول إحياء ذمّوعه، والنمت إلى شقيقته «سأهتم بك يا ساشا».

تباً لهذه الحياة، جعلت الطفل رجلاً، فجاءه أحسن نيقولا، أن عليه
الاهتمام بعائلة. خلال شهر واحد، تحولت حياة زويا من النعيم إلى
مأساة، من سعادة إلى حزن، لكن عندما أقدم عليها بحث
عن عمل... عليها السعي لإعادة حزنه مما خسروه، عليها أن تكون الأم
والأب لهذين الصغرى، في آن.

.. وستعدين لنا الطعام؟ عادت ساشا لتساءل وهي تمسك شعر لعتها
أنايلا. أما ما تبقى من لعب، فهو موضوع قرب سريرها في الشقة
خفية كسب... ، فمعيات كل شيء، في لا تفعل، لتجعل نفسها
يشعر أن بشيء من الراحة ساعة دخولهما، وليبدو أن كل شيء مألوف

لها... ولكن لا بد من أن ذلك سيكون صعباً، إنما فعلت ما يجب عليها أن تفعله.

— ما هذه الراحة؟ قالت ساشا وهي ما تزال تتأبط أنابيللا وتصعد الأدراج نحو المسكن الجديد، ويقولان إلى جانبها وزويا تسير أمامهما،
... وبعدها عشرين سنة مضت ليطبق في البحث عن حياة جديدة، لن تكون حكماً، كسابقها. أين سيجد أرباب عمل يعاملونه، كواحد من أفراد العائلة؟ يحلسونه معهم إلى المائدة. مثله، مثل بقية الخدم

لا سيارات خاصة بعد اليوم، ولا سيارات أجرة. بل وسائل النقل العام.

أدخلت زويا الطفلين إلى غرفتهما. لكل منهما سريرته الخاص، وإلى جانب سريرها، رصفت ألحافها. فوق رأس ساشا لوحة زينة قدمتها لها المريية، وإلى جانب سرير نيقولا صورة لكلايتون في زيه العسكري. أما هي، فقد حسب جميع أفراد العائلة، كانت من قبل، في صور الذكريات مع عائلة الفبصر، إن في ساد بطرسبورغ، أو تسارسكوي سينو، أو على البحر، أو في ليفاديا وبالطبع، لم تنسى نساء قسطنطينople، من عذراء في قسطنطينople، تبتى من ديون عفوود من الألباس، وتبحان الرأس المرصعة بشئ أنواع الأحجار الكريمة، وخواتم يدر وجود منيل لها، متاع كنها بالمراد العلي، ولقاء مبالغ لا تساوي واحداً من المئة من ثمنها الأساسي. فعلاً مصائب قوم، عند قوم فوائد.

— وأين ستأمن أنت يا أمي؟ تسأل نيقولا، بعد أن جال في الشقة

الجديدة ولم يجد غرفة نوم ثانية، بل غرفة، فيها طاولة صغيرة، كانت في المنزل القديم، وكبة طويلة.

— سأنام هنا... وأشارت زويا إلى الكبة وأصافت «إنها جد مريحة ولطالما نمت عليها في السابق».

حاولت زويا أن تكبت غضبها مما آلت إليه حالتها، ولم تقصع عن ملامتها لكلايتون علناً، بل أبقت ذلك في صدرها. لماذا لم تكن واعياً مدركاً لخطورة ما فعلت؟ لماذا لم تفعل كما فعل غيرك الذين حسوا لتقلبات حسنات وحيدة تركتني، أواجه ما خففته من مصاعب ومتاعب... وما نفع كل هذه الأسئلة، والذي حدث قد حدث، وعليها مواجعة الواقع المستجد، بصبر وأناة، بقوة وعزم، بشجاعة إيفجينيا التي كانت تنظر إلى والدتها وهي تحترق في قصر فورتسكا، دون أن تحس ما يحدث. لا تفكر في المستقبل، لا التفكير بالخاص.

— يمكنك اليوم على سريرتي يا أمي... وأنا أنام هنا.

— لا يا حبيبي... سأكون مرتاحة هنا... إن أردت مساعدتي، فما عليك إلا الاعتناء بساشا، ساعة أقوم بإعداد الطعام أو أي عمل آخر

لا بد من إيجاد عمل. قد تعمل بائعة في إحدى المحلات، ولكن، من يعني بساشا بعبائها؟ نيقولا سيذهب إلى المدرسة الرسمية القريبة، التي تصمم أبناء ساكني الأكواخ المنتشرة على ضفة نهر هندسون، والتي يبدو، أن العديد من ساكنيها، كانوا من رجال الأعمال ووسطاء البورصة وأنغامين، وبين ليلة وضحاها تحولوا من قوم يتعمون بالرفاهية، إلى قوم

تضرعت زويا لله وسأله أن يساعدها، إنها بحاجة للعمل، ليس من أجلها هي، بل من أجل طفلها.

- «هزي ردفيك» قال شارلي... دعيني أرى ساقيلك.

رفعت زويا تنورتها حجلي، لكن نظرات جيمي كانت تشجعها على إظهار المزيد.

- نحن هنا ليس في دير للراهبات. زعق شارلي وتابع. والربائن لا يأتون إلى هنا، لإيعاء بذور أو للصلاة...

- سأحاول فعل المستحيل لإرضائهم.

- حسناً عودي عند الثامنة ليلاً.

تقدم جيمي وغمرها، نظر إليها، فإد به يرى الدموع في عينيها لا تفلقي يا صغيرتي... أنا هنا إلى جاسك ساكون الملاك الحارس.

- لست أدري كيف أشكرك... أنا فعلاً بحاجة للعمل... أنا أم لطمين... أنا... أنا...

مد جيمي يده ووضعها على فمها «لا تبكي يا صغيرتي أراك ليلاً».

خرجت زويا، لا تدري إن كانت سعيدة أم حزينة. أحست بالمرح لحصولها على العمل، لكن صدى كلمات شارلي، ما يزال يتردد في رأسها «نحن هنا في دير للراهبات... لا يأتون إلى هنا، لإيعاء بذور أو للصلاة... هزي ردفيك... دعيني أرى المزيد من ساقيلك... آه انظري يا ماغي لها ساقان جميلتان».

ليس هماً، فأنا أعرف كيف أحمي نفسي منه ومن الزبائن الذين يأتون لي.

مست

- إلى أين ذاهبة يا أمي.

- أنا مصطرة للخروج يا صغيري... إنني لأشأ في ثامة في سريرها. لا تسهر كثيراً.

أخذته بين ذراعيها وقبلته بحرارة، وفي داحبها شعور أنها ذاهبة لتعلق على حل المشقة.

- ومتى ستعودين؟

- لن أعود قريباً..

- وهل من سوء يا أمي؟

إنه طفل فطن وذكي... جعلته الظروف رجلاً وهو ما يزال بحاجة لطمولة. إنه القدر المشؤوم الذي أصابه، وأصاب الكثيرين غيره.

- لا شيء من هذا القليل يا ولدي... أعدك بالعودة، بأسرع ما يمكن.

ثاية عادت وقبلته وأوصته بأخته وبفلسه، ومضت إلى عملها وفي رأسها ألف سؤال وسؤال عما ستفعله ثاية، بيده لأبى سي جعنها.

- قص عريه نسوة، ونهر ردوبها لأبى لا هم عندها، سوى الإستمناح، بروية أجساد النساء، ومن يدري، فقد يتحرش أحد بها؟

«لكل حادث حديث» قالت لنفسها، فهي تمتلك القدرة على حماية نفسها، ولن تسمح لأي أحد أن يلمس جسدها، مهما كان الثمن.

الحرية. تركت مواعد الشقة مشرعة المصاريع. حين حان وقت
دهابها إلى العمل، وسأشأ ما تزال تلاعب لعبتها.

— لا تدع أحتك تقترب من السافدة يا نيقولا...

إلشعت نيفولا الديو لم يكن يرندي إلا سرواله الداخلي إلى أمه
والإبتسامة على شفتيه، ولا عليك يا أمي... سأهتم بهاء قلب
وجتبهما ومصت. أحست أن النار تصعد من الطرقات فتمت
بمقدورها البقاء إلى جانب ولديها. في داخنها إحساس حفي، يدفع
للعودة. إحساس يقول لها، إن خطراً يحرق بطفليها...

حتى المصريح، وبسبب موجة الحر، كان شبه خالٍ من الزبائن. •
يكن عددهم، بجوار عدد صاع سدين، • ينحدر أحد على حذاء
من منزله. إنه حرّ خائف، رقفت زوياً والإحساس بالخوف، مضطرب
عليها، حتى أنها أسرع الخطى عائدة. وازداد خوفها حين سمعت
صوت سرب (أصف، صوت شيوخ، • • • • •) •
حيث تقع الشقة، حتى رأت ما كانت تحشاها، دون أن تدري ماهو،
أنه • • • • • (أصف، بقدر • • • • •) •
لناس من (أوب • • • • •) • • • • • هي تصريح • على
صوتها «يقولاً.. ماشاء... لا... لا...».

نصدي لها أحد رجال الإطعام، «أرجوك سيدني... انتعدي».

- طعلاي... طعلاي.. وتقول لي ابتعدي؟... أرجوك دعني،
علني أبقدهما.

أصوات الذهب، مصحوبة بأصوات تكسر الزجاج وانهيار بعض
الحدران، تصم الآذان، ورائحة الدخان، تسبب بالإغماء للكثيرين،

لكن زوياء، ما تزال تحاول احتراق الطوق المصروب من قل رجال
الإطفاء الدين، يقتحمون ألسنة اللهب بشجاعة بادرة، لإنقاذ من ما
يزال من السكان محاصراً، في الداخل.

- في اي مطابق تكين يا سيدتي؟

- في الطابق الأعلى.. أرجوك دعني أكمل طريقتي.

عشاً حاولت زوييا التقدم ولو خطوة واحدة، ماذا لو كانت النار
فصت على طفلها؟ لاشك سيكون هذا اليوم آخر أيام حياتها... ولماذا
نعيش بدونهما؟ حياتها كُلُّها مأساة. في روسيا خسرت العائلة
والرفاهية، وفي باريس خسرت جذتها، وفي نيويورك خسرت
كلابتون. والآه؟

كانت اللحظات عمر وكأنها أيام بل أسابيع، عيناها شاحشتان نحو رجال الإطعام الذين يفتحون النار ويعودون حاملين بعض السكان، المصابين بصيق النفس، فتولى رجال الإسعاف أنعاشهم، ولكن أين ساشا ويقولون؟ كد يعمى عليها وهي ترى جزءاً من سقف البناية بهار، عموماً حاولت اقتحام المبنى متسلقة بين رحلي إطعام يحاولان إنعاش امرأة معمى عندها، فإذا بها أمام أحدهم يحمل طعناً بين ذراعيه. إنه يقول بلوح بيده وينادي «أمي... أمي... أين كنت؟»

— أياها يا حبيبتي.

— أنتَ هُمَا؟ أخذته بين قراعيها وهو ما يزال يحدق بها وكأنه غير

تلك القبة. أوصت نيقولا بساشا، بعد أن أهمته أنه لا بد من إيجاد عمل يؤمن لهم إستمرارية الحياة، ولو بأدنى مستلزماتنا.

فور وصولها إلى الغل المقصود، أجالت زويا النظر بالرائعات فإذا بهن يرتدين ثياباً جميلة، تدل، على مدى اهتمام صاحب الغل بمظهر موظفاته. أين ثيابها من هذه التي يرتديها؟

- كيف لي أن أخدمك سيدتي؟ قالت ميدة عجوز يضاء الشعر «تعبت» من شيء، مع «...» لا يمكنه أن يكون فرنسية واضحة. ابتسمت زويا، وهي تستدير نحوها، لم تكن ابتسامتها تعبر عما نعايه من اضطراب نفسي، بل ابتسامة تضرع لده، وأجابتها بعبارة فرنسية سليمة «هل بإمكانك مقابلته المدير؟».

- رائع... كم اشتقت لسماع أحد يتكلم الفرنسية... أنا هو المدير... هل ترغبين بالمساعدة؟

...

قالت زويا بهدوء ورصانة، «أنا الكونتيسة زويا أوسيفو أبحث عن عمل» كانت متأكدة، أن لا أحد غير السيدة العجوز يصغي إلى ما تقول.

نظرت العجوز إليها «أهلاً» لكنها بالوقت ذاته، كانت حذرة مما تسمع، كثيرات هن الروسيات اللواتي يدعين أنهن أميرات، أو ينتمين إلى عائلة القيصر، حتى الخادومات كن يفعلن ذلك، لكن للعجوز حس لا تحطيء. ومن خلال هذه النظرة، ورغم الثياب العادية، التي ترتديها زويا، تأكدت أنها صادقة وأنها فعلاً كونتيسة.

... نحن في مكسي سيدتي

لم يكن النقب يعني لها شيئاً، وفي الوقت ذاته، كانت تعي أنه يعني الزبائن، فلا شك سيتباهين أن الكونتيسة أوسيفو هي من احتارت لهم هذه الثياب.

في غرفة المكتب، وعلى مقعد جلدي وثير جلست زويا، فيما جلست العجوز على مقعد مواجه لها، وأهمتها أنها هاء، تنافس محلات شابل، وأنها فرنسية تدعى أكسيل ديبوي، جاءت إلى نيويورك مند سوات وافتتحت هذا الغل لبيع الألبسة لساء أميركا الراقيات الثريات، وبالفعل صرن من زبائنها، أو من زبائن «أكسيل» كما قالت العجوز التي كانت تراقب كل حركة من حركات زويا، وتصغي بانتباه كلي لكل كلمة تقولها.

كانت العجوز، في سرها، تفكر في مدى تأثير وجود كونتيسة على حركة البيع، فهي تعرف زبائنها واحدة واحدة، وتعرف، أن النقب...

- هل لديك أية خبرة بمجال بيع الألبسة؟ تساءلت المرأة الفرنسية وهي تمن النظر في زويا، التي ترتدي فستاناً رخيص الثمن، وحذاء بالياً، لكن جلستها، وحركات يديها وأسلوب حديثها، وحتى تطاير شعرها، على ما صدمت بعض هذه. هي كمن تشبه فعلاً، لا بل مرة...

- لا... يا سيدتي... فور تخرجني من الثانوية، اندلعت الثورة، فهربت مع جدتي إلى باريس... ولن أقول سوى الحقيقة.

كانت زويا مستعدة، لسجود عند ركبت العجوز وتقبيل يديها، في سبيل الحصول على الوظيفة إكراماً لعيني نيقولا وساشا. لم تتمكن زويا

من قراءة تعابير وجه العجوز وهي تسكب الشاي في كوب فضي دكرها، بتلك الأكواب والأطباق في قصر فونتانكا وتسايرسكوي سيلو. كانت المرأة عجوز، ما ترال تراقب حركات وتصرفات زويا، خاصة وهي ترتشف الشاي، إنها لأمر مهممة بالنسبة لها ولزبائن.

- وفي باريس... ماذا عملت؟

- راقصة في الفرقة الروسية للناليه... هذا ما كنت أحبه. وكان علي العمل لإعالة نفسي وجدتي.

- وبعد ذلك؟

- تزوجت أميركياً واتيت إلى هنا، كان ذلك منذ اثني عشر عاماً، وبالتحديد بعد توقيع إتفاقية السلام عام 1919، صد سنين، توفي زوجي، كان يكبرني سناً.

لم تخبرها من هو زوجها ولا كيف مات، حتى بعد موته ترعب بالخطأ على كرات.

- عدي ولدان، صبي وفتاة، علي إعالتهما، خاصة بعد أن قضى حريق على كل ما تملك.. أياكمي هذا سيدتي؟ أنا... بحاجة للعمل... في عصر لا يسمح... بعد ذلك... في المحلات في روسيا قبل الثورة... في المحلات التي كانت ترتادها الأميرات وساء العائلة الحاكمة.

- هل أنت من عائلة رومانوف؟

كثيرات هن إدعين ذلك، ولكن، في تصرفات هذه العتاة، وفي

أسلوب حديثها، ما يجعل الفرنسية العجوز، تصدق، أنها قد تكون من عائلة رومانوف.

أحابت زويا، وهي ترفع كوب الشاي إلى شفيتها «نعم... وقد ربيت في قصور القيصر رحمه الله، لم تقل روبا أية كلمة أخرى. كان حوارها مقتضياً جداً، وهذا ما لفت انتباه السيدة العجوز، فالأخريات، كن يسترسلن في الحديث عن عائلة رومانوف وبذخها وأسلوب حياتها... عدي... رحت وحبيبتي... سمع دمعة سب حديثي، حتى لا ترى العجوز ذلك.

ناكدت العجوز، من خلال حديثها، من صدق ما سمعته.

- ماذا لو عملت لفترة تجربة يا سيدتي... عفواً يا كونتيسة... هذا لقب مهم جداً بالنسبة لي ولزبائي.

- لا مانع عدي...

أحست زويا بفرح عظيم. وأخيراً، ها هي تقوم بعمل محترم، لا تعب من ذلك، زويا... في المدرسة، وفي الليل، يجتمع شمل العائلة.

- إني جده شاكرة... صدقيني جده شاكرة.

- حسناً لنرى... متى ترغين البدء في العمل؟

- ما رأيك مطلع الأسبوع الآتي... أي بعد ثلاثة أيام.

- رائع... عليك أن تكوني هنا عند التاسعة تماماً... اسمعت الساعة التاسعة تماماً، يا سيدتي الكونتيسة.

رويا.. ماذا تفعلين هنا؟» لم يكتفِ الأمير بعناقها، بل قَبَّلها بحرارة والدموع تهمر من عييه

— كما ترى يا سمر الأمير...

وماذا يطلب منها أن تقول؟ لم ترغب بإخباره شيئاً عما حل بها.

— عرفتني.. صغرتي الكونتيسة، ستسر جداً عمتك الدوقة أولغا حين أخبرها أنني التقيتك... ما رأيك لو تناول العشاء معاً؟

بكل تهذيب ولياقة، اعتذرت زويا عن تلبية دعوته، كما كانت تفعل دائماً كثيرون هم تدين وحبوا لها بدعوت حتى يحضر حفلاتهم في بيوتهم، لم يعد لزويا وقت، ولا عندها ثياب تليق بتلبية هكذا دعوات. لا هم بها سوى ذاع، طفليها الذين يضطرون غودها من العمل، غارح الصبر، في أشقة خديده لوسعة ونفسحه، في الشارع واسع والساحل بالمرب من بسب ربح، حيث كل واحد منهم عرفة خاصه. مع عدايم ومعاينة سنتين. كان يقولوا مسروراً جداً بفرفته الجديدة، وكنت ستين. ما هي فكانت تقف كل ليلة أمام المرأة، تراقب جسدها وهو يتساقط في الداخلية فقط، وتذكر لياها مع كلايتون، رغم مرور السنين على ووتها، فهي غير قادرة على سببه، وما تزال ترفض فكرة بدمه علاقة حب مع أي إنسان آخر.

حلال تموز 1932، علمت أن الملهي، حيث كانت تعمل كراقصة قد أقفل، فتذكرت جيمي، تذكرت كم كان لطيفاً معها، وكيف دس مائة دولار في حقيبتها بعد حريق شقتها، حاولت البحث عنه في كل مكان، لتعيد له، ما سبق وقدمه، ولكنها عبثاً حاولت.

وكم كانت دهشتها كبيرة، حين جاءت إليانور روزفلت لتختار ثيابها

من المتجر، كانت إليانور تساعد زوجها في حمته الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة. تذكرت كلايتون، وكل الأصدقاء القدامى. بعد فوز روزفلت بالانتخابات أرسلت زويا له برقية تهشة، وقعة من العرو العالي هدية لزوجته لتضعها على رأسها في احتفال أداء القسم. حاولت أكسيل عدم تقاضي ثمن القبة، لكن زويا، رفضت ذلك رفضاً باتاً.

أدركت أكسيل، كل الإدراك، أن موظفتها هذه، هي موظفة غير اعتيادية، وجاء ما رواه أوبولنسكي عن زويا وبنات القيصر لتعتقد كل الإعتناء أنها إمراة نيرة. وأنها خلقت في الوقت غير المناسب، وإلا لكانت الآن متزوجة من أمير وتعيش في قصر منيف، كالقصور التي أمصت ضحوتها بل أحباب

حلال حفلة ميلاد، صصحت زويا بعد الحضور فمضت برفقة في وسية، فمر من مير كما تحت لسيده أكسيل أن تقول عنه، كان يقولوا يرعب أن يكون ربح أعمال مثل له، لكن ما يزال مكرراً على تحقيق هذه الرغبة، فهو ما يزال في الحادية عشر من العمر، أما ساشا البالغة سبع سنين فكانت تحب، بأن تصبح ثمة سيمانية، ذوبت تنحني يوماً عن حمل لعبها تابيدلا نسي عت من الحريق، ولتبعه خديده التي شترتها لها بمناسبة عيد الميلاد، لقد تمكنت زويا، وخلال فترة قصيرة من عملها في متجر أكسيل من جعل طفليها ينسيان سنين البؤس.

مع بداية الربيع، رفيت زويا إلى رتبة نائب مدير متجر أكسيل، وبعد يعني مركز مرموف، وعيشة أفضل لطفليها. وتمكنت من وضع لسيده ديوي من تكليف ألسي دي وولف وضع تصميم هندسي جديد، للمتجر، يكون أكثر ملائمة مع روح العصر.

«وجودك لها هو بركة من الرب» قالت السيدة أكسيل، وهي تعيد افتتاح المتجر بحضور رئيس بلدية نيويورك والعديد من رجال الأعمال وروجاتهم، وأهدتها معطفاً من الفرو الفاخر.

بعد ستين، ويوم عيد ميلاد ساشا الحادي عشر، دعت أكسيل زويا لمرافقتها في رحلة عمل وتسوق إلى فرنسا. يقولون ذهب لقضاء هذه المدة، بضيافة أحد أصدقائه، أما ساشا، فقد بقيت في المنزل مع مربيتها الجديدة.

ما إن أحدثت السيدة السباحية كوين ماري، استعداداً عن نيويورك، حتى استدعت زويا تنظراً لثال حربة وهو يحكي شيئاً قسراً عن ضربها، متذكراً، يوم حينها لأول مرة، كيف كنت ملامح هذا الثال تنصع ساعة بعد أخرى. أما الآن فهي تختفي ساعة بعد أخرى. وتذكرت كلايتون الذي توفي منذ سبع سنين.

تد تد تكريس يا روي؟ تساءلت السيدة أكسيل، وهي تنظر إليها بإعجاب، رد، أيق، شعر ينطير مع هبوب ريح وعيد حصار، واستعان.

— كنت أفكر فيما مضى من الزمن.

— لكنك تهدين الزمن يا زويا... كثيرون يطمحون بابتسامة منك وأنت ترفضين كل الدعوات التي توجه إليك. من يدري؟

— يدري ماذا؟

— في باريس التقيت حبك الأول، فمن يدري، فقد تلتقين حبك الثاني.

ضحكت زويا «ولكنني في رحلة عمل».

— أنا أقول من يدري؟

الفصل الخامس والثلاثون

في فندق ريتز، قامت كن من السيدة كسر ورويا، في غرفة مسكنة منذ سنوات، افتقدت زويا النوم على سرير وثير، والاستحمام في منفضة فخمة. إنها الآن، لا تستعيد ذكرياتها مع كلايتون فقط، بل مع كل شيء في سان بطرسبورغ؛ وفي الوقت ذاته، كانت ما تزال تكرر كلمات السيدة أكسيل عن الحب وعن باريس.

وقفت عارية أمام المرأة، وراحت تنظر إلى جسدها، إنه ما يزال عصاً، وما تزال في نفس العمر، لكن حب كلايتون ينفي هو الصاعني على تفكيرها ومشاعرها. ارتدت ثياباً عادية، ودون إعلام السيدة أكسيل، خرجت، للتنزه في شوارع باريس وطرقاتها، لتذكر تلك الأيام التي أمضتها مع كلايتون، تدوس القهوة في مقهى كفيه دي فوريه تخيلته يجلس قبالتها، يمسك بيدها فوق الطاولة، أحبت الهروب، فاستقلت سيارة أجرة، وذهبت إلى باليه رويال، ووقفت أمام تلك البناية التي عاشت فيها مع حديثها. رباه... كان ذلك، منذ سبعة عشر عاماً، اغرورقت عينها، وهي تسترجع ذكرى جدتها، وذكرى زيارات كلايتون، لهذه الشقة المتواضعة، تذكرت ليلة التقته لأول مرة في مقر قيادة الجنرال بيرشينغ، ليلة جاءها مدعياً أنه ساعي البريد، وتذكرت، بالطبع، كيف مارست الحب معه في مقر القيادة، وفي غرفة

انطوان، أحبت الهروب من كل هذه المشاعر، فقصدت حديقة توبيريس، وراحت تتعشى بين الأزهار والأشجار، وفي الوقت ذاته ترأب الأطفال يدعون ويلهون، فتذكرت طفليها في نيويورك. تحولت حياتها إلى نهر من الذكريات نبعه لا ينضب ولا يجف.

عملها في محلات أكسيل، جعل لحياتها معنى، لم تعد تكسب إعجاب الآخرين من خلال تعرية ساقها، بل من خلال حسن التعامل، ومساعدة النساء على اختيار الملابس التي تلمت نظر الرجال وتشدهم إليهن، حتى الرجال، كانوا معجبين بالكوتيسة كما يناديها الجميع، ونادراً ما سمعت أحداً يناديها بالسيدة أندروز. كلهم ينادونها بالكوتيسة، التي لم تسمح لنفسها يوماً، أن تخبر النساء عن عشيقات أزواجهن اللواتي كن يأتين إلى المتجر للتسوق بصحبتهم.

في باريس، وفي طريق العودة إلى الفندق، أحست زويا أنها ما تزال تحت الحسية ستة عشرة ربيعاً، ذكرت لأمير فلاديمير، نكبت له حد وسيلة للاتصال به، فاسمه غير وارد في دليل الهاتف.

عند المساء، دعته السيدة أكسيل لتناول العشاء، في مطعم مكسيم، لكنها اعتذرت عن تلبية الدعوة، متذرة بألف سبب وسبب، دون أن توضح السبب الحقيقي، «حتى لا تستعيد ذكرى كلايتون». ما مضى قد مضى، ولا ضرورة للاستمرار فيه. لا ضرورة بعد الآن، لاستعادة ذكريات سان بطرسبورغ وتساوسكوي سيلو، ولا دعوات المطاعم، لا ضرورة للتفكير بإيميجينيا أو الأمير فلاديمير وابنته بلينا، عليها نسيان الماضي والإعماس في الحاضر والمستقبل، عليها إسعاد بقول لذي اتصلت به هاتفياً واطمأنت عليه، كذلك اتصلت بساشا التي أملت عليها لائحة طويلة مما ترغب به من باريس، بما فيها الرداء الأحمر

والخذاء الباريسي المناسب له؛ إنها متطلبة كاتاليا، وتسألت كيف كانت مسك شعاع أولاده، فمأنو كرسه أعطاها نعيم وترويح وأثمت، ولكن لماذا هذا السؤال؟ رحلت ماشكا في عمر التمتع بالحياة.

لم تعرف زويا طعم النوم. رحلتها هذه، أحييت الماضي، ولماذا لا؟ فهي هنا قرية جداً من مسقط رأسها، هنا عرفت الحب وتعرفت على لذة ممارسته، لم يبق أحد إلا وتذكرته، الكسي، أنستازيا، ماري، تاتيانا، غيصر ونعمه أكسير، وانطاع ذكرت نكت لبيته المشوهة التي خرجت فيها من قصر فونتانكا بصحبة جدتها وفيودور؛ حتى أنها كادت تشتم رائحة الحريق الذي ألهم جسد والدتها.

عند العاشرة، صباح اليوم الثاني، كانت السيدة أكسيل تجلس إلى جانب زويا، في دعة سلس فندق ريزر الذي حذر واحد من أفعه فنادق باريس. بانتظار وصول سيارة الأجرة.

كل من في الدعة صر ليهم، وبدي عجمه نافهما لسيدة أكسيل، كانت ترتدي ثوباً أحمر، وسترة سوداء، أما زويا فكانت ترتدي فستاناً أزرق بلون السماء، وشعرها الأشقر، يتدلى على كتفيها، وينبعث من عينيها إشعاع سحري.

تبدوان كسيدتين باريستين بكل معنى الكلمة... ما هذه الأناقة؟ قال الموظف المسؤول، وهو يفتح الباب الخلفي لسيارة الأجرة، داعياً إياهما للصعود، وبلكة روسية، ويكل تهذيب، أيد السائق رأي الموظف المذكور.

طوال المسافة العاصلة بين الفندق ومحلات شيا بارللي في شارع

السلام. كانت السيدة أليكس، تصغي إلى زويا وهي تتكلم الروسية. م يسبق لها، أن سمعت إيقاع هذه اللغة لأن زويا، لم تتفوه ولو كلمة واحدة بلعتها الأم، حتى مع الأمير أوبولنسكي حين زار المتجر. إن للأسف، لم يكن السائق يعرف شيئاً عن الأمير فلاديمير، وحتى أنه، لم يسمع بإسمه من قبل. فتأكدت زويا، أن هذا السائق هو من الروس البيض، ولا ينتمي إلى طبقة الأمراء.

عبريال شميل، كان المحطة الثانية، بعد شيا باريلي، ومن ثم بعد مصمم الأزياء بالسيغا، حيث لم تكنفي زويا باختيار الملابس، من راحت ترتدي كل ثوب على حده. وتتمنحطر به أمام أعين السيدة أكسيل، لثرى مدى جماله على جسد امرأة حقيقية وليس على جسد العارضة الإصطناعية.

- «كان من المفترض أن تكوني عارضة أزياء، أو مصممة» قالت السيدة أكسيل، وهما تشربان الشاي في أحد مقاهي باريس الراقية.

- أنا مولعة بالثياب الأنيقة.

نهدت زويا، وأجبت أن تبوح بشيء عن ماضيها، شيء لم تعرفه ربة عمتها من قبل، حتى الآن، ورغم قصص حمس سوب وسيف، عني تعرفهم، وعمتهم معاً، ما برح بسده تكسب جهن لكثير الكثير عن ماضي زويا.

- منذ صغرنا، ماري وأنا، كنا مولعتين بالأناقة، وكثيراً ما كنا نلدي الملاحظات على ثياب والدتي وصديقاتها.

تسمنت زويا، إبتسامة حزينة وهي تسترجع تلك الذكريات «كم كنا شقيقتين؟»

لاحظت أكسيل أن زويا تحاول حبس الدموع في عينيها، «ومن تكون ماري؟... شقيقتك؟»

لا...

ولكن... كيف لا؟ كيف وجدت نفسها فجأة، أمام تلك الذكريات العتيقة؟ وهل تتكلم الآن عن ذلك الماضي المؤلم الذي، عشت، تحاول نسيانه أو تناسيه؟ ولم؟ للسيدة أكسيل التي ورغم السنوات الخمس، ما تزال تتعامل معها كربة عمل ليس أكثر؟

- من تكون إذن؟

- ابنة عمي... ابنة القيصر..

- واحدة من حاملات لقب الدوقة الكبرى؟

- نعم، بها به شمس ندوفة وأنا نسي باقي مع الأمير أوبولنسكي أحنت زويا رأسها، وهي تمسك بكوب الشاي بكثي يديها، وتدلى شعرها فوق الطاولة. أحست السيدة أكسيل، بسكين يحترق صدرها. من غير المتصور، أن تكون هذه الابنة، بسنة عادية، بها حارفة، ولكن ما نعم، إذ كنت خروب وشورت، معي من كان فقيراً وتعفر من كان غنياً؟

أثناء تناول العشاء في الفندق، أحترنا جردة، لما اشتريته، وما تبقى عليهما شراؤه. حاولت السيدة أكسيل، أن تحوّل العلاقة مع زويا، من علاقة عمل، إلى علاقة صداقة حميمة. لكن زويا، أصرت على الاستمرار بإقفال الأبواب التي تعيدها إلى الورا. إنها تتطبع إلى الأيام الآتية، لا هم عندها، إلا نيقولا وساشا.

كان الليل طويلاً، ومملاً... لم تتمكن زويا من النوم... أفكار غريبة تراودها. لقد تمكنت السيدة أكسيل من إحداث تغيير، ولو بسيط، في محرمي حياتها. كانت زويا، ترتدي قميص نوم قصير أسود اللون، إلى اللون الذي كان يحب كلايتون أن يراه على جسدها الأبيض، وكثيراً ما كان يقول لها، «إن هذا التناقض في الألوان، يجعلك مثيرة يا حسني، مثيرة جداً». وهكذا تجد نفسها، تمد يدها، تلقائياً، ودون إرادة من نفسها، لتفتح باباً على الماضي، رحلة باريس هذه، حلوة ومرة في آنٍ واحد. حبوة لأبي عمر تشبه فيه ستخدم وفاته ومرة، لأبي صبح... حبوة لوجه، أمام فترة سابقة من حياتها. وهل يعقل ما قالته السيدة أكسيل «في باريس عرفت الحب الأول، فمن يدري؟» إنها ذلك الحب... في السابعة والثلاثين من العمر. فجأة تقفز زويا، لتقف أمام المرأة، تنسحب إلى جسدها، وبعموية زائدة خلعت قميص النوم، لتصبح عارية إلا من لباس داخلي أسود. تذكرت كيف وقفت هكذا، أمام كلايتون لأول مرة في مقر قيادة الجبال بيرشينغ وتذكرت كيف خسرت عذريتها يومذاك، حتى اليوم، ما تزال غير نادمة على ما فعلته، على العكس، إنها ذكرى حيوة جداً. فهي لم تقدم على ذلك، رغبة في ممارسة الحب، بل تعبيراً عنه.

لاحظت السيدة أكسيل شرود فهن زويا. وأيقنت أن باريس تعني لها الكثير. هنا عرفت البؤس، والسعادة. هنا عاشت عمر المراهقة، ومن يدري، فقد تكون هنا أيضاً، مارست الحب لأول مرة، ومع كلايتون بالتحديد.

تساؤلات كثيرة راودت عقل السيدة العجوز التي ما مرّ يوم، إلا واردةت إعجاباً بموظفتها هذه؟ كيف لا؟ حتى الزبائن معجبون بها،

ويعترفون أنها تتمتع بحس رفيع وحاسة سادسة، تجعلها قادرة على تنبئة طلباتهم دون الإفصاح عنها

— غداً ستزور معرض كريستيان ديور.

— وهل ستعدين الميزانية المخصصة لهذه الرحلة؟

— لا... ولكن سنشتري ما هو ضروري.. ويمكننا الإطلاع على الخطوط العريضة لتصميمه. وتنقيها لمصممة أزياء غير مشهورة في نيويورك.

— ولماذا فعل هذا؟

— إنها التجارة يا زويا، لتصحبها لك في نيويورك، وهكذا توفر مالاً كثيراً لتزداد أرباحنا. فنحن سنبيعها على أساس أنها من تصميم كريستيان ديور.

إنها المرة الأولى التي تعترف فيها السيدة أكسيل لزويا بسر، من أسرار عملها. ويبدو أن الجو الرومانسي لهذه الليلة، جعل كل واحدة منهما، تعترف بها للآخرى.

— الكونتيسة أوسبوف... نائبة المدير العام لمجلات أكسيل.

هكذا، قدمتها السيدة أكسيل لكريستيان ديور شخصياً، وبحضور ألي دي وولف التي روت له بعضاً من تفاصيل حياة زويا وأثبتت على شخصيتها لني لولاها لك طفلان، بعيشان الآن في كوخ من الأكواخ على ضفة نهر هدسون.

بعد الانتهاء من مقابلة السيد ديور، كان لهما موعد ثانٍ مع السيدة شيا باريللي، في قاعة العرض الجديدة، المزينة جدرانها بالعديد من

لوحات سيلفادور دالي، الرسام الذي يعتبر مؤسس المدرسة السريالية في فن الرسم. لكن السيدة شياهاريللي لم تتمكن من البقاء معهما طويلاً بسبب ارتباطها بموعد مع السيد سيمون هيرش، وأوكلت هذه المهمة إلى إحدى مساعدتها بعد أن كتبت خطية، كانت السيدة كسين تسيطر على زويا، وهما يتحولان في شوارع باريس، وكنتمهما تسعبد ذكرينها في هذه المدينة التي لا يعرف ساكنوها شيئاً من جاره. المدينة التي لا تنام.

لا حط زويا، أن هذا رجلاً من مقدمه، سود الشعر، بيبي أنفه يسير خلفهما وكأنه يلاحقهما، لكن شكوكها تلاشت حين وجد وجهة سير أخرى مفاجئة، كانت أمام مصعد يندى «عقود سيدي» أما لا أتبع حطوكم، بل أنتم هانصاً سني وشهدكم في معرض شياهاريللي وفي أحد الشوارع.. المعذرة، إنها مجرد صدفة.

لا عيبك سيدي، فنت كسين

مد يده أن سيمون هيرش

أنا كسين ديوي وهذه مساعدتي كوخيسة زويا لوسيف

نظر سيمون إلى عيني زويا المحصروين ومد يده لمساعدتها «روسيه أنت؟»

أحب زويا رسيه، في محاولة للهروب من البقاء عيشه بعيداً عنك

بعد، أنا روسيه من سبب حرس سورج

كان سيمون يقيم في الطابق ذاته أيضاً، وغرفته مجاورة لغرفة السيدة كسين

— وأنا كذلك... ولكني ولدت في نيويورك... وأمتك مصنعاً للمعاطف هناك.

ثانية مد يده للمصافحة، مودعاً واتجه نحو غرفته، متمنياً لهما ليلة سعيدة

بعد زويا حطو به بعصبية إلى رجل قوي لشخصية وحدها

في غرفة زويا، جلست السيدة أكسيل، لتقيم مع مساعدتها ما فعلناه في هذه الرحلة

في هذه الممرات، تعرف إلى سيد هيرش، من سري، قد يشتري بعض المعاطف من عبده موسم حريف القدم، خاصة إذا كنت لأسعد

سكنت زويا ما يربطها من أربعة أيام هه، وحتى الآن لم يشري أحدهم وفقدت، وكنتك ثياب لسهرة

— نديت حتى كل الحق... ثم لمعطف الرحا، وأفضل أن ستاعبي من نيويورك صدقي، لو أني أصغر بعشرين سنة لكنت حاولت حنطه

صحكت زويا، وهي تنحيل لسيده كسين تحري ور، رجل تمسك به وتطأه أن يحبها

— يودي لو أنك تعلمين هه... كم سكر... مشهد مصحكاً

— أنا أحب هذا النوع من الرجال.. وستكونين معي حين أقصد صالة عرضه في نيويورك... لربما يدعوك لتناول العشاء، فأنتما روسيان.

كانت السيدة أكسيل، قد لاحظت كيف نظر سيمون هيرش، ر. زويا بإعجاب زائد.

- ما هذه السحافة يا أكسيل؟ إنه إنسان مهذب ومحترم.

- سخافات؟ ولكن أنت... لماذا تتصرفين وكأنك راهبة؟... يسبق لك وليست دعوة أحدهم لبعشاء أو لقضاء سهرة معه؟

إبها المرة الأولى التي تتجراً السيدة أكسيل، وتطرح سؤالاً كبيراً على زويا.

- أهدأ... ما عرفت في حياتي أحداً غير زوجي... لا قبل زواج ولا بعده.

- أيعقل هذا؟ كم عمرك الآن؟

- سبعة وثلاثون.. أترين، لم أعد في عمر المعامرات.

- لا تكوني بلهاء... حين كنت في عمرك، كان عندي عشيقان. للأسف، كانا متزوجين... أحدهما أسس لي هذا المتجر الذي هو اليوم واحد من أشهر متاجر الألبسة في نيويورك... يستحيل عليك قضاء عمرك بين العمل والأولاد. غداً سيكونان، فماذا سيكون مصيرك؟ البقاء وحيدة في المنزل؟ تنهضين صباحاً، فلا أحد يقول لك صباح الخير، وفي الليل، لا أحد يقول لك «نوماً هيثاً».

صحكت زويا لحماس أكسيل «لا وقت عندي للحب يا أكسيل. عند السادسة مساءً أعود إلى منزل. أهتم بمسألة بقولاً حتى العشرة، أستحم بعدها، ثم أقرأ الصحيفة، وأحياناً رواية، وما أن أضع رأسي على وسادتي، حتى أغرق في النوم.

كانت أكسيل تقدر وضع زويا، وتحسس معدناتها، وفي الوقت ذاته كانت تدرك أن هناك شيئاً مكبوتاً في داخلها، عليها إبقاؤه.

في اليوم التالي، عادتا والتقيتا سيمون هيرش عند مدخل صالة عرض كريستيان ديور.

«أترين ها نحن نعود ونلتقي؟ بت أخشى أن نكون أوصينا على البضاعة ذاتها».

لم يكن سيمون يهتم لهذا النوع، إنه بدأ يهتم بزويا التي ترتدي ثوب حرير زهري اللون، يجعلها تبدو أصغر سناً بكثير من هي عليه.

- لا ضرر في لقائنا هذا سيد هيرش. نحن هنا، ليس لشراء المعاطف، بل الأحذية.

- شكراً لله، قال ومضى في طريقه، بعد أن لوح بيده مودعاً.

ثم عدد ثلاثة وثلاثين سنة لخروج عروق الكحل في الصحاح وتعجبوا لصدف التي تجمعهم لكن سمون قترح عبيهم وضع حدود موحدة لتسحر كسب وهكذا يومرون في بدل الحجاب وآخر في التحديق موصولاً بوجه زويا، قل أن ينظر إلى ساعته الكارتييه.

- ما رأيكما لو تناول الغداء معاً؟ أم أنكما مشغولتان؟

لم تكن زويا راغبة في قبول الدعوة، لكن أكسيل سارعت مريحة بالفكرة، وكان سيمون أسرع في إيقاف سيارة أجرة لتقلهم إلى فندق جورج الخامس. بهم بعدون أسهى لما كان لقد سبق لي أن زرتهم في رحلتي السابقة... التي أنهيتها في رحلة استجمام إلى ألمانيا... إنما هذه السنة، علي العودة إلى نيويورك... لدي أعمال

كثيرة هناك... لن أعود إلى ألمانيا، ما دام هتلر موجوداً في الحكم.
كان هو يتكلم وزويا جالسة على الكرسي إلى المائدة، تراقبه باهتمام
كبي.

- وهل تعتقد أنه سينفذ تهديداته؟

- ما من شك في ذلك. فالنازية أوجدت مساحاً معادياً للسامية...
وأعتقد أن هذا الإحساس المتأجج بالعداء للسامية، سيؤدي حتماً إلى
اضطرابات في طول البلاد وعرضها، وقد يحاول القضاء على كل من
هو من أصل سامي.

كان يتكلم وعيناه، مشدودتان إلى زويا التي لاحظت ذلك، فأحس
راسها هرباً من نظراته.

- لكنه أمر لا يصدق..

- بلى... إنه أمر يصدق، فمذ أن وجد الإنسان، وجد الإجرام
معه. عائلتي... تركت روسيا... إثر المذبحة الكبرى أمام قصر
الإمبراطوري والآن، أرى هذه المذابح تتجدد في ألمانيا، وإن بشك
مختلف، وبحق اليهود أيضاً.

كان يتكلم ويحاول استراق النظر إلى وجه زويا، جاوز الأربعين من
العمر، ولم يتعرف إلى هذا الإحساس من قبل... من أين جاءت هذه
المحقة، وعن أي كوكب هبطت؟

- وأنت سيدتي الكونتيسة، متى تركت روسيا؟

- أرحوك... نأدي زويا... فأنا اليوم أدعى زويا أندروز. حتى في
هذه اللحظة لم ترغب إلا الحفاظ على ذكرى كلايتون.

- تركت روسيا بعد الثورة عام 1917.

- لا شك كانت لحظة مؤلمة.. تحدثني أُمِّي عن معاناتها يوم مغادرتها
روسيا، وبعده... حتى الآن ما تزال تجهش بالبكاء حين تتذكر ذلك.

- لا أحد يقدر تلك المعاناة، إلا من يعيشها.

- وهل غادرت برفقة العائلة؟

تهددت زويا من أعماق صدرها، حتى أحس سيمون بأسف شديد.
- تركت روسيا برفقة جدتي فقط. أما الباقون فمهم من قتل قبل
ذلك، ومهم من قتل بعد عام.

لم تشر زويا إلى القيصر ولا إلى عائلته، ولا إلى الوحشية التي قتلوا بها.

- وأنت مباشرة إلى نيويورك، تسأل سيمون.

- لا... لا... وارتسمت على شفيتها ابتسامة حزينة فيما الدل
بسكت في كأسها. سيد نعمت صبح 1923 الذي يقصده سيمون
وتابعته إلى المحطات كانت في باريس، حيث أمضيت عامين،
تزوجت بعدها وأنت نيويورك برفقة زوجي.

لم يكن سيمون، قد انتبه إلى وجود خاتم الزواج في إصبعها، لكنه تبه
الآن له، وكذلك السيدة أكسيل التي تهرعت لتقوم بدور الموضح.

- الكونتيسة هي الآن أرمنة... توفي زوجها منذ سنوات.

- إني لحد آسف. قال سيمون الذي بدا مرتاحاً لايضاح السيدة
أكسيل وأردف «وهل لديك أولاد؟».

- إثنان.. صبي وفتاة... وأنت سيد هيرش؟... هل لديك أطفال؟

لا

ابتسم سيمون هو يهز رأسه «ما أزال عازياً... لا أرمل ولا مطلقاً ولا أولاد... تريدني أمي أن أتزوج اليوم قبل العدة، وأن أنجب غيره أطفال، إنها تحب العائلة الكبيرة».

ضحكت زويا في سرها، وتذكرت أحاديثها مع ماشكا، هي كانت تمنى لو تنجب ستة أطفال أما ماري، فكانت تمنى أن تنجب أربعة وخمسة أطفال، إنما القدر حال دون ذلك. فلا هي أنجبت أكثر من اثنين ولا ماري عاشت لتزوج، بل قضت وهي ما تزال تعيش الحلم.

— إذن ما عليك إلا أن تتزوج وتفاجي، والدتك بخمسة أطفال دفعة واحدة.

— سأبلغها رغبتي بالزواج... سأفعل ذلك فور عودتي إلى نيويورك. حتى لا تعود إلى بشاد مولها، فهي فكرة هزل يحدوني بها عما اشتريتما، أم أن ذلك أمر سري؟

نظرت أكسيل إلى زويا وكأنها تدعوها للإجابة نيابة عنها.

— لا أسرار أبداً سيد هيرش، إلا فيما يتعلق بالمعاطف الرجالية التي هي من اختصاصك.

غرق الثلاثة في الضحك. كان جواباً ذكياً، وتابعت زويا تتحدث عن الفساتين والأحذية والحقائب. خاصة من معرض السيد شيا باريلي...

— الكنزات الصوفية... الأحذية فهي من معمل كريستيان ديور.

— إذن سأزورك في نيويورك... كان سيمون يخطط لأمر آخر،

وهو سرقة الأفكار، وتصنيع مثيل لها في معمله، وأدركت رويا هذا، فابتسمت «لكننا لن نعرضها، لأنها مبيعة سلعة».

— أجزم إنها مجموعة رائعة.

تأملت زويا بالرجل الخالس قبالتها، البهي الطنة، الواسع العيين، الطويل القامة، العريض المسكين، وهي تحدثه عن ألوان مجموعة ثياب السيد باريلي القديسة صرخة، وبانوت ديه باك لها، من خلال حديثه عن الموضة والأناقة، ونوعية الأقمشة، كما تأكدت السيدة أكسيل، أنه يتمتع بحس في السوق، فهو سيشترى خديعة هيمت بتعديني مع حبه لمصنوعة رخيصة وحتى نظف في ساحة توسع شاطئها لبيع المعاطف الرجالية الجاهزة، وبعد تقاعد والده وأعمامه، واستلامه إدارة مؤسسه، سمعت سماعتها شمس معاضف نسائية وهكذا، ثم بعد بعبء على لأقمشة مصنعة بحب، بل على لأقمشة الإيكسبرية الدائنة نصيب، وإضافة مسحة حمائية على معدنه، كان لابد له من التعاطي مع أشهر دور الأرياء في باريس، عاصمة الأناقة.

— في سدة، عبقري لنديني أدمر ما سده هو وأشقاؤه ولكن يوماً بعد يوم، ومن خلال عملي الدؤوب، تمكنت من كسب ثقتهم وإقناعهم بصواب ما أقوم به...

هز سيمون رأسه، وارتشف شيئاً من النبيذ المعتق قبل أن يعود ليخفف إلى زويا «وأنت كوتيسة... عفواً زويا، كيف بدأت مشوارك مع الأرياء والسيدة أكسيل؟

كان مسؤول وقع عند روي، هل نوح الآب، كما ما يرل مدفوناً في صدرها من أسرار. لم يسبق لها أن حدثت السيدة أكسيل عن ماضيها

— إنها قصة مأساة. قالت أكسيل وتابعت «ولكن لماذا لم تحترق هذا؟».

— لماذا؟ خفت أن تكون سيرة حياتي حائلاً دون موافقتي على توظيفي. يومها كنت مستعدة أن أجتو عند قدميك وأتوسل إليك. أتذكرين سيدة أكسيل أني لم أسألك عن قيمة الراتب؟ بعض أصدقاء الروس، كانوا ينتقظون الحمام من الحقائق العامة لتأمين العدا. . .

بعد الانتهاء من تناول الطعام، وقف سيمون أمامها ثم انحنى وقبل يدها وعيناه عالقتان بعينها، أدرك أنه يحبها، وأدرك أنها إنسانة جديرة بالاحترام، وأقسم أن يكافح من أجل الحصول على حبها.

الفصل السادس والثلاثون

زويا، أثناء تناول العدا في مطعم فندق جورج الخامس، زويا تتساءل عما إذا كان سيمون ما يزال هنا أو عاود إلى مكان آخر؛ تركت له بطاقة شكر على دعوتيهما للعدا في مكتب الاستقبال، متمنية له السعادة وتحقيق أمانه الخاصة والتجارة.

في الليلة ما قبل الأخيرة، تناولت زويا العشاء مع السيدة أكسيل في غوردون بليه وتحدثتا مطولاً عما اشترتاه. صباح اليوم التالي، كان يوم تسوق زويا لما طلبته ساشا، فاشترت لها رداء أحمر وأحذية فرنسية، وكذلك بعض الألعاب، كما اشترت بئرة أنيقة لتبقيلاً وساعة يد كارتيه، كمساعة يد والده كلاتون. أما الليلة الأخيرة، فصاوت ليلة العاصح الروسي، فصممت زويا أن تحضر قداس منتصف الليل في كنيسة سان ألكسندر بيمسكي، حيث حضرت، منذ سنوات، قداس عيد الميلاد الروسي برفقة كلاتون وإيفيخينا؛ فتسللت من الفندق دون إخبار أكسيل، فإذا بالكنيسة ما تزال كما تركتها، لا شيء تغير فيها أو تحدد. بخشوع كلي شاركت أبناء وطنها الأم احتفالهم بذكرى قيامة السيد المسيح، وهي تجيل نظرها بين الحاضرين، عندها ترى وجه صديق أو وجهاً مألوفاً.

أثناء القداس عاشت زويا، صراعاً بين السعادة والأسى، إنها سعيدة بسبب حضورها القداس الذي تحبه، ومشاركة أبناء وطنها في ترتيبه «المسيح قام من بين الأموات ووطيء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور». وفي الوقت ذاته كانت تشعر بالأسى.

عند الصباح، استقلت السيدتان القطار من باريس، إلى مرفأ لوهافر، للإبحار عائدين إلى نيويورك، على متن السفينة السياحية كوين ماري، لتذكر رحلتها الأولى إلى نيويورك برفقة كلايتون.

على متن السفينة، كانت تجلس وحيدة، عيناها سارحتان في الأفق البعيد، وبضعة دموع تبلل وجنتيها. دموع أسى وشوق في آن. أيام قليلة وتكون مع طفليها، ويعود إحساسها بالحياة.

— يبدو أنك حريئة.

سمعت زويا صوتاً أثار اهتمامها، فاستدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه، مع سيمون.

— لا لست حريئة، إنما أستعيد بعضاً من الذكريات.

— سيرة حياتك أثارت اهتمامي. وأعتقد، أن ما رويتك هو قليل من كثير.

— إنه الأهم، أما الباقي فلا معنى له... إنه يشبه حياة أي فرد آخر.

لم تكن زويا تنفت إلى، بل ما تزال تحرق بالحيط وأموالها، فيما كان سيمون يتمنى لو بمقدوره أن يأخذ يدها، أو يضمها إلى صدره، إعتقاداً منه إلى أن هذا قد يسعددها، أو يجعلها تشعر بأنها أصغر سناً، وفي الوقت ذاته، كان احترامه يمنعه من فعل ذلك، خاصة وأنه مدرك، أنها امرأة حدية وعممية.

— الماضي، يا سيد هيرش هو جزء مهم من حياتنا. كان صعباً عليّ أن أعود إلى هنا، ولكنني سعيدة بعودتي، في باريس احتضنتني فترة لا بأس بها، قدمت لي الأمان الحسدي. إنها جزء من حياتي.

— لا ريب أن باريس عانت من الحرب، كنت أنوي زيارتها حينذاك، لكن أبي جن جتونه. لم يسمح لي بمغادرة أميركا، لذا أمضيت تلك الفترة في تطوير أعمالي، وأنشأت معملًا للمسيح في جورجيا... يبدو أن لا مجال عدي للخروج من هذه المهمة... ولكن...

— ولكن ماذا؟ تساءلت زويا.

— ولكن كان صعباً عليّ أن تمضي تلك الفترة هنا في باريس.

— بالفعل كانت كذلك، ولكن حياتنا في باريس أفضل بكثير من حياة الذين كانوا ما يزالون في روسيا.

كانت زويا تقصد القيصر وعائلته، وبالأخص ماشكا التي، ما مر يوم، تعيش كأن أم سعيدة، إلا وتذكرتها؛ وما تحدثت إلى إنسان إلا ورغبت في ذكرها، حتى حين تحدث سيمون عن الرواح ولأولاد.

تنهدت زويا، وهي تحرق بحيط المحيط. إنها الحياة، ترحال بترحال. لا استقرار فيها. لم تكن تدرك هذا من قبل. كانت تعيش حياة الترف والبذخ، كانت ترغب بتحقيق أشياء كثيرة، لا يحق للآخرين، حتى أن يحلموا بها، ولكن ها هي الآن تحلم ولا تصمم. رغبت في قطع الحديث عن الماضي فسأله عن نتائج رحلته هذه.

— كانت ناجحة... قال وأعاد لها السؤال ذاته «وأنتما كيف كانت

رحلتكما؟»

— رائعة، وأعتقد أن السيدة أكسيل مسرورة جداً بما اشتريناه.

— ما رأيك لو نتناول العشاء معاً هذه الليلة؟

— شكراً جزيلاً على هذه الدعوة، ولكن، عليّ سؤال السيدة أكسيل أولاً.

لم تكن زويا راغبة في تلبية دعوته، حتى أنها لم تكن مسرورة لوجوده على الباحة أثناء رحلة العودة. كانت مدركة أنه معجب بها، وأنه يحاول التقرب منها بهتّى السبل والوسائل. لذا صممت على مقاومة هذه المحاولات، دون أن تدري أن السيدة أكسيل راضية كل الرضا عما يفعله سيمون. ولهذا قبلت الدعوة مباشرة دون تردد، وفي الدقيقة الأخيرة، اعتذرت متذرة بوعكة صحية مفاجئة. هكذا وجدت زويا نفسها تلبي الدعوة وحيدة.

كلمة سيمون عن صفة تهو عن شدة فصيحها بهجوتي، وأن وشدة بساطة مسطحة، لا تسمح لأحد أن يرفضها ضده بعضيها من.

— يبدو أن كل الروسيات هكذا. أمي كانت هكذا، وكبر أحمد، على أن حدي كنت مسخرة حرة وقوية في وقت ذاك عندما كنت حياتي من الموت في روسيا، وجاءت بي إلى باريس. لو كانت ما تزال حية، لكنت ستعجب بها كثيراً.

— طبعي أن أفعل ذلك...

كان سيمون ينظر إليها ويحاول تمالك أنفاسه، يحاول كبت مشاعره، لكنه لم يتمكن «أنت إنسانة رائعة... أتمنى لو تكونين إلى جاني مدى العمر».

ضحكت زويا «لن تكون سعيداً... أنا إنسانة مدللة ومتطعبة. علمتني الحياة أشياء كثيرة، علمتني تقدير الأشياء البسيطة قبل الكبيرة. وأنا اليوم أهتم بعلمي... وبولدي... وليس بأي شيء آخر.

— أتمنى لو تحدثيني عن حياتك في روسيا.

— ولماذا؟

لماذا يريد أن يعرف كل شيء عن تفاصيل حياتي، أمدافع الحشرية، أم لأمر آخر...؟

— أتمنى أن أعرف كل شيء عليك... أنت إنسانة ممتلئة حيوية ونشاطاً، حية بحية وبالوقت ذاته، هناك غموض قوي يكشف حياتك.

— لكنت تعرف أكثر من أي إنسان آخر. لم يسبق لي أن أحبرت أحداً، حتى طفلي، ما أحبرتك إياه، خاصة عن عملي كراقصة مبتدلة. ألاحظت أن السيدة أكسيل كانت جد مندهشة لما سمعت؟

— ليس وحدها... وأنا أيضاً... ما عرفت إنسانة بصراحتك وما عرفت إنسانة صادقة مع نفسها ومع الآخرين مثلك.

— أتخيل ردة فعل والدتك حين تعرف هذا... أن متأكدة أنها ستطردني فوراً. في مطلق الأحوال، فأبواك، بلا أدنى شك، يكرهان الروس.

— هل كانت عائلتك على علاقة بعائلة القيصر؟

تساءل سيمون وهو يتمنى لو يجيبه بالنفي، فوالدته، تتحدث عن القيصر وكأنه كابوس، وإليه تسبب سبب كل متاعسا ومشاكل، حتى الصحية منها. لاحظ أن سؤاله لم يكن في محله...

احتارت زويا بما تجيب. أتقول الحقيقة، أم تكذب عليه. ولكن لماذا الكذب طالما هي لا ترغب باستمرار العلاقة معه.

- نعم... أبي ابن عمه القيصر... وأنا ربيت في القصر الإمبراطوري مع بنات القيصر، كنت أرافقهم أينما كانوا. وماشكا هي بمثابة أخت لي. كذب ساموت حب سميت خبر وفاتها... لكن مجيء كلايتون، لقد بي من حيلة خرب ليأس.

اعرورقت عينا زويا بالدموع، وأخذت نفساً عميقاً، ثم أخذت رأسها، وكأنها لا تريد أن يرى دموعها. مد يده وأمسك يدها وراح يمسح ريشها وكأنه يريد من عذبة، من ساءت حاله - عرفت مره عنه، كان يقرأ الكتب عن القيصر، كان يفعل ذلك خفية عن أمه، وإلا لكانت تهرأت منه. وها هي زويا، تقدم القيصر على حقيقته، حدثه عن حنايه، عن حبه للعائلة ولشعبه، حدثه كم نال حين وقعت المذبحة، وأنه لم يكن يومها في القصر، حتى جعلته يتعاطف مع قضية القيصر وبأسف لقتله بتلك الوحشية.

- أعتقد أن الحرب ستنتشب من جديد؟

كان من المستحيل أن يتصور أحد نشوب حربين كبيرتين خلال فترة زمنية قصيرة، لكن الوقائع تدل على عكس ما يرفض الناس تصوره.

- أرى ذلك ممكناً... إنما أتمنى أن أكون محطناً في رؤيتي هذه.

- وأنا أيضاً لا أتمنى ذلك... الحرب شيء مرعب. موت، دمار، حراب، ما زلت أذكر العارات الحوية على باريس، وكيف هجرها سكانها، ليس بمقدوري التفكير بتلك المعاناة... خاصة اليوم. أنا أم لطيفين

- أرغب برؤية طفليك يوماً ما

- طفلان جميلان، يقولون جدي نوعاً ما، أم ساشا فهي طيبة غوجة ومتطبة. عودها كلايتون على ذلك... إنها مصدر سعادتي وقوتي.

- وهل هي تشبهك؟

- لا.. بل تشبه والدها.

بعد العشاء رمقها بنظرة غريبة، تحايتها عن قصد وعمد. وشكرت نفسها لأنها لم تدعوه لزيارتها في نيويورك لرؤية الأولاد، رغم إبداء رعبته برؤيتهم أكثر من مرة.

صباح اليوم التالي، كان السباق في الصعود إلى متن الباخرة، حتى أن زويا فوجئت بوجوده وكأنه ينتظرها. حين دعاها إلى العشاء، لم تتمكن زويا من الرفض، لأن أكسيل أسرع بالموافقة، وكذلك بالسبة بعش.

في الليل دعاها إلى صالة الرقص، لكنها رفضت وأجبت أن تكون صديقة معه «ربما لأنني خائفة».

- وبما أنت خائفة؟

- منك... أتمنى ألا تكون صراحتي مزعجة.

- ليست مزعجة وحسب. بل أكثر من ذلك... وهل أبدو مرعباً؟

- نوعاً ما... أو قل أنا خائفة من نفسي أكثر مما خائفة منك... منذ زمن طويل لم أتناول طعاماً مع رجل، ولم يدعوني إلسان لمراقصته... لا أحد مطلقاً، منذ وفاة زوجي... ولن أسمح بذلك الآن.

فوحى بك بقول مبدع

- لا بدت مرهقة، في سبعة و - ثين، وعندي صديق - عبد
كرو حودني ولا بدت رويحي حود

- لا بدوني مبدت بدت بدت، ولكن - بدوني بدت في
السابعة والثلاثين هذا قول مرفوض - بدوني بدت - قول
أنا الآن في الأربعين من العمر.

- ولكن - الأمر مختلف جداً - بدوني بدت - بدوني بدت -
فعلت.

- ما هذه السخافات؟ كثيرات أكبر منك سنًا، مطلقات وأرامل،
ووقعن في الحب، ووحس

- ربما أنا مختلفة... ولن أفكر بهكذا أمور.

- إسمعي جيداً - نسب هذا لاسمع عدد بدت، ومن أسمع
بدت - بقول بدت بدت في نسب بدت بدت، وأصح هذا
أنا أحبكم بجنون... وأحذرك أنا إنسان عنيد جداً، ولن أتوانى عن
نصب خيمة أمام محلات أكسيل. هل يعجبك هذا؟

- على الإطلاق.. يا سيد هيرتش لكن هذا نوع من الجنون...

لم تتمكن زويا من إخفاء ابتسامتها.

- حسناً... إذن سأنصب الخيمة فور وصولنا إلى نيويورك، إلا إذا
وافقنا على تناول العشاء معي ليلة وصولنا.

- ولكنني سأناول العشاء مع طعلي... فمضت ثلاثة أسابيع وأنا لم
أجلس معهما ولو لدقيقة. إنني جد مشتاقة لهما، وهما كذلك.

فكرت زويا بدت - يكون صديقاً - صديقاً ليس أكثر، لكنه فعلاً
بدت بدت

- حسناً، بدت في نسبة بدت - ولا أدعوك وحدك، بل مع
ولديك أيضاً، لئلا يكونوا خطب منك

- لا أنتك بدت - فهم ما ير لار معنيين - بدت

- حسناً... ولكن ماذا عليك أنت؟ فكري بنفسك وبطفلك هما
مخافة نرحل بدمهم كوك - وأن ساكنون كذلك

- لربما...

لكنه وحدها بدت بدت بدت

- أرجوك لا تفعل هذا ثانية.

- لن أفعل - لكنه عدد وفهم

- شكراً

دخلت غرفتها وأغلقت الباب وهي تحلم به يضمها بين ذراعيه.

الفصل السابع والثلاثون

فيما كانت كوين ماري تنهادر فوق مياه المحيط باتجاه نيويورك،
كانت زويا تتقرب أكثر فأكثر من سيمون، فتم تعدد تتردد بقبول دعواته،
ن للغداء، أو العشاء أو الرقص. وحتى لتبادل

بعد مصنف منه لا حدود، كان سيمون يحب أن يحب، على متن
سلبية، بادلا لنفس حبه، و نصحت حباته وأن يرقصهم،
نمصر، أسد كعب سي كانت سيمون، على الاستمرار في
تلافة، وحتى على لا أحد. أن هذا الحدود

- لا أحد يدرك أنه سيمون، بك

- و ما كنت، والحل، نفس تقدم، في الاستمرار، ب سيمون

- أنا أحبك يا زويا أوسيو ف...

كان يحب تردد اسمها لما فيه من إيقاع موسيقى.

- دعك من هذا الكلام الذي قد يزيد الأمور تعقيداً.

- قريباً ستزوج... قال بلهجة لا تدعو إلى الشك في أنه صادق بما

يقول

- هذا مستحيل.

- لا.. ليس مستحيلاً... دعينا نخبر طفليكِ أننا نحب بعضنا.

- ما هذا المجنون... لم يمضِ زمن على تعارفا.

- حسناً، نتنظر أسبوعاً أو أسبوعين.

- حقاً إنك مجنون.

- هل تتزوجيني؟

- لا.. والف لا..

- لماذا؟

- لأنك مجنون... وقد تكون خطراً جداً

- أكون كذلك، في حال عدمه، فستحسني لروح مسيحيين من سن
لكل ورايت يهودياً روسياً مسعوراً؟ وأين؟ على متن سفينة. فتخيلي
مدى الإحباط الذي سيصيب العدد الأغلب من الركاب، وهم يرون
وحداً يرمي نفسه من غيظ ليكون صعداً شهيماً نسمت بفرش
ما عليك إلا الموافقة.

وحتى تمنعها من أن تنفوه بأية كلمة، ضمها إلى صدره وراح يقبلها،
وما إن تمكنت من إبعاد شفتيها عن شفتيه حتى رجفه أن يكون أكثر
واقعية «فمن يدري، قد تتبدل مشاعرك بعد وصولنا إلى نيويورك غداً.

- حسناً، غداً مساءً أبلغك بذلك. ولكن إن لم تتبدل مشاعري فهل

تتزوجيني؟

- لا...

- إسمعيني زويا أوسيبوف، لم يسبق لي أن طلبت يد امرأة، ولكي

أحبك، وأنا لست فتى مراهقاً، بل رجلاً يتحمل مسؤولية كلامه. أنا
رجل أعمال ناجح، هكذا يعتقد الناس، أرجوكِ زويا أوسيبوف أن
تتزوجيني.

- لا يا سيمون، طفلاي ما يزالان صغيرين، ويعتمدان عليّ. ولا
أعتقد أنهما على استعداد لتقبل فكرة وجود رجل آخر غير والدهما...
ومن ثم، حتى أنا تعودت على حياة الوحدة.

- أعرف هذا... ولكن أرجوكِ فكري بالأمر.

- سأفعل... ولكن لا أعدك بشيء.

عند الساعة من صباح اليوم التالي، وقف سيمون أمام غرفتها بقرع
الباب ليدعوها لرؤية تمثال الحرية.

- كم الساعة الآن؟

- الساعة.

فتحت زويا الباب وهي ما تزال في ثياب النوم وشعرها متدل على
مكيب

- أسرعي لا تكوني كسولة.

ارتدت زويا معطفاً رقيقاً فوق ثياب النوم ورافقه إلى متن السفينة
لرؤية تمثال الحرية.

- منظر جميل أليس كذلك؟

- فعلاً إنه كذلك.

أحنت زويا رأسها وراحت تتذكر كلايتون. كيف دعاها إلى رؤية

مثال الحرية أيضاً، لكنه كان زوجها... إنه الرمن لا يحب على حال. لا صيف دائم ولا شتاء.

على رصيف الميناء، كان يقول لا يلوح بيديه الإثنتين لوالدته وفي عينيه نظرات شوق. ركضت زويا وضمتته إلى صدرها، فيما كان سيمون يبحث عنها فرأها مع ابنها.

«إنها الفرصة المناسبة، لا تدعها تفلت من يديك»، قالت آكسيل ومصت «إذهب إليها».

هز سيمون رأسه وتقدم من يقول «مرحباً... أنا سيمون هيرتش.. وأنت تقولين أليس كذلك؟».

ابتسم نيكي خجلاً وتساءل: كيف عرفت؟

— لأن أمك كانت تتحدث عنك.

— وأنا كذلك، كنت أحدث أصدقائي عنها.

أمسك نيكي يد أمه وهر يحدق إليها فرحاً جذلاً.

— هل أمضيت وقتاً مسلياً؟

— نعم ولكي كنت مشتاقة إليك وإلى ساشا. حدثته زويا بالروسية.

وما إن انتهت حتى غرقت في الضحك وكذلك فعل سيمون. فهو أيضاً يتكلم الروسية وأدرك يقول هذا.

— إذن... أنت أيضاً تتكلم الروسية؟

— نوعاً ما... والداي من فلاديفستوك. وأمي ما تزال متعلقة بعب

الأم...

لم يقل سيمون لكنها تكره الروس.

استقلت زويا سيارة السيدة آكسيل التي كانت بالانتظار.

— من هو هذا يا أمي؟ تسأل تقولين باللغة الروسية. وباللغة داتها ردت عليه «إنه صديق للسيدة آكسيل... وصادف وجوده معاً على الباحة».

— يبدو إنساناً لطيفاً.

— «فعلاً إنه كذلك» قالت زويا والارتياح باد عليها لما سمعت من ابنها... وعادت لتسأله عن ساشا.

— كعادتها... طلباتها لا تتوقف... إنها اليوم تريد كلباً.. وإن لم تحصل عليه، فالويل ثم الويل...

— ومن قال إننا سئفني كلباً؟

— لأن طلبات ساشا لا ترد... بل تُلتي. قال يقول بالفرنسية، الأمر الذي أضحك السيدة آكسيل.

— هكذا إذن؟

— نعم..

— ولكن... ليس في كل الأحوال.

كانت زويا تعي أن ساشا عبيدة، ومستعدة لفعل أي شيء، حتى تنال ما تريد، توقفت السيارة أمام شقة زويا فترحل يقولون أولاً، ليسبحي أمام والدته قائلاً «أهلاً بك في بيتك سيدتي».

ابتسمت آكسيل وضحكت زويا. إنها مشتاقة جداً لهذه الشقة

وقضاء الأوقات مع ولديها، لكنها مشتتات بعد الآن لسيمون الذي يبدو أنه نال إعجاب يقولوا.

- يبدو صديقك إنساناً محترماً. قال يقولوا للسيدة أكسيل.

- أعتقد ذلك. قالت أكسيل وهي تحتل النظر إلى زويا.

لم تكذب تدخل زويا الشقة، وتوضب حقائبها حتى قرع الباب. قفز قلبها من صدرها. هل هو سيمون جُنّ فأتى؟

لكنها كانت باقة ورد ضخمة مع بطاقة مكتوب عليها «لا سسي بي حدث من حمر وحبس»، وهي بحبي، البطاقة في حفصة يدها وتفتت إلى ساشا التي تبدو أنها كتب لها بطاقة مصائب، لها فؤاد، إنما لا آخر لها؛ أول ما فعلته، كان الشكوى من يقولوا.

- لم أكد أصل بعد يا ساشا، فامنحيني وقتاً للراحة.

- وهل سقتني كتباً؟

فعلاً كان يقولوا محقاً، إنها مزعجة، وحتى كل الهدايا التي حسب لها أمها من باريس، والمستان الأحمر خاصة، لم تتمكن من قليلين مواقف ساشا أو التحفيف من حدة عصبيتها. أما يقولوا فكان ينظر إلى الساعة ويتسمة عريضة على شفتيه، فتقدم من أمه وقتل يده «أهلاً بك في البيت يا أمي».

- أحبك يا ولدي.. إلتفتت إلى ساشا وأنت أيضاً يا ابنتي.

وضعت زويا ولديها إلى صدرها وراحت تعلقهما.

- ولكن ماذا عن الكلب؟

- سافكر بالأمر يا ساشا... سافكر... لم تتمكن من إكمال حديثها بسبب رنين جرس الهاتف.

رفعت زويا سماعة الهاتف فإد سيمون على الطرف الآخر، شكرته على باقة الورد، فيما ساشا مستمرة في الحديث عن الكلب وبصوت عال.

- هل اشتقت إلي؟

- نعم.

- مع... وماد عن العشاء مساءً بعد.

- وماد عن الكلب؟ وعرف زويا في نصحت، وكذلك فعل هو، فهي كانت تسمع صوت ساشا.

- ماذا؟ هل سافكر من حبه كلب؟

- فكرة رائعة.

- إذن. عند الساعة مساءً أكون هناك.

في الموعد المحدد، كان سيمون يقرع الجرس. شقة صغيرة، لكنها مرتبة جداً، تأكد أن زويا إنسانة رائعة، فازداد حبه لها وإصراره على الزواج منها.

رفقه ساشا بعين متسائلة من يكون هذا؟ سؤال يعبر عن مدى انزعاجها من وجوده.

- إنه السيد ميرتش... وهذه ابنتي ألكسندرا.

مد سيمون يده وصافح ساشا، فيما كان يقولوا يخشى أن تتصرف ساشا تصرفاً أكثر فظاظاً.

أثناء العشاء، اعتذرت زويا عن تصرف ساشا، لكنه لم يجد داعياً للاعتذار، وأضاف «ما رأيك لو نقوم غداً بعد الظهر بنزهة طويلة. نحن الأربعة».

- تقصد مع طعمي؟

- نعم.

فغداً إنك رحل شجاع ومخاطر

- حسن فقد ت

- حسناً غداً هو يوم الأحد، ولا عمل لدي.

صباح اليوم التالي، ورغم بعض عوارض ساشا، - - -
الرباعية، مزهواً بنفسه، معموراً بالسعادة، جلس يقولوا على المقعد
الأمامي إلى جانب سيمون في سيارة الكاديلاك السوداء الفخمة، ذ -
الدواليب المزينة بإطار من اللون الأبيض. فيما زويا - ومن المقعد
الخلفي - تراقب كل شيء وهي تعمر ابتها وتلاعب شعرها. -
مصمم، على كسب ود الطميين، وود ساشا خاصة.

- أترغب في القيادة أيها العتي؟

ابتسم ويقولوا ثم أغرق في الضحك. «لكني لا أجيد القيادة...».

- لا عليك... اقترُب مِنِّي وأمسك المقود.

اقترُب يقولوا من سيمون وأمسك مقود القيادة، فيما يبدأ سيمون ما
تر لا - عليه نصب أحسن ويقولوا أنه رحل، وكنا سيمون يوجهه
الإرشادات.

أدركت زويا، أن سيمون كان محقاً في اعتقاده، أن يقولوا، بحاجة
لرجل يسعره بالراحة والإطمئنان، إلى رجل يمنحه الحب والحنان،
صدقاً لا تزلفاً. حتى ساشا، صارت تترتاح لوجوده.

في برث سيمون وسسه بقرته معهم، ذا وحدهم أعدى سهديا
على ساشا، ويعمل مع يندلا، على أنه رحل، حتى، ومع لايم، صدر
وجوده معهم، سبب إحساس بالراحة النفسية. ساشا، لم تعد هي ساشا
حي كانت في سهر، - - - رفضت زويا لها ضيق، فسيمون بسسه

ذات مساء، وبعد زويا الضحك، كل من سيمون، صادق سيمون
إلى عيني زويا.

- حسناً كبر شسة، مسوف

- حسناً ماذا سيد هيرتش؟

- هل نجحت في كسب ودهما أم فشلت؟

- الخواب عندك يا سيمون.

ألقت زويا رأسها على صدره، وسمحت ليديه بملاعبة شعرها
ومداعبة جسدها.

- وعودك... يُسعد يقولوا... لقد أحدثت تغييراً مهماً في حياته،
وكذلك في حياة ساشا، إنها تحبك فعلاً... وترتاح إليك، لكنت
أسرفت في تدليلها...

- ونكر مدد عن وديتها

- ما بها والدتها؟

— أتحبني كما تحبني ابنتها؟

— وهل لديك أي شك؟ قالت زويا، وهي تقرب شفيتها من شفته.

— إذن؟... هل تقبليني زوجاً لك، يا زويا أوسيوف؟

بهفت زويا، ووقفت قبالة عيناها تحديقان به. شدها إليه، وأجلسها على حضنه وقبلها بهم وهو يردد السؤال ذاته.

— هل تقبليني زوجاً لك، يا زويا أوسيوف؟

— نعم... نعم... أقبل بك زوجاً لي يا سيمون هيرتش

عاد وشدها إلى صدره، وهو يقل شفيتها ووجنتها وعنقها ويده تلاعب ساقها، متعمداً رفع ثورتها لتكشف عن ساقها، حتى الآن لم يتمكن سيمون من ممارسة الحب معها، حتى ولم يتمكن من رؤية ساقها.

— أجادة أنت فيما تقولين؟

حتى هذه اللحظة، كان ما يزال يخشى ألا تقبل به. سمع جوابها لكنه ما يزال خائفاً؟

— نعم... نعم يا سيمون، أنا جادة فيما أقول.

ثابتة شدها إليه، ويداه تداعبان جسدها. عثر عن رغبته بممارسة الحب معها، لكنها تمكنت من إقناعه ألا يفكر بهذه الممارسة، قبل الرواح.

الفصل الثامن والثلاثون

فوجئت السيدة أكسيل بقرار زويا وتساءلت عن موقف الطفلين.

— لم يحبرهما بعد... لكنه يعاملهما بلطف ويمسحهما الحب ودائماً يصطحبهما في نزهاته، ويدعوهما إلى العشاء أحياناً.

— وهل ستركين العمل؟

— لا.. ليس سريعاً.. لقد اتفقنا على تأجيل موعد الرفاف لبضعة شهور، حتى أمكن من وضع الطفلين في الجوف، وأتعرّف إلى والديه.

دات مساء، ودون سابق إذار، جاء سيمون حاملاً باقة ضخمة من ورود الليلك الأبيض، وعلى شفته ابتسامة سحرية.

— يبدو أنك جد مسرور يا سيد هيرتش.

— ولماذا لا أكون هكذا، طالما أنت إلى جانبي، طالما أن حبيبي هي أجمل إنسانة في الكون.

وضعت زويا الورد في إناء من الكريستال، كانت قد اشترته لتستعيد بعضاً من ذكرياتها في قصر فونتاناكا.

— ورود جميلة أليس كذلك؟ شكراً.

— إنما... أجمل منك لا...

بسطف ورفق أحاط حصرها بذراعيه «دعينا نذهب إلى أي مكان... السماء صافية والطقس معتدل».

كان يعلم أن الطففين بمضيان عطلة نهاية الأسبوع خارج المنزل، إذن أمامهما يومان، السبت والأحد، فمادام لا يستمتعان بالحياة معاً؟
- فكرة جيدة...

خرجت من غرفة الخموس، باتجاه غرفة النوم والابتسام على شفيتها. فيما أحد هو ينظر إلى صور عائلة رومانوف، وصور عائلتها هي، وخاصة صورها مع بنات القيصرة؛ وكذلك إلى صور نيقولا وساشا، وفيما هو كذلك، وقعت أمامه ترتدي فستاناً أبيض وسترة زرقاء بلون مياه البحر؛ لم تسمح له أن يدي إعجابه. لأنها بادرته بالسؤال «إلام كنت تحديق؟».

- كنت أحديق إلى الصور، وصورة نيقولا خاصة، أعتقد أنه يشبه والده؟

- نوعاً ما، لكنه يشبه والدي أيضاً.

مدت يدها وتناولت إطاراً فضياً يضم صورة والدها وإلى جانبه صورة أحيها نيقولا «كذلك يشبه حاله».

- إنها عائلة مميرة، أرستقراطية.

علت وجه زويا مسحة حزن «رحمهم الله... كثيراً ما أفكر أن على المرء أن يحيا حاضره وينسى ماضيه، وبخاصة إذا كان يعص بالأحران والمآسي... إنه أمر صعب... يستحيل عليّ سياتهم».

أدرك سيمون أن عليه مساعدتها على الخروج من ماضيها، ولن

يكون هذا، إلا بانتظار استعدادها الكلي لتبدأ حياة جديدة، ومع إنسان جديد....

- دعينا من كل هذا الآن... هيا بنا.... وتابع حديثاً أثناء الرحلة.

- لا مانع عدي... أنا مستعدة... ولكن إلى أين سنذهب؟

- إلى مكان ما... لن أقول لك إلى أين.

- وهل يعني هذا، أنك تحتطسي يا سيد هيرنش؟

جلست إلى جانبه وعيها مشرقتان، إنها ذاهبة مرتاحة الصمير، فالظلمان لن يعودا قبل مساء العدم. إذن فتشرف من السعادة بقدر ما استطاع.

- أتعرفين؟ الاختطاف فكرة جيدة... ولكن كان عليّ أن أقوم بها في باريس وليس هنا...

- يبدو أنك متجه نحو كنتاكي... أليس كذلك؟

- بلى.

كان يقود سيارته ويحدثها عن أمنائه وأحلامه، عن مجموعة أزيائه لعصل الخريف، عن مدى إعجابه باللوحات الإبطباعية عن الحياة والمستقبل. وهي بدورها، حدثته عن اللوحات التي كانت تزين جدران قصر فونتانكا «لكن الأشياء فقدت قيمتها عدي... لقد سبق لي وأوليت اهتمامي لأشياء كثيرة، إنما بعد الذي أصابني، بعد أن اضطررت إلى بيع كل شيء، حتى مجوهراتي وثيابي لسداد الديون. لم أعد أفكر بشيء... طعلاي فقط هما ما يعتنيانني...».

المشوار طويل والحديث أطول، وكلما مرت دقيقة أحست زويا

بالمريد من السعادة، أحست أنها لم تعد قادرة على الابتعاد عنه ولو لساعة واحدة. أحنت رأسها على صدره وأغمضت عينيها، وكأنها تحاول ألا ترى شيئاً إلاه، وألا تشعر بأحد سواه.

- أمتعة أنت؟

- لا... بل جد سعيدة.

- قاربنا الوصول.

- إلى أين؟

...

ضحكت دون أن ترفع رأسها عن صدره. وما هي إلا نصف ساعة حتى توقف سيمون أمام منزل صغير مبني على الطراز الإنكليزي، مسور بشجر السرو والجور وبينها جميع أنواع الورود المتعددة الألوان، تشدهم يدوح، غصنات خضراء، على حصى وردي ووردية. وقفت زويا أمام المنزل مذهلة لجمال ما ترى.

- منزل من هذا يا سيمون؟

- بودي لو أقول منزلي... إنه منزل سيدة إنكليزية عجوز، حولته إلى فندق صغير، يوفر أجرة زيوته بأسهى أشكال للرجال سألني ما أتيت إلى هنا؟ هرباً من صخب نيويورك وزحمتها، هرباً من جنون المتهاون على تكديس الأموال وريادة الأرباح. سبق لي وأتيت إلى هنا، طلباً لذاتي وإراحة لذهني قبل جسدي، أتيت رغبة بالاختلاء مع روحي.

لكنه لم يقل، إنه اتصل بالسيدة ويتمان قبل مجيئه اليوم إلى هنا بعينه أنه آتٍ وليس وحيداً.

ما إن وطئت قدم زويا أرض غرفة الاستقبال حتى أحست أنها تدخل مكيفات الدفء. مقاعد منجدة بقماش قطني مزركش وطاولات موزعة بشكل يسمح للزوار، لا أن يتناولوا أطيب المأكول أو يشربوا الشاي الإنكليزي باكواب فضية، بل، يتمتعون عيونهم بمناظر طبيعية لا أروع منها ولا أجمل، وأن يتشقوا عبر الورود والأرهار.

- كم هو رائع أن أراك مجدداً سيد هيرتش. قالت السيدة ويتمان وهي تشد على يده مرحلة به وبزويا التي قدمها لها على أنها خطيئة - ما هذه الأخبار السارة؟

ضحك الثلاثة، فيما كانت السيدة ويتمان تعد الشاي لصيفيها وتحقق، في الوقت ذاته، بزويا. فعلاً إنه إنسان محظوظ... إنها إنسانة، عدا عن أنها جميلة ورقيقة، فهي من سليلة عائلة أرستقراطية. واحتفاءً بالمناسبة، قدمت لهما قنينة بيذ فاخر صنع 1923، الذي يفصله سيمون. أدركت زويا، أن وجودها هنا، ليس مصادفة، بل مخطط له مسبقاً.

ما إن أخذت الشمس تميل إلى الغروب، حتى أمسكت السيدة ويتمان كأسها، وتركت ضيفيها لوحدهما، بعد أن رمقت سيمون بطاقة حيثة؛ أخذ سيمون يحدثها عن هذا الفندق الصغير وفحامة أثاثه، في الأعلى غرفتا نوم، في كل غرفة سرير من الطراز الفيكتوري، ومقعد وثير ومرآة مرصعة بالفضة معلقة على الحائط إضافة إلى غرفة استحمام مع مغطس كبير.

- تعالي والقي نظرة.

ترددت زويا بالإجابة ولكن... إذا لاحظت السيدة ويتمان ذلك؟

كانت زويا، تتساءل عن المكان الذي ذهبت إليه السيدة العجوز،
وتتساءل أيضاً لماذا تركتهما وحيدتين؟ أين اختفت ولماذا؟
- لا تكوني حمقاء. أنا أعرف هذا المكان، كما أعرف منزلي.

أمسك يدها وقادها إلى الطابق الأعلى عبر درج لولبي ومن ثم إلى
غرف النوم. ابتسمت زويا، واندهشت لجمال مفروشاتها، كانت
الأنوار المتدلية من السقف تنقي عني الأسرة، شعاعاً متعدد الألوان،
وعلى الطاولات باقات ورد أبيض، وبدا واضحاً أن الأسرة مهيأة
لاستقبال زبائن، ولكن لا أحد غيرهما هنا. حاولت الخروج والعودة
إلى الطابق السفلي، إلا أنه أخذها بين ذراعيه وشدها إليه وراح يقبها
على شفيتها وعنقه، فيما يدها تداعبان جسدها، ومن ثم ألقاها على
السريр، وهو يحاول تعرية صدرها، فيما هي تحاول الإفلات منه.

- ما بك سيمون، سفسد ترتيب الأسرة، وقد تزعج السيدة
ويتمان... أرجوك توقف.

- هذا ما أتمناه...

- أرجوك سيمون دعني أعود إلى الطابق الأسفل.

- لن أسمع لك.

- يبدو أنك ثمل.

- لا لست كذلك... ولكن هل تذكرين ما قنته لي هذا الصباح؟

- عما تتكلم؟

- حين سألتني عما إذا كنت أختطفك. فاعتبري نفسك محطوفة
ليومين. اليوم وغداً.

- أجاد أنت فيما تقول؟ ستمضي الليل هنا؟

- نعم... أنت وأنا... لقد سمحت لنفسي أن أفعل هذا... أنا
أحبك... أحبك...

- أعرف ذلك يا سيمون وأنا كذلك.

ارتقت على السرير إلى جانبه وأحاطته بذراعيها وراحت تقبل شفته
وعنقه «ولكن لماذا لم تحبرني بذلك. كنت...»

مد يده ووضعها على فمها فأسكتها، ونهض من مكانه وخرج وهو
يقول «بقي هنا لا تتحركي».

لحظات قليلة وعاد يحمل يده حقيبة، تصم كل شيء، قد تحتاجه
زويا لقضاء هذه الليلة، فرشاة أسنان، معجون أسنان، أحمر شفاه،
صابون الاستحمام، زجاجات العطر، وما شابه، إنما الأهم. هو الثياب
الداخية وردائين لسوم، ردائين مغريين.

- سيمون، ماذا ستقول السيدة ويتمان. فهي تعرف أننا غير
متزوجين؟

- ماذا بمقدورها أن تقول؟ لكل ما غرقت.

كان هو يتكلم، وهي مدفوعة بالخشيرة لمعرفة ما في هذه الحقيبة
فتقدمت منها وفتحتها. كادت أن تصاب بنوبة إغماء «سيمون... ألم
تس شيء؟»

- أتمنى ذلك.

عند التاسعة ليلاً تركته وقصدت غرفتها. كان مستلقياً على سريره
والشار تلتهم جسده، وهو يصغي لصوت الماء ينهمر في غرفة

الإستحمام، ويتحيل ذاك الجسد، لقد خطط لكل شيء، وها هي خطته تسير كما رسم . بعد أن سكت صوت الماء... بدقائق، قصد غرفتها، برفق قرع بابها... لم تردد في فتح الباب، رغم أنها ترتدي قميص نوم، لا يصلح إلا لليلة الزفاف. قميص نوم قصير من الساتان العاجي اللون، ساقان أشبه بعامودي مرمر، نهذان بارزان وشعر متدل على كتفين شبه عاريين.

- يا إلهي ما هذا الجمال؟ قال دون أن يحاول الدخول. لم يكن راغباً في إجبارها على فعل شيء لا ترغب هي فيه.
- روبا...

ابتسمت، وهي تنظر إليه حياءً، وإلى جسدها حيناً آخر، وإلى وجهه المشع نوراً، وشفثيه المرتعشتين.
- هل ستبقى واقفاً مكانك؟... لماذا لا تدخل؟

أسرع وأخذها بين ذراعيه، دون أن يدري كيف يتصرف، إنها أشبه بآلهة الحب عند اليونانيين، ويداه تعريانها شيئاً فشيئاً وهي بدورها تحب ثيابه قطعة قطعة.

كما خلقتني يا رب، وقفاً وجهاً لوجه. سيمون لا يدري أين ينظر، إلى كتفين، إلى الصدر، إلى ساقين؟ إلى أردافين؟ إنها تخف في قلب أماته.

منذ زمن لم أعرف على هذا الإحساس، على هذه الرغبة بممارسة الحب. أتذكر الآن، وقفتي الأولى أمام كلايتون، ولكن، يومها كنت طفلة، كنت مدفوعة بقوة الجنس، أما الآن، فأنا مدفوعة بدافع الحب.

حملها على ذراعيه، وبحركة من رجه أعلق الباب، ثم وضعها على السرير وتمدد إلى جانبها، كل يداعب جسده الآخر ويتبدلان القبل. التصق الجسدان حتى أصبحا جسداً واحداً، لا هي راغبة بالابتعاد عنه ولا هو.

بعد ساعات، غرقا في النوم على سرير واحد، دون اهتمام بارتداء أي قطعة ثياب.

- أنعتقد أننا ارتكبنا خطيئة يا سيمون؟
- لا... تصرفنا كعروسين في ليلتهما الأولى. هذا هو شعوري.
- وأنا كذلك، هكذا شعرت. كنت رائعاً يا سيمون.
- أبا؟ وماذا عليك إذن؟

الفصل التاسع والثلاثون

كان لتلك الليلة في فندق السيدة وبتمان، أثر كبير على حياتهما. أصبحا غير قادرين على الإقتراق. و يوماً بعد يوم، كثرت زويا تخشى لحظة تعرفها على عائلة سيمون، وعلى أمه خاصة.

بعد أسبوعين بتمامه، على نيت سيمون وبعد مرور يوم جمعة تخديداً، كان يسرهما معاً، حين نادىها سيمون «الحبيبة مساوون الحشاء مع عائلتي».

تسمرت زويا مكببة، «تكن ددرة». لا على الحركة، ولا التعمه بأي كلمة. لقد جاءت الساعة التي تحبها.

«هكذا؟ لماذا؟» سحرني مسفاً. كنت هذات نفسي بشهد لبقاء

«لا تكوي حمفاً، فهذا لنفسي سبباً، بل أنا بك يوم بعداً».

«أحزم أنها سترميني خارجاً... كان الله بعوفي».

كانت زويا محقة في تحوفاها، إذا ما إن دخلت المنزل، حتى رمتها والدته بنظرة استغراب.

رويا اندروز؟ أي نوع من الأسماء هذا؟ هل أنت روسية الأصل؟ قالت هذا، لأن اسم زويا لا يعرفه أحد إلا الروس.

- لا... سيدة هيرتش... أنا روسية.

- أنت روسية؟ قالت بلهجة العامة عند الروس، التي طالما سمعتها روس آدم صفولتها، وبكرت أن تضعه في روس سكره... سوب شعري مميز، وأدركت أن السيدة هيرتش ستلاحظ ذلك.

- نعم، أنا روسية. صممت زويا على مواجهة الموقف، لأنها مدركة كل الإدراك، أن لا شيء، ولا أحد، بمقدوره الحؤول دون زواجها من سيمون.

- ومن أين في روسيا.

- من سان بطرسبورغ.

- سان بطرسبورغ؟... ساورت الطنون رأس صوفيا والدة سيمون، فتابعته التساؤل «ما اسم عائلتك؟».

لأول مرة، تشعر زويا بالسعادة، لأنها لا تنتمي إلى عائلة رومانوف. لكن اسم عائلتها معروف أيضاً.

- أوسيفوف... زويا قسطنطينوفا أوسيفوف.

تدخل سيمون، داعياً زويا إلى الجلوس «هكذا... متيقان واقفتين... تعالا واجلسا وتابعا حديثكما».

- ومتى جئت إلى هنا؟

- بعد إنتهاء الحرب، ولكنني أتيت أولاً إلى باريس عام 1917، أي بعد الثورة.

- يعني خرجت من روسيا مطرودة... لقد بفك الثوار.

- يمكنك قول ذلك... لقد تركت روسيا برفقة جدتي... وبعد مقتل عائلتي.

- وهذا ما أصاب عائلتي أيضاً... قتل جميع أفراد عائلتي في المذبحة التي ارتكبتها حراس القيصر القوزاق.

- أنا جد آسعة سيدة هيرتش.

تدخل والد هيرتش، طالباً من زوجته الاهتمام بإعداد الطعام في المطبخ مهيئاً لوضعه على الطاولة، حيث الشموع المضاءة.

بعد تلاوة صلاة السبت، راحت السيدة هيرتش تتحدث عن الطعام اليهودي والعادات اليهودية ثم التفتت إلى ابها «إنه شاب وسيم، كان يفترض به أن يكون حاخاماً، ولكن... اهتم بالأعمال التجارية، متأسياً ذلك الحلم الذي كان يراودني».

تأكدت زويا، أنها مقدمة على الزواج من رجل يهودي ينتمي إلى عائلة جد متدينة، في حين، لا تعرف هي، عن اليهودية شيئاً. ولا تعرف عما إذا كان هو متديناً كوالدته.

بعد الانتهاء من تناول العشاء جاء دور السؤال الأصعب والأحرج «والدك؟ ما كانت وظيفته؟».

- أبي كان ضابطاً في الجيش.

- في فوج القوزاق؟ تساءلت السيدة هيرتش بأسلوب استغراب واستهجان.

- لا يا أمي... لا. أجاب سيمون مدركاً مدى حرجة موقف زويا، التي كان عليها إثبات صحة ما قاله سيمون.

- زويا كوثيسة يا أمي... صدقيني إنها إنسانة متواضعة جداً، ولهذا لا تذكر اللقب أبداً، إلا فيما ندر.

- كوثيسة؟ كوثيسة؟

- لا... كنت كوثيسة، أما الآن، وبعد تسعة عشر عام على اندلاع الثورة، لم أعد كذلك، أنا الآن إنسانة عادية... جد عادية.

خيّم صمحت رهيب عني الجميع؛ قطعه سيمون «عيبها الوحيد أنها ليست يهودية، إن كنت تعتبرين هذا عيباً يا أمي».

تقدمت صوفيا من ابنها متسائلة همساً «ولكن أيمكنها أن تصبح يهودية؟».

انفجرت أسارير سيمون، أدرك أنها أعجبت بها لكنه بالوقت ذاته، كان يرفض أن يفرض عيها تغيير دينها وأحب أن يكون واضحاً في ذلك «لا أعتقد أن هذا أمر ضروري يا أمي... وإن قبت هي، فلن أقبل أن».

التفتت صوفيا نحو زويا والابتسامة على شفتيها.

- أحرني سيمون أنت أم.

- نعم.. أنا أم لطفلين.

- هل أنت مطلقّة؟

- لا... لست مطلقّة... توفي زوجي بنوبة قلبية. كان ذلك، منذ

سبع سنين.

- إنه لأمر مؤسف، وكم تبالغ أعمار طفليّك؟

- نيقولا في الخامسة عشر، أما ألكسندرا فهي في الحادية عشر.

بدا واضحاً أن صوفيا ارتاحت لزويا. وجدتها صادقة وأماً صالحة تهتم بتربية طفليها. أما سيمون، فقد أحب إنقاذ زويا، فحرر عن ضرورة عودة زويا إلى المنزل، لأن طفليها في انتظارها.

- كان لقاء ممتعاً. قالت السيدة صوفيا، «أتمنى أن يتكرر اللقاء».

ابتسمت زويا، وهي تصافحها مودعة، وشكرتها على حسن ضيافتها باللهجة الروسية الأرستقراطية.

بدأيّد، خرج سيمون وزويا، متجهين نحو الكاديلاك المركونة أمام مدخل المنزل.

- أنا جد آسف يا زويا، وضعتك في موقف حرج. قال سيمون وهو يقود السيارة على طريق العودة.

- لا يا سيمون... أحمد الله أنك لست مضطراً لمواجهة والدتي، إذ لكنت واجهت موقفاً أكثر حرجاً من الموقف الذي كنت فيه.

- ما كنت أعتقد أنها ستنهال عليك بالأسئلة... لن أفعل ذلك ثانية.

- لا... بل عليك أن تفعل. كنت خائفة أن تسألني عن القيصر، وثق أنني كنت سأقول لها كل الحقيقة... ولو حصل ذلك، لكنت أصيبت بنوبة قلبية.

- معك الحق، كل الحق...

- أنا متأكدة أنها كانت منظر دني.

- لا يمكنها فعل ذلك. إنها إنسانة متمسطة، وبالوقت ذاته

حنونة جداً. على فكرة هي تعد أطيب حساء دجاج في العالم.

— سأطلب منها أن تعلمني كيف تعدها.

— لا تفكري بشيء من هذا القليل سيده أندروز أو تفضلين أن
أأديك كونتيسة أوسيبوف؟

— ما رأيك لو ناديتني زويا هيرتش؟ أليس هذا أفضل؟

الفصل الأربعون

دات مساء، رأت ماشا سيمون يقبل والدتها في المطبخ. رمقتها
بنظرة احتقار، ودخلت غرفتها، رافضة الخروج منها، حتى ما بعد
العشاء، حين وقف نيقولا، أمام باب غرفتها، مهدداً بخلعه إن لم تخرج
وتنصم إليهم.

— ما بكِ تنصرفين بهذه العدائية... عليكِ الاعتذار منهما ومن
والدتكِ خاصة.

— لن أفعل ذلك... رأيتُه يقبلها...

— إنها تحه.

— إنما لا يحق لها تقيله... إنه تصرف مثير للإشمئزاز.

— أنتِ التي تثيرين الإشمئزاز... إدهبي واعتذري منهما. رصحت
ساشا لطلب شقيقها، وانضمت إلى الجميع في غرفة الجلوس، دون أن
تعذر، أو تيدي أي ندم على تصرفها.

بعد معادرة سيمون، اقتربت زويا من ابنتها. قلت جيبها ولاعبت
شعرها، وهي تنظر إليها متسمة.

— ساشا... أنا أحبه.

شرعت ساشا في البكاء والحجب «ولكن ماذا عن أبي؟ أما تحببته؟»
 - لا شك في ذلك، ولكن أين هو والدك الآن؟ لقد رحل... منذ
 زمن لم يعد موجوداً بيننا... إنه ميت يا صغيرتي، ونحن الآن بحاجة لمن
 يحبنا ويعتني بنا... وسيمون يحبنا جميعاً، يحبني ويحبك ويحب
 نيقولا.

- وأما أحبه أيضاً، قال نيقولا متدخللاً «هل تنويان الزواج؟»

- نعم يا بني.

أصبحت ساشا بنوبة جنون «إني أكرهك... فأنت تدمرين حياتي».

- لماذا تقولين هذا يا ابنتي؟ أما تحببته؟ إنه رجل طيب، ومستعد لفعل
 أي شيء من أجل أن نكون سعداء.

حاولت زويا أن تضم ابتها إلى صدرها، لتشعرها بحب الأم.
 وحانها، لكن ساشا بعدت عنها وهي برعن «أكرهكم معاً... كسب
 ساشا تلتذذ بتعذيب والدتها.

- إعدري ولا سأصغعت. قال نيقولا وهو يرفع يده

- توقفنا عن هذا الشجار... قالت زويا... فالصراخ لا يحل
 المشاكل، بل التهاهم.

- ومتى ستتزوجان؟ تساءلت ساشا، بعد أن مسحت الدموع عن
 حديها.

- حتى الآن... لا ندري...

- ولماذا لا تتزوجان مع بداية الصيف؟ هكذا تخضي الصيف

معاً... إقترح نيقولا، وعياه ترمقان شقيقته ليتفحص ردة فعلها...

راقت الفكرة لزويا، وهي لا شك فكرة ستسعد سيمون.

- لكفي لن أرافقكم إلى أي مكان، قالت ساشا.

- بلى متفعلين، وإلا وضعنك في حقيبة سفر، وهكذا لن نكون
 مضطرين للإصغاء إلى انتقاداتك أو طلباتك.

- أكرهك أنت أيضاً... لن أذهب إلى أي مكان معكم.

- اتعرفين يا ساشا؟ إنك إنسانة غيورة، تعارين من أمي...

- حسرتي... حسرتي...

حسرتي... حسرتي...

كاد أن يغمي على زويا... بها... بها... حسرتي... حسرتي...
 طفلها، وفي الوقت ذاته تحب سيمون، وغير قادرة على العيش بدونها.
 وهكذا، أمضت ليلها قنقة مضطربة.

- فكرة حسنة... قال سيمون معلقاً على اقتراح نيقولا، إنه يعني
 مدى أهمية ساشا عند زويا، وفي الوقت ذاته يدرك أنه من الممكن تهدئة
 ساشا من خلال تلبية طلباتها، التي لا حصر لها، من ثياب جديدة، إلى
 ألعاب... إلى... إلى... إلى.

- لماذا لا تتزوج خلال شهر مموز، ويذهب إلى صين فاليه برفقة
 الأولاد؟

- أما يزعمجك وجودهما معنا أثناء شهر العسل؟

- بالطبع لا... ولكن ماذا عنك أنت؟

– وتساألي؟

– إذن ما رأيك يوم الثاني عشر من تموز إنه يوم أحد. مديده وأحاط
حصرها. شعرت بسعادة، افتقدتها منذ زمن طويل.

– ولكن ماذا عن والدتك؟

– ستركها مع ساشا، إنهما متشابهتان.

الفصل الحادي والأربعون

يوم الثاني عشر من تموز عام 1936، وفي حديقة منزل السيدة
أكسيل، أعلن القاضي، سيمون هيرتش وزويا أندروز زوجاً وزوجة،
بحضور عدد قليل جداً من الأهل والأصدقاء، وغياب السيدة صوفيا
هيرتش، جنحاً على عدم عقد روي لديه ليهودية، يقولوا، كان
يقف إلى جانب والدته، وقفة رجل، أما ساشا فقد حضرت مكرهة.

بعد أربعة بعد الظهر سبى حفل لروح وعدد الأربعة، سيمون،
زويا، ساشا ويقولوا، إلى شقة زويا، استعداداً لقيام العروسين برحلة
شهر نعل إلى صين وبنه برفقه نظمين شديدين أعاد سيمون بالهدايا
عليهما، حتى أن ساشا اضطرت للتعبير عن فرحتها، ليس بسبب
الهدايا فقط، بل بسبب سرورها في تلك الرحلة من بنسلفانيا إلى
نيكادو على متن قطار السريع، حيث برل الجميع في فندق ثلاث
ستون. في هذه البلية، أدركت زويا، مدى أهمية العمر في إضفاء
الحيوية على العلاقة الجسدية وممارسة الحب. إنها المرة الثانية التي تمارس
الحب مع سيمون. الأولى كانت في متحف السيدة وثمان، لكنها
أحست، وكأنها ما تزال في العشرين من عمرها، لقد عرف سيمون،
كيف يتعامل مع جسدها، وكيف يشبعه.

ثلاثة أشهر فقط مرت على لقائهما الأول، ثلاثة أشهر، غرت مجرى

حياة زويا، وحياة عائلتها، شعرت وكأنها تحب سيمون منذ زمن طويل. كان سيمون، يصطحب الطفلين يومياً للسباحة وتعليمهما صيد السمك.

بعد شهرين، قرر الزوجان الانتقال إلى شقة جديدة، أكثر إتساعاً وإراحة. فكان ليقولا غرفته الخاصة، المجهرة بكل ما يسهه، وما تحاه، أما ساشا، فقد أصرّت أن تظلي جدران غرفتها، باللون الأرجواني.

– لكّ ما تريد يا صغيرتي، أنا كذلك، كانت جدران غرفتي في فونتانكا باللون الأرجواني.

واستعلت زويا المناسبة لتحدث طفلها عن شيء من ماضيها في سان بطرسبورغ وتساو سكوي سيلو.

دات بعد ظهر، خرج رجلا العائلة، سيمون ونيقولا، للتنزه في شوارع نيويورك، كان نيقولا، يُسرّ جدّاهن يسمح له سيمون الإمساك بمقود الكاديلاك.

– «أنظري ماما...» قال نيقولا وهو يدخل الشقة بعد عودتهما «إنه يشبه سافا»، تعجبت زويا لرؤية الكلب الصغير بين يديه، لكن ساشا، وكعادتها، أصرّت على أنها تريد كلباً روسياً، كذاك الذي يستعمل في مطاردة الفرائس. وفي الوقت ذاته، كانت ساشا، تمضي معظم أوقات فراغها في غرفتها. تسلي بالعبابها الكثيرة والمتنوعة.

– ماذا عسانا نفعل بالغرفة التي ما تزال فارغة؟

– إنها للضيف الحديد، إنها غرفة مولودنا الأول.

ضحكت زويا وهي تهز رأسها.

– سيمون...؟ لا شك أنك ممزح... أنا لم أعد بعمر يسمح لي بالإيجاب... أنا في السابعة والثلاثين، وعندي طفلان، بعد سنوات قليلة قد أصبح جدّة.

أحاط خصرها بيده، وقادها نحو السرير، حيث تمثداً جيباً إلى جنب، يتحدثان، يتبادلان النكات والضحكات والقبل الحارة. تذكرت كلايتون، لكن حياتها اليوم، تختلف كلياً عن حياتهما السابقة. إنها وسيمون، يتقاسمان الأفكار والتطلعات ذاتها والأصدقاء أنفسهم. إنهما متقاربان في العمر ومدركان مدى أهمية الرباط الزوجي. ولا تذكر أن كلايتون أنقذها من الجوع والفقر في باريس، وانتشلها من وحدتها وحزنها وبأسها حين تزوجها عام 1919، وأتى بها إلى هنا... إلى نيويورك.

أحت رأسها ووضعت على صدره، لا طبياً للحماية، كما كانت تفعل مع كلايتون، بل تعبيراً عن حب ورغبة في الدوبان بين يديه. إنه يشركه في كل أمر رت شعفه بحدثهما معاً ولا يحرص عنيها رياء، وإن كان طلب منها، التوقف عن العمل في متجر أكسيل، فلم يطلب ذلك، لا رعه منه أن تنزع ثملها ولولدهما الندي هما ليسا وليه، لكنه لا يعاملهما إلا معاملة الأب لبيه.

– والآن كيف سامضي ساعات النهار بلا عمل؟ تساءلت زويا، وهي تجلس على كرسيها خلف مكتبها الخشبي الفخم في متجر السيدة أكسيل، «نعم... لا شك سأشعر بالملل والضجر...».

لو كان القرار يعود لها، لما كانت زويا وافقت على ترك عملها مع السيدة أكسيل، لكن سيمون، تمكن من إقناعها، رغم هذا، فهي غير

قادرة على تصور نفسها أن لا تأتي يوماً إلى هنا... ولو ليضع ساعات.
- أتعرفين سيدة أكسيل؟ إنك تتكلمين كسيمون... هو أيضاً
يطالني بالإحباب.

- إنه محق...

- ولكنني لست قادرة على البقاء في المنزل... هكذا... كأمرأة
عجوز.

- لا أعتقد ذلك...

وانهمرت الدموع من عيني السيدة أكسيل وهي تمد يدها مودعة
زويا التي حضر سيمون لاصطحابها إلى المنزل.
- إعتن بها يا سيد هيرتش... إنها امرأة نادرة.

صحت سيمون وهو صافح السيدة أكسيل التي كانت تسب في
تأجيل علاقة حب، به وبين روبا «عندما أنه عيب وضع حواجز من
الشريط الشائك أمام محلاتك، لمحوّل دون عودتها إلى... من لا
وصعد، عنها اكتشف عدم آخر، غير عدم الاراء، والساء، والرحل
وعشيقاتهم».

يوماً بعد يوم، تكشف لزويا، أن المل بدأ يتسرب إلى يومياتها؛ رغم
أنها تزور أكسيل أحياناً والسعدت، ورغم أنها تكفّت إلتصاف
إلى المدرسة وإعادتها إلى المنزل، ورغم أنها تعودت زيارة المتاحف،
وزيارة سيمون في مكتبه من حين لآخر، وإبداء الرأي في تصاميم
المعاطف بشقيها الرجالي والسائي.

- سيمون... حتم أبقى هكذا؟ ما رأيك لو أعود إلى العمل في
متجر السيدة أكسيل؟
- ولكن لماذا لا تفكرين بشيء جديد؟

وبماذا متفكر؟ فهي لا تجيد إلا الرقص وبيع الألبسة!!! غرقت في
الضحك وهي واقفة أمامه في غرفة النوم عارية الساقين، كما يحب، أن
تكون، حين يكونا وحيدين، إنها ما تزال جميلة، ولا أحد يصدق أنها
أم لابن في الخامسة عشر من عمره. كان ينظر إليها بعينين شهوريتين،
كان ما يحب يشده إليها، يثيره، يشعره بالحياة والسعادة.

- **المراة صحتين هكذا؟**

- لا شيء، تذكرت، يوم كنت أعمل رفقة عارية وكيف كان
الناس ينظرون إلى ساقبي العاريتين، وتخيلتك واحداً منهم.

- أنا...؟ أنا لا أحب رؤيتك تهزين ردفيك. وضحك هو أيضاً،
تحببها كيف كنت برقص في ذلك المنهى، لكنه شيء على ما فعلته، به
بالعمل إنسانة قادرة على مواجهة التحديات، تتحمل المسؤوليات؛
ونسى ما تعرف إليها، من ذلك الرمن لك ترو حبي وحل دون عملها
كراقصة. وأنقذها من حياة العوز. أما اليوم، فهي ليست بحاجة لأحد،
لقد تمكنت من إبتداع حبه طفيفه، مثلاً، ما رلى حتى ليوم يسكن
في قرية الأكواخ على ضفة نهر هدسون، ومنهن من احترق البقاء،
اقترب منها، وهو يقدم لها كأس النبيذ المعتق.

- ولكن، لماذا لا تفتحين متجراً خاصاً بك؟

- مثل أكسيل؟... لا... لن يكون عملاً لائقاً.

- إذن... -

- إذن ماذا؟ -

- إفعلي شيئاً مغايراً... ألبسة للأطفال مثلاً، أحذية، حقائب... ومن ثم معظم زبائن السيدة أكسيل، يدهين إلى باريس، لشراء بعض المصاتين والمعاطف... بمكثك بيع المعاطف التي تتجها مصانعي.

- فكرة رائعة... ولكن... من أين لي رأس المال؟

لم تكن زويا تعرف شيئاً عن ثروة سيمون، كل ما تعرفه أنه معيل لها ولطفليها ووالديه وأعمامه، ولا شك إن هذا يستوجب مبالغ طائلة.

- إرندي ثوبك... -

تعجبت زويا لما يطلب، فهو من طلب أن تُعرّي ساقبها حين يكونان وحيدين فما به اليوم؟

- لتتكم جدياً... فلما التحدث في المشاريع، وإما الاستغراق في التمتع بالنظر إليش...

- سيمون... ماذا عن الرأسمال؟

- لا عليك... أنت حتى الآن، لا تعرفين شيئاً عن ثروتي، إنما ثقي إني أملك ما يكفي ويزيد.

وراح سيمون يحدثها عن مشاريعه التي يديرها، وعن مؤسساته وأمواله، وهي تنظر إليه مندهشة لما تسمع، حتى أنها تكاد لا تصدق ما يقول.

- أجدني أنت فيما تقول؟ ولكن ماذا عن والديك؟

ضحك ملء شديقه. «أمي لن تعادر هذه الشقة التي تقيم فيها مع والدي إلا لسبب واحد لا ثاني له.. هو الموت. على عكس أبي تماماً».

- لم أكن أتوقع أنك رجل ناجح بهذا القدر. أعرف أنك ناجح في أعمالك.

- لا تكثرني للمال يا عزيزتي. فأنا أمتلك معامل النسيج في جورجيا، حيث اليد العاملة الرخيصة، إضافة إلى معامل الخياطة وشركات متنوعة. دون ولا تحمي، ونسألك عن عكس قد يكون لبعض الذي ستقومين به، تأثير إيجابي جداً على زيادة الأرباح...

- هل يعني هذا، أنك ستتمدني بالمال اللازم؟

- نعم... وبلا أي شك، أو تردد... أعرف أنك مطلعة كلياً على كل شيء، فأنت ستبحري في إعطيتك المصانع، أذكرين يوم لتفيا في باريس، كنت من يحترن مجموعات الساتنة، أما لسيدة أكسيل فكانت توافق على ما تريهه مناسباً دون تردد.

- وكيف سأبدأ؟

- في البدء، عليك البحث عن الموقع المناسب، ومن ثم نذهب إلى باريس لشراء ما يجب شراؤه.

توقف عن الكلام وراح يحكك جبينه. «إسمعي، نحن الآن في بداية العام، وإذا سار كل شيء كما تشتهين فيمكنك دعوة صديقاتك وزبائنك المرتقبين لحضور حفل الافتتاح، قبل موسم الخريف، أي في الأسبوع الأول من أيلول».

- تسعة أشهر فترة كافية جداً.

- نعم... سأطلب من أحد أصدقائي إيجاد المكان المناسب.

- أحقاً ما تقول؟

- نعم وبجدية أيضاً... دعينا نبدأ... وبعد عام نرى نتيجة ما قمنا به. إن نجحنا نستمر، وإن فشلنا، فلا بأس... فتوقف...

لم يعد لزويا حديث، سوى الحديث عن مشروعها الجديد، وليلة الميلاد، اصطحبها سيمون لحضور القداس في الكنيسة الروسية، حيث التقت الأمير أبولولسكي، فقدمت له زوجها الثاني سيمون.

- كيف لم تتزوجيه؟ تساءل سيمون، وهو يقود سيارته الكاديلاك في طريق العودة إلى المنزل.

- لم يكن مهتماً بي... إنه يفضل الأميركيات على الروسيات.

- إنه إنسان معمل...

في اليوم التالي، كانت زويا تناول طعام الغداء مع السيدة أكسيل، وأخبرتها عما تنوي فعله لكنها تحشى من تأثيره على سير العمل في متجرها. لكن السيدة أكسيل، شجعتها.

«إن المنافسة عمل مشروع... ها هو شاييل ينافس كريستيان ديور، وبالرغم من هذا فهما صديقان... فإياك أن تراجعني».

وبعد أيام، ذهبت برفقة سيمون لإلقاء نظرة على بناية لا تبعد كثيراً عن محللات السيدة أكسيل. كان هناك طابقان معروضين للإيجار.

- لا أعتقد أننا بحاجة لأكثر من طابق قالت زويا.

- على العكس، أرى أننا بحاجة للإثنين معاً. الطريق الأول للأكيسة النسائية، والثاني للأكيسة الرجالية.

- هذا يعني أننا سندفع بدل إيجار مرتفعاً.

نظر سيمون إلى المالك متسائلاً عما إذا كان يرغب ببيع البناية المولفة من خمسة طوابق. لأنه في هذا الحال، وبناءً لحسابات أجراها في ذهنه، يكون أوفر.

- زويا، اشتري المبنى بكامله.

- ماذا؟ وماذا أفعل بالطوابق الثلاثة الأخرى؟

- نؤجرها.. وإن نجحنا في أعمالنا، نتمدد سنة بعد سنة، وهكذا نشغل الطوابق الخمسة.

- أجمعون أمث؟

كانت زويا، تعيش لحظات هي أشبه بالأحلام؛ ولا تدري إن كانت أحلام بعينها أم أحلام يوم... ما تسمعه لا يصدق، لكنه حقيقة واقعة جاءت لتعطين طابقاً للإيجار، فإذا بها تصبح صاحبة مبنى من خمسة طوابق... كان كلايتون كرملمعها؛ إنما ليس بهذا القدر، فهو لم يشجعها يوماً على الإنطلاق بالحياة مستقلة عنه، كما يفعل الآن، سيمون.

أيام، وبدأت ورشة العمل في الترميم ووضع التصاميم، فحضر لها، سيمون مكتباً خاصاً في مؤسسته، مع سكرتيرة خاصة، لتساعدتها على إجراء الاتصالات وتأمين المقابلات. بعد الأزمة التي أدت إلى وفاة كلايتون، لم تذكر الصحف الاقتصادية أي خبر عما حل بها، أما اليوم،

فها هي النيويورك تلغز، تخصص عاموداً عن مشروع الكونتيسة أوسيفوف وزوجها سيمون هيرتش الذي يعتبر من أكبر مشاريع الاستثمار الاقتصادي.

خلال شهر آذار، سافرت زويا برفقة زوجها إلى باريس، لسببين، الأول من أجل شراء ما تحتاجه محلات سيمون، والثاني، شراء ما تحتاجه المحلات الجديدة التي، ستبدأ، قريباً، وإن بعد بضعة شهور، تستقل زبائنهما، لم تكن زويا بحاجة لأخذ موافقة السيدة أكسيل قبل تأكيد أية طلبية، وكذلك لم تكن مقيدة بميزانية محددة، فسيمون لم يحدد مبلغاً معيناً، بل أبقى ذلك رهن إشارتها.

بعد شهر، عادت زويا إلى نيويورك، لتصدم بخير طرد ساشا من المدرسة لسوء سلوكها، استعلت غياب والدتها، فراحت تضع أحمر الشفاه على شفتيها، ولأشع بها مصعب وهي تفنن أحد الأساتذة عنوة، ماذا ستقول لسيمون الذي رفض إلا أن تكون في أرقى مدارس نيويورك، وتكفل أن يدفع كل النفقات؟

— أسعيدة أنت؟... لماذا فعلت هكذا يا ابنتي، أما فكرت بسيمون الذي لا يخل عيشه بشيء؟

تركت زويا غرفة ساشا، لتعود إلى غرفة نومها، وتحد سيمون بانتظارها ورأسه على يديه «أنا جدد آسفة يا سيمون... إنه أمر فطيع...».

— وماذا قالت؟ تساءل سيمون، متذكراً كيف حاولت ساشا، أن تجعله ينظر إليها كامرأة مكتملة الأنوثة، وبأسلوب منحط قذر، دون اعتبار أنه بمثابة والدتها، ودون اهتمام بأبها ما تزال في الثانية عشر من العمر، لكنه لم يقل شيئاً لزويا.

— هل هي محطة؟

— وإن كانت كذلك...

— والآن، ماذا علينا أن نفعل؟

— اعتقد أنه على البحث عن مدرسة أخرى، ولكننا في منتصف نيسان، ولا اعتقد أن مدرسة قد تقبلها دون شهادة حسن سلوك، أو تأمين أستاذ خصوصي.

— فكرة جيدة... إنما أفضل أن تبحتي عن امرأة للقيام بهذه المهمة.

نكر رويا، لم تتمكن من العثور على مثل هذه الأستاذة، بل وجدت أستاذاً في مقتل العمر، تعهد أن يحسن سلوكها، لكنه، لم يمه الشهر إلا وولى هارباً، إذ صارت ساشا تستقبله بشباب نوم والدتها، وحتى أنها لم تحجل فطلبت منه أن يقبها.

حاول نيقولا أن يتدخل، لكن اللطم والضرب كان من نصيبه «إنك أزعج إنسان على وجه الكرة الأرضية يا ساشا».

في هذه الأثناء، كان العمل، في المحلات، جارٍ على قدم وساق.

— حسناً سيدة هيرتش، كيف ترين؟ أكل شيء، كما تتعنين؟ تساءل سيمون، وهو يقف في قسم الأحذية النسائية.

نظرت إليه والدموع في عينيها، حائرة ماذا تقول «إنه أشبه بقصر يا سيمون، هذا ليس متجرّاً بل قصر».

تقدم منها وقبلها «إنه أقل مما تستحقين يا حبيبتني».

عند المساء، كانا معاً يحتسيان الشمبانيا، ويعدان لائحة بأسماء

المدعويين لحمل الافتتاح بعد أسبوع، وفي الوقت ذاته بما سيميان المتجر.

- وجدته. قالت زويا.

- وما الذي وجدته حسي؟

- الاسم... هيرتش وشركاه.

ضحك سيمون، مد يده شدها إليه وقبلها وهو ما يزال غارقاً في الضحك.

- ما الذي يضحكك؟

- براءتك يا حبيتي.. أما رأيت الأضواء فوق المدخل الرئيسي للمتجر؟

لا.

- إن اسمه مكتوب بالأوار والأضواء.

- ولماذا؟

- لأنني أسميته «كونتيسة رويا» هذا ما تريده الناس، إسم أرستقراطي ليستقطب أرقى نساء نيويورك.

كثيرة هي الصحف التي كتبت عن متجر «كونتيسة زويا» وعن حمل الافتتاح الذي حصره كبار رجال الأعمال وكبار الصحفيين. وعدد لا بأس به من ممثلات وممثلي هوليوود. ما من أحد نظر إلى الكونتيسة إلا ورأى الدمع في عينيها، إما الذي أبكاها فعلاً كانت تلك الباقية الصخمة جداً من الأوركيد البيضاء التي أرسلتها السيدة آكيل «حظاً سعيداً يا صديقتي».

بعد شهرين، ليس أكثر، وجدت زويا نفسها مضطرة للاتصال هاتفاً بشابيل وكريستيان ديور والطلب منهما إرسال المزيد من الألبسة النسائية والأحذية والحقائب. حتى هنري فورد جاء شخصياً لشراء معطف من العرو ليقدمه إلى زوجته هدية عيد ميلادها.

لم تكن زويا تدري كيف تشكر زوجها... أعطاهما الأمان، رعى طفلها، وما هو يقدم لها المستقبل، ما هو يجعلها حديث المجتمع المحلي في نيويورك.

سكبت كأسين من الشمبانيا، أعطته واحداً ورفعت الآخر «بصحتك يا أغلى البشر».

- وبصحة الكونتيسة زويا.

الفصل الثاني والأربعون

كما توقع سيمون، سارت الأمور في متجر «الكونتيسة زويا». ما إن مضى عام، حتى فتحت روبرت حساباً باسم «الآنسة بولادة» لمستوردة من أوروبا في الحادي عشر، لأمر الذي جعل المرحه في قلب ساشا، التي لم ترث منه إلا راتبه من حساب، وأحدث منه ما خلاها، ثم تكرر في شهر، فمعها من الاسم راتب. على عكس بقولها، ندي فرح بوسع أعمام والده، وأبدي رغبة في ترك المدرسة ولا حرج في محل العمل معها، لأنه كان غير، رغم تفوقه على زملائه لفتنة، أن سيمون قد تبعه بدراسة، صعدته نفوس وهجر عاداته، كان بدريث، أنه لم يجد ربة فاشيت عبد أمه التي كانت تحبط لدخوله إلى جامعة برينستون.

كانت ساشا، ابنة الثلاثة عشر ربيعاً، تذمر من اعتبارها، ما تزال طفلة، فرفضت دعوة سيمون لحضور فيلم والت ديزي «سنو وايت والأقزام الأربعة».

— أما لم أعد طفلة.

— إذن تصرفي على هذا الأساس. قال نيقولا... «وكفني عن

محاولات تقييد وهدث، وسرقة ثياب نوم لارنديب حبيب».

رغم قنقه مما يجري في ألمانيا من اضطهاد لليهود، كان سيمون يسعى جاهداً، لإسعادهم. أواخر عام 1938، تأكد له أن حرباً ثانية لا بد واقعة. إنما ما من أحد في نيويورك، أو في الولايات المتحدة، كان مهتماً بالموضوع لاعتقادهم أنهم بمنأى عنها، لذا، تابع الأميركيون، حياتهم العادية فواظبوا على إقامة الحفلات الصاخبة، والسهر في صالات الرقص، وكذلك، لم تتأثر تجارة زويا، بتوقعات بشوب الحرب، بل على العكس، راحت تخطط، لافتتاح أجنحة أخرى في الطابقين الشاغرَيْن، بدعم وتشجيع من سيمون.

- ما عليك إلا التحدي والاستمرار في قطف ثمار نجاحاتك؛ وطالما أنت مستمرة في عرض الأفضل، فلنك ستستمرين مقصداً للربائن.

واستمرت زويا، فوجدت نفسها مضطرة لتحصيل ساعات أكثر للعمل، ولتبدأ حلف مكسها، ولكن همها لم يكن ميسر لها، فالتفت التي لم تكن سوى إنسانة طائشة، لا تقدر عواقب أي عمل تقوم به، حتى مدير المدرسة الجديدة، ضاق ذرعاً بتصرفاتها، فانصل بزويا مشتكياً من تصرفاتها، وتكرار غيابها. وبعد نقاش طويل، وافق على عدم طردها، شرط أن تحسن سلوكها، وأن تتصرف كإنسانة ناضجة، ستحتفل قريباً بعيد ميلادها الرابع عشر.

ناقشت زويا الأمر، مع سيمون، مبدية استعدادها، لترك المتجر يومياً للعودة بمساشا إلى المنزل، لنلا تعود للعب الهوكي، وتدخين السجائر مع شلة من أصدقائها.

- لا أعتقد أن عليك فعل ذلك، فهي فعلاً لم تعد طفلة، بالمعنى الحرفي للكلمة، وبإمكانها تدبير أمورها الخاصة.

كان سيمون يدرك، أن سبب إزدهار محلات «الكونتيسة زويا» هو وجود زويا شخصياً، فالكثيرون من الربائن، لا يشترون شيئاً إلا بعد استشارتها، أو بناءً لتوصيحتها.

- ولكن ما عليّ فعله إذن يا سيمون؟

- عليها هي... أن تحسن التصرف.

- كثيراً ما أفكر، أني أنا المسؤولة، وأنها تدفع ثمن أخطائي الماضية... أنا قنقة جداً عليها.

- راية أخطاء تحدثين عنها؟

- كنت أتركهما ليلاً وأذهب للرقص، وبعدها كنت أتركهما طوال النهار.

- ولكن؟... لماذا كنتِ تفعلين ذلك؟ أليس من أجلهما؟ ليس بمقدورك فعل شيء، يا حبيبتي زويا، على العكس، عليها هي أن تعي مسؤولياتها. وأن تعي أنها تحصل على كل ما تريد، وأن عندها أماً تعيدها. المشكلة، أنها مدللة، أكثر من اللزوم، حتى نيقولا يدللها. ها هو ينفذ لا يد ولا يصرف منها؟ هل مر يوم يا عزيزتي، لا وكرك لها مطلب؟ إن لم تطلب رداءً جديداً، تطلب حذاء، ناهيك عن رعبتها الدائمة في التنزه.

بعد عيد الميلاد، أحست زويا بتعب شديد وبدأت كأنها مريضة، فاقترح سيمون الذهاب معاً برحلة إلى صين فاليه لتزلج، فثارت مساشا، إلا أن سيمون، كان صارماً معها، أفهمها أن عليها البقاء هنا في نيويورك؛ والذهاب إلى المدرسة يومياً.

لكن ساشا خبيرة في تأكيد حياة أمها، فاتصلت بها متذرة أن الكلب مريض، وتبين لاحقاً أنها كاذبة. سكبت الحبر على سجادة غرفة الجلوس، عادت للعب الهوكي وتدحين السجائر فاضطر الحبيبان، لقطع رحلتهم والعودة إلى نيويورك، لبقاء إلى جانب الولدين.

طلب سيمون من زوجته مراجعة الطبيب، لأنه يبدو واضحاً أنها مريضة «حتى ولدتني صحت مي ديث روي». «أظري بي، حيث في المرأة، فتدركي أنك مريضة فعلاً.. لا تقولي، إنه مجرد إرهاق جسدي».

ضحكت زويا، فالسيدة صوفيا، لم تكن تهتم لأمر صحة زويا بل لجعلها تعتق الدين اليهودي... لكنها اليوم تبدي قلقها على صحة زوجة ابها.

لم تكن زويا مستعدة لسماع ما سيقوله الطبيب.

— ماذا؟... أن ؟

لم تصدق ما سمعت، إنها الآن في الأربعين من العمر، والحمل في هذه السن غير مستحسن، قد ينعكس سلباً على صحتها، وصحة الجنين، وعلى سير العمل بشكل خاص.

— نعم أنتِ حامل سيدة هيرتش. قال الطبيب، وبعد بضعة أسئلة أضاف وبحلول شهر أيلول ستصبحين أمّاً.

أنا... أنا... أنا... أنا... أنا... أنا...

أصغت باندهاش لما قاله الطبيب، واستمر اندهاشها طوال اليوم، حتى وهي تتناول العشاء مع الأولاد وسيمون، الذي كان متلهماً ليعرف

ماذا قال الطبيب، لكنه لم يتجرأ على فعل هذا قبل خروج ساشا ويقولوا، والبقاء وحيدتين.

— ماذا قال الطبيب؟

تساءل سيمون بنبرة تبين مدى حبه لها، فهو غير قادر على العيش لحظة واحدة بدونها، أو إن إصابها مكروه.

— سيمون... أنا...

كاد سيمون يفقد صوابه «أنت... ما بك...؟ ما بك؟».

— أنا حامل.

— آه عزيزتي كم أنا سعيد.

لم يشأ زويا، حذرته أنها تفكر بسفوح الصن، دركاً منها خصوصية عملية الإجهاض، لكنها في الوقت ذاته، فهي لم تعد بعمر مناسب للإنجاب، حسب اعتقادها على الأقل.

— كيف تبدو سعيداً يا سيمون... أنا في الأربعين من العمر وليس من الجائز أن أرزق طفلاً وأنا في هذه السن.

— أهذا ما قاله الطبيب.

— لا.. بل قال «تهانيسا»... ولكن؟... ماذا عن المتأخر...؟ وماذا عن الطعنين؟...

— لا شك سيكونان سعيدين.

جلس على كرسيه وهو ينظر إليها، وكأنه يمتدك الكون بأسره.

— مع مطلع العام الدراسي القادم، نيقولا سيكون في بيرنستون، أما

ساشا فلن تعود الطفلة الصغرى في هذه العائلة، وعليها أن تتكيف مع الواقع الجديد، أما بالنسبة للمحلات، فيمكنك الذهاب لساعات وتعودين للإستراحة في منزلك.

— وهل تعتقد أن بضعة ساعات هي كافية؟ أجنون أنت؟

— لا... لست مجنوناً... لكنني مجنون بحب زوجتي... التي ستجعلني أها.

— أيعقل أن يحدث هذا وأنا في الأربعين؟

— لماذا؟... فكّري قليلاً، وبهدوء يا حبيتي... لست أول سيدة سحب في هذا العمر بمكث نصيه يات في مكث من ذات وحى لحظة نوصع، بعده فمضين فترة بعده، ومن ثم تعودين برأيه عمات المعتادة... إنما الأهم، الأهم، هو أنه سيكون لدينا طفل صغير يدخل السعادة إلى هذا المنزل، لكل من فيه، أليس هذا رائعاً يا حبيتي؟

احتارت زويا... إنه يريد أن يتكلم حبهما بالإنجاب، ويرعى، في الوقت ذاته، طفليها وكأنهما طفلاه، فماذا عساها أن تقول له؟

— وغداً حين يكبر، لا شك سيهزأ مني، إذ من المفترض أن أكون جدته لا والدته.

— لماذا؟ فأنت ما تزالين جميلة، وتبدين وكأنك في الثلاثين من العمر... وأنا أحبك بجنون، وسأبقى أحبك بجنون.

— ولكن ماذا عن ساشا... كيف منحبها؟

— نخبرها الحقيقة، نقول إنها تنتظر مولوداً...

— لا شك ستثور.

وفعلاً، لم يكن أي منهما قادراً على تصور مدى ثورة ساشا التي ستشبه الإعصار.

— ماذا؟... ماذا سأقول لأصدقائي؟ سيهزؤون مني... لا ريب سيفعلون ذلك.

— حبيتي، لن يتغير شيء أبداً... ستبقين طفلي المدلّه.

— كل هذا لا يهمني... ولن أبقى معكم، إذا أصريت على الإنجاب.

في اليوم التالي، لم تعد ساشا من المدرسة، هددت ووعدت تهديدها. وبعد يومين، اكتشف سيمون أنها تقيم في منزل إحدى صديقاتها، فصمم أن يتعامل معها بقسوة، لأول مرة، يجد نفسه مضطراً لاتخاذ مثل هذا القرار.

— إجمعي أشياءك التي جلبتها معك، الآن... الآن، وستأين معنا إلى المنزل، شئت ذلك أم أبيت... ساش، عليك أن تحسبي التصرف، وإلا سأضطر لاحتجازك ضمن زنزانة وليس داخل غرفة.

كانت ساشا، تسطر إليه مستغربة. لم يسبق له أن خاطبها بهذا الأسلوب الصارم والحازم، فأدركت، أن لا خيارات أمامها، سوى إطاعته والعودة إلى المنزل.

— إسمعيني ساشا أندروز. قال سيمون فور العودة إلى المنزل، ممنوع عليك إزعاج والدتك وأخيك، بأي شكل من الأشكال، أعرف أنك قادرة على ابتداء المزروعات، إنني أحذرك وبإلا، سأوسعك ضرباً، بحيث لن يسلم ستمتر واحد من ضرباتي.

كانت زويا تسمع وترى، وفي الوقت ذاته تبتسم. فهي لم يسبق لها

أن رآته غاضباً، ولم تسمع منه هكذا كلاماً، وهي متأكدة، بقرارة نفسها، أنه لن يسمح لنفسه بصربها.

— إذهبي الآن إلى غرفتك، قالت زويا.

دون أية حركة مرعجة، أو أن تتعوه بأية كلمة، خرجت ساشا من غرفة الجيوس متجهة نحو غرفتها، وتبعها نيقولا «أعتقد أنه كان عليه أن يفعل هذا من قبل، فعلاً إنك أصبحت جد مزعجة، ولا تقدرين أن تعوق» لكنه سعى، حوده مع سفيقة، هذه العصاة، وعاد في الحب عليها والختان، ثم عاد ليعد يده لأمه، مبدئاً استعداداته لمساعدتها في تربية الطفل.

— ألن تكون مزعوجاً، أن ألد طعلاً وأنا في هذا السن؟

— ما تزالين صبية يا أمي...

ثم تقدم من سيمون، قبل وجنته «مبروك يا أمي» فانهمرت أن مراع من عيسى سيمون. إنها المرة الأولى التي يسمع فيها أحداً يتأذى من أي أحد ببقولا بين ذراعيه، ضمه إلى صدره، ثم قاده إلى غرفة ساشا، التي ما إن رأت سيمون، حتى انتابها الخوف، لكنه مد يده **إلى عيسى** وضمها إلى صدره أيضاً، مانحاً إياها الحب ذاته الذي يمنحه لنيقولا... «ساشا حبستني.. انتهت ساشا.. لا أحد يعرف كم أحبكما... تأكدي بصغرتي، لن يتغير شيء أبداً».

الفصل الثالث والأربعون

خلال حزيران عام 1939، قامت شركة بان أميركان بأول رحلة جوية **إلى** أوروبا، أحب نيقولا أن يزور بريطانيا جواً، لكن سيمون، **تدنت** **رهباناً**، كان ما يزال يحشى السفر بالطائرات لمسافات بعيدة، **درسته** **في** رحلة إلى كاليفورنيا، وساشا ذهبت لتمضية أسبوع في مخيم **مفتحة**، **سأ** رعيها وليس بناءً لرغبة والدتها أو سيمون.

في هذا الوقت، كان سيمون، ما يزال يتابع أخبار موجة العداء للسامية، في ذلك بعض يدور لأوروبا الدائرة في مكانها الصدمة الكبرى كانت في بلاد بولندا ورومانيا، عند بداية عهد هتلر، لم تكن أوروبا تعبر مثل هذه لأحبارهم، لأب مشعونه جداً في استمرارية أعمالها، وحسب حيدر الطفل **مستطير** **أيون** قريباً فيما يقول مسروراً جداً **بالسيارة** التي قدمها له سيمون. فكان يتباهى أمام رفاقه، ورفيقاته خاصة.

— شكراً يا سيمون... شكراً على كل ما تقدمه لطغي.

كانت زويا تقدر سيمون جداً وتحترمه، وتقدر له ما يفعله من أجل نيقولا وساشا.

حاول سيمون اطلاعها على آخر الأخبار السياسية، لكنه وحدها غير مرتاحة.

— هل أنت بخير يا حلوتي؟

— نعم... لكى متعة جسدياً، ولهذا لست قادرة على مرافقتك إلى السينما. يمكنك الذهاب وحدك.

— لا... لن أذهب وحدي. سأبقى معك... سأبقى إلى جانبك.

باكراً أوت زويا إلى فراشها، فيما بقي سيمون، جالساً على الكرسي في غرفة النوم، يحسبى الشعبان، وينظر إليها حائراً ماذا يفعل ليجمعها تشعر بالراحة، سمع أنيناً خفيفاً، قام من مكانه وجاء ليقف إلى قربها، فيما هي استوت في فراشها ويداها على بطنها.

زويا؟... ما بك؟ لا تتحركى... ساستدعى الطبيب.

— لا تخف... إنه مجرد سوء فهم.

لكن سوء الفهم، لا يتسبب بهذا الألم الذي تأكد لها أنه أشبه بآلام المخاض، أسرع سيمون بنقلها إلى المستشفى والخوف عنده يتزايد؛ لم يعد سيمون مكثراً، لجس المولود، حتى ولا بالمولود، بقدر أكثراته بسلامتها وعودتها إلى البيت لتررع العرحة فيه.

أدخلت زويا إلى غرفة العمليات، وسيمون يزرع أرض قاعة الإنتظار ذهاباً وإياباً. نسي السياسة، وأخبارها، ونسي موجة العداء للسامية، وحصر تفكيره بالتي أحبا مد لقاتهما الأول، والتي يقدرها ويحترمها ويعتبرها إسماء مميزة

فيما هو شارد الذهن، أحسّ بيد تلامس كتفه، فاستدار ملهوقاً، فإذا به وحها لوجه مع الممرضة.

— أكل شيء عني ما يرام؟

— ابتسمت الممرضة وتابعت «أصبحت أباً لطفل جميل سيد هيرتش».

حديق بالمرضة قليلاً، وغرق بالبكاء فرحاً. لقد أصبح أباً وزوجته بخير. «لقد أصبحت أباً لثلاثة أولاد». لم ينظر سيمون يوماً إلى طفلي زويا، إلا وكأنهما ولداه.

بعد ساعة سمح له بالدخول إلى غرفة زوجته المستلقية على سريرها، والطفل إلى جانبها... كانت زويا ما تزال متعبة، وتعاني من آثار آلام الوضع.

— إنه يشبهك يا سيمون.

انحنى وقبل جبينها، والدموع تبدل خديه، إنها دموع الفرح. لم يعرف يوماً، سعادة كالتى يتعرف إليها الآن.

— ماذا منسجيه؟

— ما رأيك بماتيو؟ كانت زويا ترغب بإرضاء أمه فاخترت إسماً يهودياً.

— ماتيو هيرتش.

— ماتيو سيمون هيرتش. محتمت زويا، وأغمضت عينيها وغرقت في النوم.

الفصل الرابع والأربعون

كان للمولود الجديد أثر كبير في حياة العائلة. حتى ماشا، سُرت به، وشعرت بسعادة كبرى وهي تحمله على يديها، وفي الوقت ذاته، كانت أحذر ملاحقة شهيد في الحرب ودون أوروبا الشرقية تنقذ سيمون، ماشا هيئة إعانة، لمساعدتهم على الهرب إلى دول أوروبا الغربية أو أميركا.

مع بداية شهر كانون الأول، بدأت زويا التفكير بتوسيع نشاطها التجاري، فأمركا ما تزال بعيدة جداً عن ساحات القتال الدائرة في أوروبا وشمالي إفريقيا وشرق الأوسط حتى سول 1941، كان الرئيس الأميركي روزفلت، مضطراً على عدم إشراك بلاده في هذه الحرب، لكن سيمون، كان مدركاً، أنه لا بد من يوم سيأتي، وتجد أميركا نفسها، تشارك فيها. حتى وهو يشارك روحه المرححة في فتح الخدج الخمد في صدق الرابع من مئتي ألفي شهيد، كان منحرفاً من ذلك، يومها، كان ماتيو تجاوز الستين من العمر، وماشا، تجاوزت الستة عشر، إنها فتاة جميلة، طويلة القامة، نحلاوية العينين، مبتسمة الهم، شقراء الشعر، أصبحت قلة أنظار الشباب، لكنها، ما تزال مصممة على إكمال دراستها، ماشا اليوم، هي غير ماشا قبل ستين.

ليل السابع من كانون الأول، كان سيمون وزويا، يناقشان معاً، سير

الأعمال التجارية في مؤسسة الكونتيسة زويا، وماتيو جالس على ركبتيه؛ فإذا به، يسمع عبر الراديو، خبراً هز كيانه ووجوده «بسلح الجو الياباني شنّ غارة على مرفأ بيرل هاربر». وقف الإنسان مذهولين مندهشين، حتى أن ماتيو، الذي أنزل والده عن ركبتيه، راح يشد طرف ثوب أمه ليست انتباهها إليه. لكنها كانت تفكر بيقولاً ابن العشرين ربيعاً، إنها لا ترغب برؤيته يرتدي البدة العسكرية، حتى لا يكون مصيره كمصير خاله.

- وما الذي سيحدث الآن؟

ولماذا التساؤل؟ بدا واضحاً، توقعات سيمون، عن أميركا والحرب، لن تبقى توقعات، بل ستصبح حقيقة وواقعاً. وإن كانت زويا، لا تريد لابنها مصيراً كمصير خاله، فهي في الوقت ذاته، ترفض رفضاً باتاً أن يتحد سيمون بعد عودته عن أميركا التي خنصت عائلته بعد هروبه من روسيا. أميركا هي أعصه كثير، ولا يمكن من أجل أميركا، فمن أجل أباء الذين يلاحقون في شوارع وارسو ودول أوروبا الشرقية، ويذبحون، لا لسبب إلا لأهم يهود.

- 'رجوك سيمون، فكر بعائلتك.. فكر بهذا الطفل الصغير، كنا... كنا هنا بحاجة إليك يا سيمون.

سبق لزويا وتعرفت على مأساة الحرب، وتجرعت مرارة كأسها، ما تزال حتى اليوم، تتذكر مشهد احتراق قصر فونتاكا، وأما تركض من نافذة إلى أخرى، والبار تاكل حسدها.

- سيمون... أنت لا تعرف مدى حبي لك...

- زويا... أظنني مني البقاء إلى جانبي والوطن كله يحترق... تأكدي، سأعود إليكم سالماً...

- دعك من كل هذا الكلام وفكر بماتيو.

- إني أفكر فيه، ومن أجله سأشارك في الحرب، وإلا، فلن يعرف ابني معنى الحرية، إن انتصر هذا النعير، فهذا يعني الدمار للإنسانية والقضاء على كل ما بناه الإنسان، وما حقق من إنجازات.

حاولت زويا إقناعه، بشتى السبل والوسائل، حتى أنها استعملت أنوثتها الصارخة، إنما عبثاً حاولت.

بعد ثلاثة أشهر، أمضاها يتدرب في موقع بينينغ Bening عسكري في حرجا على فونتاكا. عاد سيمون إلى المنزل بحيرة لا تتعدى الأسبوع، قبل التحاقه بإحدى المعسكرات في سان فرنسيسكو. كانت فرحة زويا، بعودته، لا توصف. ورغبت في تمضية هذه الإجازة معه، في متجع السيدة ويتمان، حيث مارس الحب لأول مرة. لكنه رفض ذلك، مفضلاً البقاء في المنزل إلى جانب الأولاد، خاصة بعد عودة نيقولا من برنستون. كان سيمون مولعاً بيقولاً، وكان هذا الولع متبادلاً، حتى نيقولا كان يتأديه أبي.

- إغتر بأمك وأخوتك يا نيقولا. قال سيمون وهو يشد على يده مودعاً في محطة القطار. بكى نيقولا، كذلك زويا، وحتى ساشا بكّت بصدق. أما ماتيو، فشاطرهم البكاء، وهو لا يدري أن أباه، ذاهب إلى حيث، قد يكون القدر بانتظاره.

- سأفعل ذلك... ولكني أفكر بالإخراط في الجيش أيضاً.

- ليس الآن... ما عليك الآن، سوى الاهتمام بدراساتك.

لكن نيقولا كان هو، أيضاً، مصحماً على الالتحاق بسلاح الجو، وهذا ما أفضى به لأمه، ليلة عيد ميلاده السابع عشر. تساءلت زويا، هل عادت المآسي للملاحقتي؟

- ما هذا الذي أسمعه؟... أما يكفي أن والدك، هو الآن على خطوط النار.

- أمي، هذا واجبي نحو وطني، أما تعلمين هذا؟

- لا... لم أعد أفهم شيئاً، الخوف يسيطر عليّ، ويعطل قدرتي على التفكير والوعي، يريدك سيمون أن تكمل دراستك... ألم يطلب هو نفسه، هذا منك؟

- ولكن، بإمكانني متابعة الدراسة بعد انتهاء الحرب.

كان وما يزال، يعتقد أن وجوده على مقاعد الدراسة هو إضاعة لوقت، إنه يرغب أن يكون كسيمون الذي يحارب اليوم على جبهة المحيط الهادي، والذي يرسلهم من حين لآخر. يخبرهم عما هو مستوح من أن يقوله ليس أكثر، المهم أن رسائله، كانت تعيد الفرح لقلوبهم. عبثاً حاولت زويا إقناع انتهاء الذي أرسل إلى بريطانيا، لتسرب على قيادة الطائرات الحربية.

وحيدة، كانت زويا في شقتها، تفكر بما آلت إليه حالها. منذ زمن بعيد، فقدت أباه وأخاها وأُمها، خسرت الوطن بكامله ثم عادت وخسرت زوجها الأول. وما هي الآن. تحشى أن يكون مصير زوجها أو ابنها، كمصير أولئك الذين، يصعب عليها نسيانهم؛ كانت مستغرقة بالتفكير إلى درجة أنها لم تسمع القُرع المتواصل على الباب، وحين سمعت، ترددت كثيراً قبل فتحه. إنها

تصلي لله أن يعود الإنسان، قبل وقوع كارثة، غير قادرة على تحملها - نعم..

قالت وهي تنظر إلى الشاب الواقف أمامها، مرتدياً البذلة العسكرية الرسمية، والذي لو كان مخيراً، لما أتى إليها. أخذ ينظر إليها، وهو يفكر بالعودة إلى حيث أتى.

- برقية لك يا سيدتي... أنا آسف، جد آسف.

وما إن أمسكت زويا البرقية، حتى استدار وولى هارباً، إنه لا يريد أن يراها في سجنها. وسع الساعة التي كلف بها القيام بهذه المهمة.

فككت زويا عندها، بكل سبب سمعت وفود رويست سيمون هيرتس، تلك المرة، وتوقفت عن التمرده. كل الباقي هو مجرد كلمات زهية لا معنى لها. هوت على ركبتيها، وراحت تفكر بابيها، وبالجندي الذي سلّهما البرقية.. هل سيعود ثانية مع برقة ثانية؟

الفصل الخامس والأربعون

حين عادت ساشا، وجدت أمها غارقة في البكاء والحزن، فادركت أن مرّ حذو قد وقع، وكأنها لمحرو وقع لصاعقة أو شيء فعلته هو الاتصال بالسيدة أكسيل، التي سرعان ما وصلت، وراحت تهدي، رويداً، وتشجعها على تركه، ثم رويداً، حصة بأعداد مرسوم تدفن وكيف يكون. " سيد عذراء، حتى غيركم كن ما تكنت من فعله، هو الذهاب برفقة ساشا إلى منزل والدي سيمون. لم تقل لهما أية كلمة...

بعد الانتهاء من مراسم الدفن، عادت أكسيل مع زويا إلى المنزل، لتقيم معها ليل نهار، غير مكترثة لمخاطباتها وسير العمل فيها.

- والآن يا عزيزتي، كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر، إلا الحزن، يولد كبيراً ومن ثم يصغر.

على من تقرأ مزاميرك يا داود؟ زويا عاجزة عن فعل شيء، عن التفكير بأي شيء، لا تسمون سدي أحسنه كن حوار حها، تسمون، الذي لم يكن زوجاً حنوناً وحسب، بل وصديقاً وفياً، لم يكن أنانياً، بل معطاء، تعامل مع ولديها، وكأنهما ولداه، ساعدها على تحقيق ذاتها.

- عليك مواجهة أحزانك... عودي إلى عملك...

- لا أستطيع ذلك... خسرت سر وجودي وجوهر حياتي، فهل تريدني مني التفكير بالتواقة؟

- عمتك ليس من أنت وفه عمتك حمل من أنت أنتك بحور
ولادك، بحور نصبت، بحور نصبت أنتك المسؤولة عن اتمام ما بدأه
سيمون. أراد لك تحقيق ذاتك وساعدك على ذلك، فإكراماً لذكراه،
تابعي بناء ما بدأنا بهائه معاً.

خرجت السيدة أكسيل من غرفة الخلوس، وعادت بعد قليل وهي
تحمل كأس شمبانيا واحداً لها والآخر لزويا التي رفضت حتى مد يدها
ليه، لكن أكسيل بحور، عمتك من حيرة في حيرة وحكمة فعمت
بذلك.

- لذكرى سيمون. قالت السيدة أكسيل وهي ترفع كأسها، وتحبس
الدموع في عينيها، ومضت تقول «أما تحبين أن تشربي كأساً لذكراه؟
سبق لك وواجهت المصاعب، فما بالك الآن يا زويا هيرتش؟».

لم تبارح السيدة أكسيل شقة زويا، إلا فيما ندر، حتى تمكنت من
إقناعها، بضرورة استمرار الحياة. فصارت تذهب إلى العمل، تجلس
حلف مكتبها، تعلق الباب، وتبكي، ساشاء تصرف كفتاة ناصحة،
حاولت تغيير مناخ الحزن المسيطر على المنزل، واهتمت كثيراً بماتيو
الصغير، الذي من خلاله، تمكنت من إعادة الرغبة في الحياة إلى
تفكير والدتها، فعادت الابتسامات ترتسم على شفتيها من حين
لآخر، وخاصة حين تحتضن ماتيو الذي أدركت أن عليها الاعتناء
به، وتوفير كل مستلزمات وجوده، إنه ثمرة الحب الذي جمعها
بأبيه.

عشتأحاول كاتب العدل، الإتصال بها، لإطلاعها على وصية
زوجها. ولماذا؟ فهي غير قادرة على إدارة مصعبي النسيج، ومعمل
خيطة المعاطف، بسبب عدم تفكيرها، إلا به.

ذات يوم، كانت تجلس خلف مكتبها تحقق بصورة سيمون
والدموع تبلل خديها. حين دخلت عليها مساعدتها لتبلغها أن هناك
من يريد مقابلتها ويلح على ذلك، حتى ولو انتظر ساعات. تعجبت
للحاحه، وتساءلت عن الأسباب الداعية، فاعتقدت أنه قد يكون أحد
الزبائن الذين لا يرغبون بفضح علاقاتهم المشوهة.
- فبتمض.

كانت زويا مصممة على طرد هذا الإنسان، إذا كان جاءها لما
اعتقدت أنه السبب.

وقف الرجل أمامها، وقفة رجل محترم، وجهه غير مألوف لها.
- السيدة هيرتش؟

منذ زمن لم تسمع أحداً يناديه بالسيدة هيرتش، فالكمل يناديه
الكونتيسة زويا.

- نعم.. أنا هي.

- أنا بول كيللي... ومكثت بتفيل وصية المرحوم زوجك. لقد
حاولنا الإتصال بك. إنما سوء الحظ لم نفتح بذلك... إني أقدر الظرف
الذي تمرين به، ولكن هناك أموراً مهمة ومستعجلة، وهذا ما دعاني
لحضور شخصياً وإلحاحي على مقابلتك.

— أعرف ذلك... الحقيقة، لم أكن أرغب بمقابلة أحد... من الصعب جداً التفكير بمثل هذه الأمور.

ساد صمت لوقت، كان بول يحدق بها، ويدرك مدى حزنها ومعاناتها.

— ثانية أعتذر، وأهدي تقديري للظرف الذي تمرين به، ولكن عليّ معرفة متى ترعين أن تسمي عمره وصيه، على كل ينكسي لآ... إطلاعك، على أنه أوصى بأن تكوني أنتِ المشرقة على إدارة جميع مؤسساته حتى بلوغ ابنه الحادية والعشرين من العمر. وأوصى لوالديه وأعمامه، بمبلغ كافة أرباحهم يعيشون حده لرف على مدى عمر، ولم يسر وسيت، كان كريماً جداً معهم، إذ أوصى بمبلغ دولارات لكل واحد منهما. شرط عدم التصرف بهذا المبلغ، قبل بلوغ خديته وتغيبين.

لم تصدق زويا ما سمعت «أعتقد أن هناك خطأ ما فيما قلت يا سيد بول... مليون دولار لكل واحد من ولدي؟».

— به مبلغ لم تكن تحب به مضمناً، بهما ولد هـ، وسأرسلهم «مسكين سمور رعاهم في حياته وحتى بعد ممته، رفض إلا أن يستمر في رعايتهما» قالت زويا سرا.

— نعم... سيدتي، ليس هناك أي خطأ. مليون دولار لكل منهما. كما أوصى أن يشارك ابكما ماتيو إدارة جميع المؤسسات حين يبلغ سن الرشد. إنه يمتلك يا سيدتي ستة معامل نسج، متعاقدة كلها مع الدولة لتزويد الجيش الأميركي بالملايس اللازمة.

— صدقتي ألمسى لو أنه ما يزال حياً، فهذه كلها أمور مادية لا تعني لي شيئاً. ولكن أية عقود هذه التي تتكلم عنها. لم يسبق له أن حدثني عنها.

— لم تكن قد صدقت رسمياً، لكنها الآن، صارت قانونية، بعد مصادقة المراجع الرسمية عليها....

الصدمة كانت، بعد أن شرح الكاتب العدل، أهمية هذه العقود. — أيعقل هذا؟ أحقاً ما تقول؟

— نعم سيدتي، ستصبحين أنتِ وابنتك ماتيو من أغنى أعياء أميركا. وبالوقت ذاته هناك نسبة لا بأس بها من أرباح هذه المؤسسات لابنتك نيقولا. شرط أن يكون واحداً من الذين يشاركون بإدارتها.

تساءلت زويا، وما يقع كل هذه عجائب سمور... نحن بحاجة حبه وحده، لا لبقائه.

وهل المدراء الحاليون قادرون على إدارة هذه المؤسسات؟

اسم الرجل وهو ينظر إليها، بها فعلاً حميمة جداً، ولا حد يصدق أنها ابنة ثلاثة وأربعين عاماً، كما تشير الوثائق التي بين يديه.

— أعتقد ذلك... وعليهم إطلاعنا على سير العمل دورياً، وكذلك أنتِ، باعتبارك المدير العام لتلك المؤسسات. كان رحمه الله، يثق بك ثقة عماء.

أشفق الرجل عليها وهو يرى الدموع تنهمر من عينيها، «كان يعني، وما يزال، أهم بكثير من كل هذه لأشب» لكن هل يدرك هذا الرجل مدى تعبقها بزوجها.

— أحبته بكل جوارحي وما أزال... شكراً لك على كل شيء. تأكد أنني سأجيب على كل مكالماتك، من الآن وصاعداً.

— ألمسى ذلك، وأعتذر عن إزعاجك بحضوري، لكنني كنت مضطراً

إلى فعل هذا... إنه متعجّر رائع... على فكرة، زوجتي هي إحدى زبائنك.

- إذن، دعها تسأل عني حين تأتي لاحقاً...

- أتمنى إغلاق الأبواب بوجهها، إكراماً لي... لأنها جد متطلبة... وماذا عن نيقولا.

- إنه الآن ملحق بسلاح الجو الملكي في بريطانيا.

أهدى السيد بول، إعجابه بها كسيدة أعمال ناجحة، تدير هذه الإمبراطورية، محققة أحلام زوجها.

- أرجوك! لنسقى على تواصل، إذ لربما هناك أمور يمكنني مساعدتك في حلها.

وهل بإمكانك إعادة سيمون؟... بالطبع لا...

- سأمضي بعض الأوقات في مكتب زوجي لأكون مطلعة على كل شيء.

- إنه الصواب بعينه... وتأكدي سأطلعك على كل شيء. ما رأيك لو نتقي ههنا؟ الأسبوع القادم... أو هل ترغبين أن أزورك هنا؟

- لا... سنقابل هنا. أريد أن يعرف الجميع أننا معاً، أنت وأنا بشرف على الأعمال.

كما دخل، خرج بول كيللي، بعد أن انحنى وقبل يدها احتراماً وتقديراً، وعادت هي إلى أعمالها، إنما بجديّة أكثر. لقد أدركت أن سيمون يريد أن تكون قوية شجاعة.

الفصل السادس والأربعون

منذ أواخر عام 1942، شرعت زويا تخصص يوماً كاملاً كل أسبوع، للعمل في المقر الرئيسي لمؤسسات زوجها، وبالطبع بالتعاون مع السيد بول كيللي. وشهراً بعد شهر، تحولت العلاقة بينهما إلى نوع من الصداقة، فصارت تناديه بإسمه دون لقب. وكثيراً ما كان يشادلان النكات أثناء العمل، وحتى تلك التي تتضمن تعابير جنسية.

كان بول معجباً بها، كامرأة جميلة، وكسيدة مجتمع وربة منزل وكسيدة عذبة، قدّره على إدره أعمالها بسك، حرق، ولا تسي شيئاً، ولا تهمل قضية، وتعامل مع الموظفين بلباقة واحترام.

- هل لي بسؤال؟

- نعم، يمكنك أن تسأل ما تشاء.

- كيف وصلت إلى ما أنت عليه اليوم؟

- من طريق الخطأ... صدقتي من طريق الخطأ.

وراحت تروي له حكايتها منذ خروجها من روسيا حتى هذه اللحظة التي تقف فيها أمامه دون إخفاء أي شيء. وجد بول في صراحتها المتناهية، فرصة سانحة، ليروح بأسرارها، حتى العائنية منها،

فحدثها عن زوجته التي لا تهتم به، ولا بالمنزل، كل منهما أن تعاقب الخمر وأن تتسوق، حتى أنها تشتري ثياباً، لا ضرورة لها مطلقاً. هذا الأمر ليس غريباً على زويا، فهي تعرف الكثيرات اللواتي يقصدن محلاتهن للتسوق، قتلاً للوقت ليس أكثر.

— إذن لماذا لا تفصلان؟

— هنا بيت القصيد. نحن كاثوليك، ولا طلاق في مذهبنا إلا بموافقة لطرفين وهي ترفض الطلاق، ونظرًا لحالتها النفسية ست أصر نفسي مسؤولاً عن أي أذى يصيبها أو تتسبب به لنفسها، وبخاصة إذا هجرتها وتركت المنزل.

— وهل تعتبر هذه حياة؟

— لا.. ولكنني مجبر على التكيف مع الواقع، لا أنكر أنني أقمت علاقات مع بعض النساء، إنما ليست علاقات حب. وهذا ما زاد من عذابتي... حتى أنها ترفض مرافقتي لزيارة الأولاد ورؤية أحفادنا.

في هذه اللحظة كان بول يفكر بها، بها تعمل طوال النهار، وتعود ليلاً لتهتم بأولادها وبيتها.

تطورت العلاقة، فصارا يتناولان طعام العشاء معاً.

— وكيف ماتيو؟

— رائع... عملاً حياتي فرحه يشعرني أنني ما أزال في أواسط الثلاثينات من العمر. أما ساشا، فهي سبب عذابتي، تعود متأخرة إلى البيت، وكثيراً ما تكون ثملة.

— وماذا عن يقولوا؟

— ما يزال يخدم في السلاح الحوي المكسي البريطاني.

— وماذا عن متاجر الكونتيسة زويا؟

— تتوسع عاماً بعد عام، كنت أنوي الذهاب، إلى أوروبا، للإطلاع على آخر تصاميم الأزياء، الرجالية، الولادية والنسائية، لكنني خائفة.

— وأنت بول، لماذا لا تذهب إلى كاليفورنيا لزيارة ولديك المدين يقيمان هناك. تساءلت زويا، وهي تقدم كأس شبنانيا، بعد أن دعت إلى تنف.

— من غير المنطقي أن تمضي حياتك هكذا.

— هل تطيبين مني الهرب من الأصدقاء إلى الوحدة القاتلة؟

— معك حق... الوحدة قاتلة، لكني كيفت نفسي مع هذا الواقع.

— أرجوك، لا تعودني على الوحدة... فلا أريد لك ما حصل لي.

— لكنني سعيدة جداً في حياتي.

— لا... لست سعيدة... وإذا كنت كذلك، فما هو سر سعادتك.

— إقتناعي بما أنا عليه وفيه.

فعلاً، إنها مقتنعة بقدرها؛ لذا لا ضرورة مطلقاً لتفكير بالماضي وما آسبه. فلنفكر بالحاضر والمستقبل... فعلاً إنها سعيدة، أعمالها تتوسع، وما هو بول كيلاي يسليها كل يوم اثنين، حين يعملان معاً إنه إنسان جذاب ومرح.

كانت هي تتكلم وهو يحدق بها. لقد أحبها منذ أن التقاها لأول

مرة في مكتبها. يومها، أعجب بجمالها. أما اليوم، وبعد انقضاء فترة من العمل معاً، واكتشافه لذاتها، صار الإعجاب حباً. لكنه متزوج، فماذا بإمكانه أن يقدم لها أو يعرض عليها سوى أن يكونا حبيين.

شدها إلى صدره، فأحنت رأسها عليه، قلبها على شعرها ووجتها وشفتيها فسم تبيدي أية مقاومة، على العكس استسلمت واعترفت بحبها له.

- لكنه الجنون بعينه يا بول.

- لماذا؟ الأني متزوج؟

- لا.. إنما لا يحق لي فعل ذلك...

كانت تقول هذا، وهي مدركة كل الإدراك أنها بحاجة إليه. إنها بحاجة إلى الحب وليس للزواج، فقد أقسمت ألا تتزوج بعد سيمون، لكنها بحاجة إلى الحب. إنها بحاجة إلى من يفرغ لها صفي في حياها. ساشا تعود قبيل بزوغ الفجر ثملة سكرى، تفوح رائحة السحائر من شعرها، ومن ثيابها، ولا تسمع لها بتوجيه اللوم ولا تسمع الصبح؛ فكيف سيكون تصرفها بعد بلوغها الحادية والعشرين واستلام المليون دولار التي أوصى بها سيمون؟ نيقولا في لندن... تصلي من أجل عودته إليها، وماتيو طفل صغير. فعلاً إنها بحاجة إلى الحب.

- إسمعني بول، لن أكون قادرة على متحدث الكثير من الوقت.

- يكفيني بصع ساعات كل أسبوع.

- ولكن ماذا عن روجتلك؟ ماذا لو عرفت بعلاقتنا؟

- لن تعرف، إلا بعد سحقها من السكر، وهذا ما لن يحدث.

بعد منتصف الليل بقليل، حاول بول تقيّلها مجدداً وهو يودعها عند مدخل الشقة، لكنها رفضت ذلك، فهي لن تسمح لأحد أن يحس سمعتها بالسوء، وخاصة لا بنتها ساشا التي أقل ما يقال عنها أنها مصدر نعاستها.

بعد الإطمئنان على ماتيو، ألقت زويا حسدتها على السرير، وراحت تستعيد طعم قبلات بول، لقد تصرف بنبل وشهامة، مسحها الحب. «سأشاق إليه، ولكن لن أنصل به».

وفجأة رن جرس الهاتف، فمزقها من مكانه، مدت يدها وتناولت السماعة، وما إن وضعتها قرب أذنها حتى سمعت صوت بول فارتاحت.

- ما بك بول؟

- أسمح لي بأن أحلم بك؟

- تحلم بي أم تخيلني يا بول.

- وما الفرق؟

- الحلم لا إرادي، بينما التخيل هو كذلك. على كلٍ يحق لك أن

تحلم وأن تتخيل.

- شكراً حبيبي

راحت الأيام تمر بسرعة، لقاءات على العشاء أو على العشاء، قبلات وممارسات حب، ومضية عطلات نهاية الأسبوع معاً، كنما سمحت الفرص والأعمال من نجاح إلى آخر. رغم الحرب، افتتحت جناحاً جديداً للبذلات الرجالية في الطابق الخامس، ورغم هذا، هم تعرف

رويا معنى السعادة الحقيقية. فساشا يوماً بعد يوم يزداد تصرفها سوءاً، ولا تهتم إلا بإرضاء شهواتها وغرائزها، وإن عادت إلى البيت، فتعود مباشرة إلى غرفة نومها وتعلق الباب خلفها، ولا تحجل أبداً أن تقف عارية أمام والدتها أو مربية ماتيو.

تابعت زويا عملها كالمعتاد، كل اثنين في المقر العام لمؤسسات سيمون، وبرفقة بول، يعملان بعد، وعند المساء يتناولان العشاء. لقد حرصا كل الحرص، على أبقاء علاقتهما الخاصة بعيدة عن الآخرين وعيون الناس لم يفكر يوماً بالدراج، لأنه ولا يعرف، رغم كثرة صايبه، وشهر بعد شهر، كان لا يحترم برده بينهما وكنت خب، إنه الصديق المميز، واليد اليمنى في العمل، حتى ساشا كانت تقدر له مساعدته لو سبها في إدارة الأعمال، دون أن حول يوماً تفكيره بجمع بينهما، إنها منهمكة بحياتها الخاصة ليس أكثر.

الفصل السابع والأربعون

في الثاني عشر من نيسان عام 1945، وقبل ثلاثة أسابيع من انتهاء الحرب على الجبهة الأوروبية، توفي الرئيس الأميركي روزفلت.

وعقبه عيا ميلاده أربع وعشرين، عدد يقولون إلى أحضان والدته ساشا معدني، بعد يومين، من اتحاد نفسه سارية على هيروشيم، استسلمت اليابان وهكذا انتهت الحرب على جبهة المحيط الهادي، خرج الأميركيون من الشوارع يرفضون دعوات تغيير عن فرحتهم وسرورهم أنه يقولون كان يراقب الناس في الشوارع، من على شرفة منزله بمسك يد أمه، ويكيصمت، ممسكاً بأن سيمون ما يزال حياً، لقد مضى زمن طويل على وفاة والده كلايتون أندروز.

كان يقولون فرحاً بما ترك له سيمون من إرث، وفي الوقت ذاته قلقاً على أخيه مستعراً تصرفاتها، لم يعد في عمر، يسمح لأحد أن يشعها صراً بهدف تهديتها وتأديبها، ومن غير المقبول أن تسحب دحل عرقتها بدلوى تفر من السحرة ندهاب إلى ملاهي البسبة لشرب الخمر وتدخين السجائر ومعاشرة شبان السوء الذين لا قيمة للأخلاق عندهم ولا احترام للعادات الاجتماعية أو التقاليد والأعراف، إنهم عبثيون.

الإثنان حائران ماذا يفعلان؟ إنها الآن، تملك ثروة كبيرة، إنها تملك

مليون دولار. أواخر شهر كانون الأول تروحت سراً من شاب متسكع مثلها، لا هم له إلا العريضة والبهو. وخلال آذار 1946 اتصلت ساشا بوليسا شمعها لها سطر موهب، قد حضر سير أو حرات أو من سجن. تضرعت زويبا لله، أن يكون هذا المولود، سبباً في تغيير سلوكها والعيش باستقرار وهدوء. لكن الله لم يستجب لصلواتها، إذ حتى بعد ولادة مارينا أواخر شهر آب، بدا واضحاً أن هذا الطفل لا يعني لها شيئاً، فما تزال كما كانت، سهر وعريضة وشرب خمر وتدخين سجائر، والمريية هي التي تهتم به.

حتى ماتيو لم يكن يرتاح لشقيقته ساشا، ويتجنب الحديث معها، ولهذا تساءل يوم أبلغ قسم بوليس فلوريدي والدته، خبر وفاة ساشا إثر حادث سير. تساءل: «وهي كانت شبيهة» ساشا كان موهباً شديداً مع شقيقته بولينا. لم يترك فرصة سانحة إلا واصططحبه إما للتزهر، أو حضور مسرحية للأطفال، وحتى لصيد السمك.

بعد الانتهاء من مراسم دفن ساشا، وجدت زويبا نفسها مجبرة على لإهمالها مدرس، لصفه تربته، في أربعة شهر فكثر ما كتب تخرج بول، أتيه بعد في لعمر ساشا تربته لأصدق، لكن بول، ووجدت من حبه، كان دائماً يقول لها أنها ما تزال صغيرة وجميلة.

كانت محمد مارينا إلى جانبها على سريرها، لتنظر إلى تلك اليراعة، إلى ذاك الوجه الجميل، إلى تلك العينين المعصيتين، وتساءل «أي ذنب ارتكبه هذه الطفلة؟» ثم تتذكر ساشا ممددة في العشب فتغرق في البكاء. أيامها الحلوة كثيرة، لكنها دائماً تتذكر مآسيها إن في سان بطرسبورغ أو في باريس، وحتى هنا في نيويورك.

عام 1947، كان عام صرعة الأرياء التي أطلقها كريستيان ديور، فاصططحت زويبا، ابنتها ماتيو وحفيدتها مارينا، معها إلى باريس، كان الكل يعتقد أنها والدة مارينا. وهذا ما كان يدخل الفرحة إلى صدرها، فقد جعلت لأحد من بضروب شبيهة، على أنها دون الأربعين من العمر، أو على الأقل، هذا ما كان يردده بول دائماً على مسمعها، إنه يثيرها في كلامه، كما في الفراش، يا له من صديق وحبيب؟

في باريس حدثت ماتيو عن جدتها إيفيجييا، عن طفولتها في سان بطرسبورغ، عن «أجدة» من ماري وشقيقاتها. تسبب ذلك حديثه وكأنه في عشرين من العمر، مع أنه يبلغ نحو مائة سنة. لكنه، كان يصغي بهتمام وييدي سروره لما يسمع.

عام 1951، أنهى نيقولا دراسته الجامعية، ودخل معترك العمل في مؤسسات سيمون. إنه الآن في الثلاثين من العمر وماتيو في الحادية عشر. أما مارينا، فبغت الرابعة. رغم هذا، ما تزال زويبا مصممة على إدارة محلات الكوتيسة زويبا، والانتقال من نجاح إلى آخر، إما بوتيرة عمل جديدة. صارت تعود باكراً إلى المنزل، لتكون إلى جانب ماتيو ومارينا التي بدأت تسير على خطى جدتها يوم كانت في عمرها، إذ بدأت تتعلم رقص الباليه، لقد تغير الرمن وتبدل، فيما مضى كان رقص الباليه أو أي ضرب من ضروب الرقص يجلب العار للراقصة، أما اليوم، فهو يكسبها الاحترام والتقدير. لم تكن زويبا تشعر أنها تجاوزت الخمسين من العمر، أولاده سبب سعادتها، وكذلك بول الذي فقد زوجته منذ بضعة أشهر.

— زويبا... بعد اثني عشر عاماً من الحب، أيقن لي اليوم أن أطلب يدك للزواج؟

اثنتا عشر سنة من الحب والصدقة والعمل معاً، لم تفكر زويا خلالها ولو مرة واحدة أن تتزوج أي رجل حتى ولو كان بول. إنها سعيدة في إدارة أعمالها، وتربية ماتيو وعمة ماري. و "آن" في السادسة والخمسين، فهي تتزوج للمرة الثالثة؟

- قبلته على شفتيه، بول... هذا أمر صعب... لم أعد في العمر المناسب للزواج.

- بل... أنت ما تزالين صغيرة جداً في نظري ما زلت أحبك.

- قد يكون ذلك، ولكني سأفترغ للاهتمام بماتيو ومارينا. لن أكون زوجة بعد اليوم... سبق لي وأعطيت كلايتون كل شياي. وأعطيت سيمون، ما تعجز أية امرأة عن إعطائه، أما الآن، فقد جاء دوري، جاء دوري لأعطي د... في ذلك فكر، فكر العودة إلى ر... و... في سن طرسبورج، سجدت أو... في حديقته حيث ذكرت طفولة، مره... كانت تترك كل الإحراك أن مشاريعها هذه لن تتحقق معه، فهو بلغ السادسة والستين، له مكاتته، له منزله الخاص ومط حياته وأصدقائه.

- وهل هذا يعني نهاية علاقتنا. نهاية ما بيننا من حب؟

من جديد قبلته على شفتيه «هذا متوقف عليك... إن كنت راعياً في استمرار هذه العلاقة، فأنا مستعدة، وسأبقى أحبك إلى مدى العمر».

- فعلاً أنت محقة... فنحن، أنت وأنا، لم نعد كما كنا، ولكن، هل ستزوريني من حين لآخر؟

ضحكت زويا... «نعم سأفعل، وسأضفي عطلة نهاية الأسبوع معك، لمحبي الحب، وأنا أمتحك جسدي وحيي».

الفصل الثامن والأربعون

بداية عهد كندي، عرفت محلات الكونيسة زويا، تحولاً نوعياً وجذرياً، إن على المستوى الواعي، أو على مستوى الشهرة، فصارت مقصد زوجات آل كندي النواتي ارتبطن بعلاقة صداقة مع زويا، فصرن يستقبلنها على مائدة العشاء في البيت الأبيض.

عام 1961، وفي حزيران تمديداً، تخرج ماتيو من جامعة هارفرد. أرادته نيقولا مساعداً له في الإدارة العامة لمؤسسات سيمون، لكنه أبدى رغبته للعمل مع والدته التي وافقت شرط ألا يقل أبواب المؤسسة، حتى ولو شبت النار فيها، إلا بعد التهامها كياً.

في طريق العودة حوياً إلى نيويورك، لاحظت زويا، أن نيقولا، يحفي أمراً ما.

- حسناً نيقولا... ما الذي تخفيه عني؟

- أمي.

- لا تخف شيئاً، هات قل ما تريد أن تقول.

- الحقيقة أي، وأنا في التاسعة والثلاثين من العمر، أرغب بالزواج

- ومادا عساي أفعل؟ أصفق ابتهاجاً أم أبكي؟ ولكن ألمسى ألا تكون كزوجتك السابقة

- لا يا أمي... إنها إسة عائلة متواضعة، بنت نفسها بنفسها تعمل الآن مدعياً عاماً، تعيش في واشنطن، مريحة، تحبني، وفوق هذا، تجيد الطبخ وتهتم بالشؤون المنزلية... وأنا أحبها بجنون. ما رأيك لو تناولين العشاء معنا هذه الليلة؟

- لا بأس، سأذهب أولاً إلى المؤسسة ومن ثم إلى شقتك، أيرضيك هذا؟

أمام باب شقته، كانت جولي بانتظاره، وما إن أوقف سيارته، حتى أسرعت وقلته وصعدت معه، وأحبرها أنه دعا والدته لتناول العشاء معهما.

- ماذا؟ لماذا لم تعمني مسبقاً؟ لكنت ارتديت ثياباً أفضل.

- لن تهتم أمي لما ترتدين.

- حسناً، لكنها أريفة جداً. هكذا تبدو في الصور.

على المائدة في أحد مطاعم نيويورك الفخمة، دار حديث طويل بين زويا وجولي، تحدثتا بصدق وصراحة عن كل شيء، وكأنهما صديقتان منذ زمن، وأعجبت كل منهما بالأخرى، وتعبيراً عن حبها لهما معاً، تركتهما يكملان تناول عشاء واعدت في مكتبها لدراسة بعض الأعمال العالقة، وصممت أن تقدم بيضة الفصح الذهبية لهما كهدية بمناسبة الزواج.

بعيد منتصف الليل عادت زويا إلى شقتها، فقصدت غرفة نوم ماريما

مباشرة، التي ما إن سمعت وقع أقدام جدتها حتى استوت في سريرها. جلست زويا إلى جانبها، وراحتا تتحدثان عن الباليه، فأحبرتها ماريما أنها ستقدم عرضاً منفرداً في قاعة لىكولن لرقص التي يقصدها بحبة القوم والمثقفون. اغرورقت عينا زويا، وراحت تستعيد الذكريات العتيقة. تذكرت ماري، وتلك البافذة، في قصر تسارسكوي سيلو، فروت مجدداً لحفيدتها الكثير عن ماضيها، وعن حبها لهذا النوع من الرقص وعزف بي ياروسوج. أيا حسنة ماريما وأحلامها، مد فهي حد مسرورة بما تقوم به ماريما التي أصبحت راقصة أساسية وهي في الخامسة عشر من العمر.

الفصل التاسع والأربعون

عام 1963، وضعت جولي مولودها البكر، إنها طفلة جميلة تشبه الاثنين معاً، أباهما وأمها وقد أسمياها زوي وليس زويا، أي أنهما أعطيا إسم زويا نبرة أميركية.

كانت جولي قد وطدت علاقتها مع حماتها، حتى صارتا صديقتين حميمتين وروت زويا على مسمعها قصة حياتها، وكثيراً ما كانتا تتناولان العشاء معاً، أو الغداء، ولا تترك زويا مناسبة إلا وأغدقت بالهدايا عليها.

– والدتك إنسانة رائعة يا تقولاً... قالت جولي، إنها لا تشبه الحمأوات.

مارينا في الحادية والعشرين من العمر؛ إنها راقصة أساسية في فرقة الباليه، جالت العالم كله بما فيه مدينة لينينغراد التي هي سان بطرسبورغ سابقاً؛ حيث زارت القصر الشتوي وكذلك فارينسكي. كانت مارينا تتحدث وزويا تبكي، تبكي أيامها الماضية في كل هذه الأماكن التي تتحدث عنها مارينا اليوم، وكأنها تعيد جديتها خمسين عاماً إلى الوراء. كانت زويا، ما تزال تحلم بالعودة إلى روسيا.

– ومتى تنوين تنفيذ هذا الحلم يا أمي؟... إنك الآن في

السبعين من العمر، لكنك ما زلت تريدن وكانك في الخمسين.

- دعك من هذا المزاج.

- لا يا حماتي... أنت فعلاً كذلك، وإلا لماذا تنهاقت نساء نيويورك على شراء عطر الكوتيسة زويا التي أطلقه ماتيو منذ عام؟

- وما نفع هذا وهما يرغبان ببيع المؤسسة لتصبح مصنعاً لمأكولات الكلاب...

- وأنت ماذا تريدن يا أمي؟ تساءل ماتيو.

- أتذكر ماذا قلت لك يوم استلمت إدارة المؤسسة؟

- نعم أذكر. لا تغفل أبواب المؤسسة، حتى ولو نشبت النار فيها، إلا بعد التهامها كلياً.

- إذن...؟

- إذن ماذا يا أمي؟

- كنت أنوي التقاعد، ولكني غيرت رأي.

- تأكدي... لن يكون إلا ما تريدن.

- أما زلت ترغبين باصطحاب زوي إلى أوروبا؟ تساءل نيقولا

- بلى.. ولكن ستسمح لها بذلك؟

- لكل حادث حديث.

الفصل الخمسون

بعد ثمانية وثلاثين عاماً، على افتتاح محلات الكوتيسة زويا، قررت زويا، أن تترك العمل وتخصص أوقاتها للاستحمام والتنزه والسفر إلى أوروبا، وباريس خاصة، ومن يدري؟ قد تعود إلى روسيا.

تعمد نيقولا وماتيو إقامة حفل تكريم لوالديهما قبل أن تتقاعد، وتصبح حرة في الذهاب إلى حيث تشاء، فاختارا تاريخ حفل الافتتاح ذاته ليكون تاريخ الوداع.

باقات الورد، ومن كل نوع ولون، توزعنا في كل زاوية من زوايا الطوابق الخمسة، وبحضور نخبة الزبائن والمجتمع المحلي في نيويورك، وقف ماتيو ليشكر الإنسانية التي أعطت ما عجز عظام الرجال عن إعطائه.

ما إن انتهى من كلمته حتى أمسك يد أخيه نيقولا وتوجهها إلى حيث زويا جالسة على كرسي فخيم محاط بالورود، وخلفهما سارت جولي وإلى جانبها زوي ومارينا.

وقف الخمسة أمامها ثم انحنى كل واحد منهم ليقبل يدها وجبينها والدموع تبلل وجنات الجميع.

كانت زويا تبكي وهي تذكر سيمون وما فعله من أجلها ومن أجل

ولديها. نظرت إلى مارينا، فتحت لو أن ساشا ما تزال حية، تذكرت الجميع وهي تستعد للخروج من الباب لأخر مرة، وإلى المطار مباشرة. لقد ولي عهد السفر بالسفن. كانت تحلم بالعودة إلى باريس برفقة زوي، ومن ثم إلى إيطاليا.

وسط التصفيق وثر الورود سارت زويا نحو المدخل الرئيسي للمؤسسة لتجد حفيدتها بانتظارها والابتسامة على شفتيها.

- جدتي... جدتي...

- سأخبرك شيئاً مهماً... شرط ألا تخبري والدي.

- أعدك بذلك.

- لن نذهب إلى باريس فقط.

- ماذا؟ إلى أين إذن؟

- إلى حيث كنت تعلمين، إلى ليغاديا.

حدقت زويا بالسما، «شكراً لك يا رب أعدتني إلى جذوري».

وسنزر كل مدرونا يا جدتي.

زوييا

الثلج يتساقط... وزوييا مغمضة العينين حاملة تصفي لرتين أجراس الخيول التي تجر العربة. منذ صغرها وهي تحب هذه الموسيقى وتحلم أن تصبح راقصة باليه. في الوقت الذي تدرك فيه استحالة تحقيق هذا الحلم، فهي واحدة من طبقة النبلاء، وستقضى أرسقراطيا ورائعة الجمال إضافة إلى أنها مقربة جدا من القيصر ألكسندر وزوييا ابنته الحبيبة. زوييا، التي كانت محط أنظار كل ضباط القيصر، زملاء شقيقها يقولون الذي يغير عليها أكثر من روحه.

زوييا التي تحظى بكل هذا الحب والرفاهية والرعاية تأتي الثورة البلشفية لتأخذ منها أحب الناس لها شقيقها ثم والدها وأميها والقيصر وعائلته كلها وتجعل منها إنسانة وحيدة، فقيرة مشردة في باريس ترعاها جدتها دون ميل ورفاسمون معا، في منزل فقير، ما يحصلون عليه من بيع بقايا المجوهرات التي استطاعوا إخراجها معهم من روسيا. فقدت كل شيء، حتى أحلامها ولم يبق لديها ما تعيش فيه ولأجله سوى ذكرياتها... ذكريات الطفولة في سان بطرسبورغ، ورحلاتها مع بنات القيصر على متن اليخت الفاخر.

ولكن الحياة مستمرة... وكل صباح يأتيها بجديد.. ما هو مصير زوييا المحبوبة؟ ما هو مصير بطلة هذه الرواية التي تخطف القارئ وتسكن قلبه كما سكنت قلوب من عاشروها... هل ستأتي الأيام بما يعيد الفسارة إلى هذه الزهرة التي نبتت في مزوج روسيا وملا عبق أريجها الكرة الأرضية برمتها من سان بطرسبورغ إلى نيويورك؟

قرأت زوييا وعشقته... أما أنت فلإني أدعوك إلى قراءتها... وحسنه.

الناشر

www.rewity.com
^ RAYAHEEN ^

